أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2017/06/11 الموافق لـ 16 رمضان 1438
السنة 40 العدد 10660
Sunday 11/06/2017
40th Year, Issue 10660

العرب
alarab.co.uk

40 عاما 2017-1977

وجوه
تميم على سر أبيه
ص8

ما بعد اليمين واليسار
خلدون الشمعة، أبوبكر العيادي، أحمد برقاوي، جاد الكريم الجباعي، خطار أبو دياب، عواد علي، عامر عبد زيد

العرب الثقافي

أمير العمري: أوروبا العجوز والخلاص بالانتحار
عمار المأمون: جنة الدكتاتور وفنون المستقبل
نوري الجراح: العبد التكنولوجي
محمد حياوي: الإقبال على القراءة بالفرنسية

11 إلى 16

كيف ستتحرك واشنطن بعد أن ثبّت ترامب تهمة الإرهاب على قطر

● توقعات بأن يضم البيت الأبيض شخصيات قطرية بارزة إلى القائمة السوداء ● القطريون لا يجدون أي صدى لاستنجادهم بالوساطات

الدوحة دعمت الإرهاب على مستوى عال جدا

❏ **واشنطن** – حسم الرئيس الأميركي دونالد ترامب ما بدا من غموض في موقف واشنطن تجاه تورط قطر في تمويل الإرهاب، وقال إنه قرر مع وزير الخارجية ريكس تيلرسون والجنرالات أن الوقت قد حان لدعوة الدوحة إلى إنهاء دعمها لجماعات إرهابية.

وأكد دونالد ترامب الجمعة ضلوع قطر في تمويل الإرهاب على أعلى مستوى. وقال "دولة قطر للأسف قامت تاريخيا بتمويل الإرهاب على مستوى عال جدا".

وأضاف ترامب في مؤتمر صحافي بالبيت الأبيض مع الرئيس الروماني كلاوس يوهانيس "لا يمكن لأيّ بلد متحضر أن يقبل بهذا العنف أو يسمح لهذا الفكر الخبيث أن ينتشر على شواطئه".

وشدد على أن الدولة الخليجية الصغيرة الغنية بالنفط والغاز "عليها أن توقف هذا التمويل وفكرها المتطرّف في مجال التمويل".

ودعا وزير الخارجية الأميركي من جهته الدوحة إلى "القيام بالمزيد وبشكل أسرع" في مجال مكافحة الإرهاب.

واعتبرت أوساط دبلوماسية عربية في واشنطن أن الرئيس الأميركي أبطل محاولات الدوحة لاستثمار ما بدا أنه تناقض في تصريحات المسؤولين الأميركيين تجاه تصنيفها خليجيا كداعم رئيسي للإرهاب في المنطقة، وترويجها لخلاف بين البيت الأبيض والبنتاغون ووزارة الخارجية.

وأشارت هذه الأوساط إلى أن الساحة الأميركية تنتظر الخطوات القادمة التي ستقدم عليها إدارة ترامب للردّ على قطر التي يفترض أن تصبح خارج التحالف الدولي للحرب على الإرهاب وكيانا معاديا له بعد أن كانت عضوا به.

وتساءلت: كيف ستتحرك واشنطن بعد تثبيت ترامب تهمة الإرهاب على قطر، وهل سيقود هذا إلى قائمة اتهام وتجميد أرصدة لشخصيات بارزة ومن داخل الأسرة الحاكمة في قطر، خاصة أن الرئيس الأميركي قال إن الدوحة دعمت الإرهاب على مستوى عال جدا.

واعتبر محللون ومتخصصون أميركيون في شؤون الإرهاب أن قطر لم تتّخذ القرار الاستراتيجي بالتصدّي لتمويل الإرهاب، وقد ثبُت أنّ بعض إجراءاتها المعروفة هي تدابير غير مُكتملة (مثل مقاضاة بعض المموّلين الإرهابيين الذين حدّدتهم الولايات المتحدة والأمم المتحدة من دون أن تسجنهم).

وتنتظر دول الخليج ومصر أن تمر إدارة ترامب من مرحلة الاتهام والإدانة للدوحة إلى خطوات عملية، خاصة أن الأمر لا يقف عند قطر لوحدها، ذلك أن تمويلها للإرهاب يصب في خانة تقويض الجهود التي تبذلها واشنطن لمواجهة المجموعات الإرهابية في سوريا والعراق واليمن والصومال وغيرها، وهو ما تؤكده التهم الموجهة في قائمة العقوبات الأميركية لعدد كبير من المتورطين القطريين أو المرتبطين بقطر.

ويرى مراقبون خليجيون أن سياسة التنبيه والضغط الدبلوماسي لا تؤدي إلى فك الارتباط بين الدوحة والقيادات والكيانات المتورطة في الإرهاب، خاصة أن الأسماء المطروحة التي حددتها القائمة الخليجية المصرية الجمعة خطرة وتقود إلى أعلى سلم القيادة الحالية والسابقة في قطر، وبعض الأسماء عناصر بارزة من الأسرة الحاكمة مثل وزير الداخلية السابق عبدالله بن خالد آل ثاني، وهو نجل ابن عم أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني.

وبدا واضحا أن إدارة ترامب قد اختارت أخيرا أن تعالج الدور القطري في تمويل الإرهاب بأكثر جدية، وهو ما عبرت عنه كلمة ترامب حين قال "كان علينا أن نتخذ قرارا.. هل نسلك الطريق الأسهل أم علينا في النهاية أن نتخذ خيارا صعبا لكنه ضروري. علينا أن نوقف تمويل الإرهاب. قررت... أن الوقت حان لدعوة قطر لإنهاء التمويل".

ورحّبت السعودية ودولة الإمارات والبحرين السبت بدعوة ترامب قطر إلى التوقف فورا عن تمويل الإرهاب، داعية بدورها الدوحة إلى البدء في "تصحيح سياستها".

ويعتقد هؤلاء المراقبون أن فتح ملف تمويل الإرهاب بجدية سيتيح للولايات المتحدة أن تحصل على صورة أكثر وضوحا لشبكات التمويل التي يتقاطع فيها المال القطري وأموال التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، وهي الآن الأموال التي تصرف في زيادة التوتر وتعفين الأزمات، لافتين إلى أن قطر وتركيا أصبحتا أداتين بيد الإخوان المسلمين لاختراق المنطقة.

وكان ترامب طالب في المؤتمر الصحافي بالبيت الأبيض مع الرئيس الروماني، دولا أخرى في المنطقة لم يسمّها بوقف دعم الإرهاب ونشر ثقافة القتل والكراهية وعدم التسامح. وهو ما فهم على أنه إشارة إلى تركيا بالدرجة الأولى والتي تحتضن ممثلين عن جماعات مختلفة مورطة في العنف بمصر وسوريا.

ولا شك أن تفكيك الشبكات المالية المرتبطة بقطر ستؤدي إلى إظهار الدور التركي في سوريا إلى الواجهة، خاصة ما تعلق بالتسهيلات التي مكنت تنظيمات متشددة مثل داعش والنصرة من استقدام المتطوعين العرب والأجانب، فضلا عن التمويل والأسلحة، والتعامل الاستخباري.

ومن شأن فتح ملف التورط التركي في إسناد التنظيمات المتشددة أن يوقف تدخلات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في سوريا، فضلا عن محاولة إسناد قطر وعرض إرسال قوات لها في خضم أزمتها مع جيرانها، ما يشرع لتحويل الخلاف السياسي إلى مواجهة عسكرية.

وعدا تلويح أنقرة بالوقوف إلى جانب الدوحة، وهو أقرب للاستهلاك السياسي، لا يجد القطريون أيّ صدى لاستنجادهم بدول مؤثرة مثل ألمانيا وروسيا وفرنسا، حيث صدرت بيانات وتصريحات بروتوكولية تحث على الحوار ومحاربة الإرهاب، ما اعتبره مراقبون إدانة لقطر أكثر منه دعما لها، خاصة أن الدول التي لجأت إليها تعاني من آفة الإرهاب ومن دور الشبكات المدعومة قطريا خاصة أن أغلب المنفذين ينطلقون من سوريا.

لم تدرك قطر أن اللعبة تغيرت
خيرالله خيرالله
ص5

تجميد حسابات المتورطين في الإرهاب يشل بنوك قطر

❏ **دبي** – يرى محللون أن إقدام أربع دول على إدراج العشرات من الشخصيات المرتبطة بقطر على قوائم الإرهاب بدأ يشل البنوك القطرية ويضغط على السيولة التي تحصل على قدر كبير من تمويلها من المنطقة.

وتأتي هذه الخطوة لتزيد من الضغوط الاقتصادية على قطر خاصة أن العقوبات الخليجية ذات نسق تصاعدي ولا يبدو أنها ستتوقف عند مستوى معين في المدى المنظور.

وقال شيراديب جوش المحلل لدى بنك سيكو الاستثماري في البحرين إن البنوك القطرية لديها نحو 60 مليار ريال (16 مليار دولار) في صورة ودائع عملاء وودائع ما بين البنوك من دول خليجية أخرى.

وكانت وكالة أنباء الإمارات ذكرت الجمعة أن البنك المركزي الإماراتي أصدر تعليمات للبنوك المحلية بحظر التعامل مع 59 شخصا و12 كيانا على صلة بدولة قطر و"تجميد أيّ حسابات أو ودائع أو استثمارات" تخصّ أيّا منهم تمشيا مع قرار مجلس الوزراء.

وقالت الوكالة إن المركزي أصدر تعميما "وجه فيه البنوك والمؤسسات المالية الأخرى العاملة في الدولة بالتطبيق الفوري لإجراءات العناية الواجبة المعززة بشأن المعاملات مع أيّ من البنوك القطرية".

ورجّح مصرفي بالمنطقة في تصريحات صحافية أن تؤدي الضغوط إلى تقلّص حجم الأموال التي يمكن للبنوك القطرية أن تتحصل عليها من السعودية والإمارات والبحرين.

وقال جوش المحلل ببنك سيكو "ستعاني جميع البنوك القطرية شحّا في السيولة وستضطر إلى دفع علاوة لتوفير التمويل من أماكن أخرى خارج هذه الدول الأربع".

وقال جوش "الأمر بالغ الصعوبة لأنهم يفتقرون للسيولة الكافية حيث أن نسب قروضهم إلى الودائع تزيد بالفعل عن 100 في المئة".

الجزائر تعرقل ضبط قائمة بالكيانات الإرهابية في ليبيا لحسابات خاصة

❏ **الجزائر** – قالت أوساط جزائرية مطّلعة إن الاتفاق الذي حصل خلال اجتماع وزراء خارجية الجزائر ومصر وتونس في العاصمة الجزائرية، بشأن ضبط قائمة في الأشخاص والكيانات الإرهابية التي تعيق الحل السياسي في ليبيا، قد لا يرى النور في ضوء تباين كبير بين موقف مصر والجزائر من مكوّنات القائمة.

وكشفت هذه الأوساط عن أن الجزائر تمسّكت بضرورة وقف مصر قصفها ضد مناطق ليبية يسيطر عليها متشددون قبل نقاش أيّ قضايا أخرى، مهوّنة من وضع قائمة بأسماء المتورطين في الإرهاب، وأنها ستسعى لإفراغ المبادرة المصرية في الغرض من فاعليتها.

وكانت الجزائر قد عبّرت عن انزعاجها من العمليات العسكرية المصرية، بدعوى عرقلة جهود التسوية السياسية التي تبذلها، والتدخل دون العودة إلى مخرجات الحوار المستمر بين دول الجوار، وهو ما اعتبرته القاهرة حربا استباقية ضد الإرهاب الذي ما انفك يهدد أمنها القومي، وأن من حقها ضرب المعاقل التي تنطلق منها العمليات الإرهابية التي تستهدف مصر.

وصرّح مصدر دبلوماسي جزائري بأن "وزراء خارجية الدول الثلاث المجتمعين مؤخراً في العاصمة الجزائرية، اتفقوا على تحديد قائمة بالمنظمات الإرهابية الموجودة في ليبيا، وتحديد المواقع التي تنشط فيها".

وأضاف أن "الإجراء جاء بعد أن شدّدت السلطات المصرية على حقها في مكافحة الإرهاب، وبشكل لا يتعارض مع أيّ حلّ سياسي للأزمة الليبية"، ما يؤكد على تمسك الطرف المصري بالاستمرار في توجيه الضربات العسكرية ضد المجموعات الإرهابية في التراب الليبي.

وتابع إن "الاتفاق بين الدول الثلاث جاء تمهيدا لإبعاد تلك المنظمات وقياداتها (لم يتم ذكرها بالاسم) عن أيّ حلّ مستقبلي للأزمة الليبية من جهة، ومن أجل الفصل بشكل واضح بين مكافحة الإرهاب وشبهة محاولة فرض أمر واقع جديد في ليبيا بالقوة، وتجاوز الاتفاقات السياسية السابقة".

ويرى متابعون للشأن الليبي أن الجزائر ستسعى لمنع التوصل إلى ضبط قائمة بالمتورطين في دائرة الإرهاب بليبيا، مشيرين إلى أن أغلب قيادات الميليشيات الإسلامية الليبية سبق أن زاروا الجزائر، وأنها تراهن عليهم لتثبيت حضورها في الأزمة الليبية.

ولا يستبعد المتابعون أن تكون شخصيات ليبية على غرار عبدالحكيم بلحاج والصادق الغرياني وعلي الصلابي من ضمن قائمة الإرهاب التي تضعها دول الجوار، بعد صدور أسمائهم في لائحة الشخصيات والكيانات التي وردت في قائمة دول الخليج العربي ومصر التي صدرت الجمعة.

وسبق أن زار هؤلاء الجزائر وهم قياديون مؤثرون في الحرب الليبية. وتريد السلطات الجزائرية أن تفرض مشاركتهم في أيّ حلّ سياسي مستقبلي بليبيا في سياق رغبتها في تحويل المتشددين الإسلاميين إلى حزام حام لها من تأثيرات "الربيع العربي".

ويلفت المتابعون إلى أن تعطيل ضبط قائمة الكيانات الإرهابية أو إفراغه من الفاعلية قد يرتد على الجزائر نفسها لأن الجماعات المتشددة قد تضطر إلى الانتقال إليها هروبا من تقدم الجيش الليبي، وربما تعاود نشاطها مثلما كان في نهاية القرن الماضي، أو مثلما يحصل حاليا من تسلل عناصر إرهابية من ليبيا إلى تونس ثم إلى الجزائر، فضلا عن استمرار تنظيم القاعدة بعملياته على الأراضي الجزائرية.

وينتقد برلمانيون وإعلاميون ليبيون الجزائر لكونها تبحث عن مصالحها الخاصة في ليبيا، ولا تفكر بدعم الحل السياسي المتوازن، مشيرين إلى أن السلطات الجزائرية تريد فرض إخوان ليبيا كطرف رئيسي في أيّ صيغة حكم مستقبلية متناسية ملف الجماعة في ليبيا وأدوارها المثيرة للجدل خاصة علاقتها بأنصار الشريعة وسرايا الدفاع عن بنغازي، وولاءها لقطر وتركيا، ما يعني أن أجنداتها خارجية ولا يهمّها استقرار ليبيا.

ويعتقد على نطاق واسع أن السلطات الجزائرية تريد تثبيت إخوان ليبيا في السيطرة على طرابلس لتتخذ الملف الليبي ورقة لتحسين شروط التفاوض حول ملفات أخرى مع فرنسا والولايات المتحدة في وقت تشهد فيه الدبلوماسية الجزائرية تراجعا كبيرا في ملفات عديدة.

ويقلل المراقبون من جدوى الرهانات الجزائرية في ليبيا خاصة بعد النجاحات التي حققها الجيش الليبي في شرق البلاد ووسطها، فضلا عن استعادة حكومة الوفاق الليبي للسيطرة على أهم مفاصل طرابلس.

السعودية أقوى من التماسيح وأكبر من مطعميها
أسعد البصري
ص6

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العدل والإحسان تسعى لاستثمار حراك الريف بالمغرب

الجماعة لم تتخلص من عقدة قيادة الاحتجاجات رغبة في الاستئثار بنتائجها

جماعة العدل والإحسان تستعد للمشاركة في التحركات المساندة لحراك الريف في المغرب، ما يرى فيه مراقبون ركوبا على الأحداث للانزياح بشعارات التحركات بما يتناقض مع مطالبها الحقيقية التي وصفتها الحكومة المغربية بالمشروعة.

محمد بن امحمد العلوي

❑ **الرباط** – عبرت جماعة العدل والإحسان ذات التوجهات الإسلامية في بيان لها عن رغبتها في المشاركة بمسيرة الرباط يوم الأحد 11 يونيو 2017 تضامنا مع "حراك الريف" والتي دعت إليها بعض الفعاليات الحقوقية والسياسية.

وعبرت الجماعة عن رغبتها في المشاركة والمطالبة بما أسمته "تحقيق الحرية والعدل والكرامة لأبناء هذا الوطن، وللاحتجاج على التعسف والقمع الذي تواجه به الدولة حراك المطالبين بحقوقهم العادلة والمشروعة".

ويأتي هذا التموضع التكتيكي بعد سبعة أشهر من انطلاق الاحتجاجات بالحسيمة شمال المغرب إثر وفاة بائع السمك محسن فكري في أكتوبر الماضي طحنا في حاوية فضلات.

وعلى الرغم من تشكي الجماعة من أنها تتعرض للتضييقات والحظر من طرف السلطة، فإن هذه الأخيرة تعاملت معها بمرونة وحذر كبيرين وتركت لها فرصة التواجد بالشارع.

وقد شاركت الجماعة في عدة احتجاجات منها حركة 20 فبراير سنة 2011، وأخرى ضد شركة أماندیس بطنجة في العام 2015، واحتجاجات "الأساتذة المتدربين" في العام 2016.

ويقول مراقبون إن مشاركة الجماعة في احتجاجات حركة 20 فبراير في العام 2011 كان الغرض منها السطو على مسار الحركة والركوب على مطالبها للوصول إلى أهداف أخرى لم تكن ضمن أجندة الأطياف الأخرى المختلفة منهجا وأيديولوجيا، وبعدما قرأت قيادة الجماعة أن الحركة لن تخدم أهدافها انسحبت بشكل فجائي ودون مقدمات.

وبرّرت الجماعة انسحابها كما قال رئيس الدائرة السياسية في الجماعة عبدالواحد المتوكل، بأنها "تعرضت لاستفزاز من تيارات يسارية كانت تصرّح بأن جميع الشعارات المرفوعة خلال هذا الحراك كانت شعارات يسارية، لهذا صبرت وتنازلت رغم ذلك من أجل عدم تفويت فرصة تاريخية للتغيير".

ولم تقنع تلك المبررات التي ساقها هذا المسؤول داخل الجماعة طيفا واسعا من الباحثين والمهتمين بتاريخ الجماعات الإسلامية معتبرين أنّها مجرّد تمويه وتغطية على عدم اتساق أهداف الجماعة مع المشاركين في حركة 20 فبراير.

ويؤكد محللون أن الجماعة تريد إعادة تجربة 2011 هذه المرة أيضا دون اكتراث بالإنجازات الدستورية والسياسية والحقوقية والاجتماعية التي عرفها المغرب بعد مرور ست سنوات عن حركة 20 فبراير.

ويتساءل مراقبون عن حجم التغيرات التي عرفتها الجماعة أيديولوجيا وعن مدى استعدادها لتكون فاعلا إيجابيا في المشهد السياسي المغربي.

رغبة في الانحياز بالمطالب

وبرى المتابعون للشأن السياسي في المغرب أن الجماعة لازالت غارقة في خطاب ينهل من مفردات فضفاضة من قبيل الخلافة و"الثورة"، تؤسس لمنهج الجماعة وغاية وجودها على أساس قوالب تاريخية أو أيديولوجية جاهزة، ويعدّ أخذ مقاليد الحكم حسب مؤسس الجماعة الراحل عبدالسلام ياسين لحظة من لحظات "الثورة" وخطوة لازمة من خطواتها للوصول إلى الخلافة.

وأورد عضو الدائرة السياسية للجماعة حسن بناجح، أنه إذا توفرت شروط وإرادة المكونات الشريكة للحضور بالصفات فإن هذا ينسجم مع خيار الجماعة بترجيح العمل المشترك وتكون في طليعة المتجاوبين.

ووضع القيادي شرطا مسبقا للانسحاب من المظاهرة يتمثل في أنه إذا كان "الحراك" بلا يافطات ولا لافتات حركية وحزبية فإن الجماعة تكون أول الملتزمين ميدانيا بذلك، بمعنى أنه إذا تبين أنه باستطاعة الجماعة قيادة التظاهرات مع ما يتناسب وأهدافها فستكون إشارة واضحة في أنها المناسبة المواتية لـ"الهبّة الشعبية".

وهذا ما أكده بناجح عندما قال إن "لأعضاء الجماعة ما يكفي من المراس على نكران الذات ما يعرفه ويقدره كل من احتك بهم، ويشكل حراك الريف أحد أبرز الاختبارات الجارية لهذا المراس".

ووفقا لمحللين يتناسب هذا التوجه مع ما جاء في كتاب المنهاج النبوي لمؤسس الحركة الذي يربط نجاح "الثورة" بـ"بلوغ مريدي التغيير إسلاميين وغيرهم درجة اليقظة والتجند الواسع وبلوغ السخط الشعبي أعلى سقف له بتآلف الموجة العارمة، في مقابل بلوغ الأنظمة غاية الفشل، حينئذ يمكن إيقاف الفساد بالعصيان الشامل، والإضراب العام، والنزول إلى الشارع".

ويرى هؤلاء أن خروج جماعة العدل والإحسان إلى الشارع محكوم بقاعدة البحث عن موجة احتجاجية بقاعدة مطالب اجتماعية واقتصادية وقيادة منقادة لأيديولوجيّة الجماعة لضمان النجاح وحتى لا تكون الهبّة الشعبية مغامرة فاشلة وسقطة نهائية تذهب بريح الدعوة، حسب الخطوط الكبرى التي رسمها المؤسس الراحل عبدالسلام ياسين.

وأكد جل المتابعين أن الجماعة دوما ما كانت تغرد خارج السرب ووقفت بالمرصاد أمام دعوة رئيس الحكومة السابق سكان طنجة إلى إيقاف الاحتجاجات ضد شركة "أماندیس"، المفوض إليها تدبير قطاع الماء والكهرباء والتطهير، مع تعهده بحل مشكلة غلاء فواتير الماء والكهرباء. وادعت من خلال مواقعها الإلكترونية أن المواطنين لم يتجاوبوا مع الدعوة.

ويشير مراقبون إلى ازدواجية واضحة فيما بين شعارات العدل والإحسان ومطالبها فمن جهة تعارض الجماعة النظام بشكل جذري ومن جهة أخرى تخرج لتطالب مؤسساته بالاستجابة إلى ما تعتبره مطالب مشروعة وعادلة.

ودأبت الجماعة على الدعوة إلى عدم المشاركة في كل المحطات الانتخابية السابقة واعتبارها صورية، وتحرض الشعب المغربي والهيئات السياسية والمدنية على مقاطعتها.

ويتمثل البديل الذي تركز عليه العدل والإحسان حسبما أكد عليه رئيس الدائرة السياسية للجماعة، في أن "التغيير ينبغي أن يستحضر في تقديرنا، معاشر من يؤمن بالله واليوم الآخر، شرطين أساسيين، أحدهما كسبي والآخر قدري".

ويرى المتوكل أن "الأول يتعلق بالفعل أو المجهود البشري الذي ينبغي أن يبلغ المدى المطلوب، والثاني يعني أن يبلغ الكتاب أجله. والتغيير رهين باجتماع الاثنين".

ويؤكد مراقبون أن أيّ محاولات للجماعة لا تذهب في طريق التفاعل السياسي الإيجابي والواقعي والمتدرّج مع مختلف رغبات كل فئات الشعب ومطالبها الاجتماعية والسياسية على أسس موضوعية للإصلاح، وإنما تأسيسا على نظرة غامضة وطوباوية تتبنّى نهجا غيبيا لا يتماشى والتطوّرات التي يعرفها المجتمع المغربي ومحيطه الجيوسياسي.

وهذا ما يؤكده قول المتوكل بأنه "حتى إذا بلغ الكتاب أجله وجدنا أنفسنا بين الشعب وبعناوين معروفة وليس غرباء عنه، ووجدنا جمهورا مستعدا لأداء مهر التحرير والكرامة".

ويقول هؤلاء إن رئيس الدائرة السياسية للجماعة يعمل على تغييب اللغة السياسية الواضحة المعنى والمستوفية المبنى، ليدخل في مجاهل الاقتباس القرآني والتأويل غير المتزن لآياته.

معارضة موريتانيا: النظام فشل في التعبئة للاستفتاء

❑ **نواكشوط**– اتهم زعيم مؤسسة المعارضة الديمقراطية الموريتانية الحسن ولد محمد، الحكومة استخدام أساليب وصفها بالبائدة لإجبار الناس على التسجيل للاستفتاء الدستوري، المقرر في أغسطس المقبل.

وقال ولد محمد في تدوينة على صفحته الشخصية في فيسبوك، إن أنصار الرئيس ولد عبدالعزيز وأحزاب الموالاة واللجنة الوطنية المستقلة للانتخابات، فشلوا في تعبئة الشارع للتسجيل للاستفتاء الدستوري.

وأضاف "يبدو أن النظام كلف الإدارة الإقليمية بالأمر فأصبح الشغل الأول للولاة والحكام فباتوا يسوقون الناس سوقا ويضغطون على موظفي الدولة والوجهاء التقليديين وكل من يمكن التأثير عليه وفعلا بدأت الخطة تؤتي أكلها وانتقل الإقبال من شبه معدوم إلى كبير".

وخلص للقول "هذه التصرفات مشينة ومدانة وتعني استفتاء مزورا وعودة إلى الأساليب البائدة وخطرا على المسار الديمقراطي الهش".

وقررت الحكومة الموريتانية في وقت سابق تأجيل الاستفتاء على تعديل الدستور إلى 5 أغسطس القادم بدلا من 15 يوليو من العام الجاري.

وحسب بيان صادر عن مجلس الوزراء الموريتاني، فقد تمت المصادقة على مشروع مرسوم يقضي بتأجيل الاستفتاء إلى 5 أغسطس القادم بدلا من 15 يوليو من العام الجاري.

ويأتي قرار التأجيل بناء على اقتراح اللجنة الوطنية المستقلة للانتخابات من أجل الإعداد الجيد للاستفتاء.

ويثير تعديل الدستور الموريتاني جدلا بين الموالاة والمعارضة حيث ترفض المعارضة المساس بدستور البلاد بحجة أن "الهدف هو التغطية على مشاكل البلاد الحقيقية".

وتقول الموالاة إنه سيساهم في ترسيخ الديمقراطية وممارستها وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية.

وكان مجلس الشيوخ الموريتاني (الغرفة الثانية في البرلمان)، قد أسقط التعديلات الدستورية، في مارس الماضي، قبل أن يعلن الرئيس ولد عبدالعزيز أنه سيعرض تلك التعديلات على استفتاء الشعبي لتمريرها.

وتعتبر التعديلات نهائية إذا نالت الأغلبية البسيطة (50 بالمئة 1+) من الأصوات، المعبر عنها في الاستفتاء.

وتشمل أبرز التعديلات الدستورية التي قدمتها الحكومة وأسقطها مجلس الشيوخ، إلغاء "محكمة العدل السامية" المعنية بمحاكمة الرئيس وأعضاء الحكومة، وإنشاء مجالس جهوية (إدارية) للتنمية، وتوسيع النسبية في الانتخابات العامة، وتغيير العلم الوطني، وإلغاء مجلس الشيوخ، بينما لا تتضمن التمديد لولاية ثالثة لرئيس البلاد.

وصرح قادة في أحزاب المعارضة الرئيسية في البلاد، في وقت سابق، أنهم سيبذلون جهودا من أجل إفشال الاستفتاء الدستوري، غير أنهم لم يعلنوا إذا كان ذلك سيتم بمقاطعة الاستفتاء أم التصويت ضد التعديلات.

تطورات المغرب العربي تقرع الجرس

عدلي صادق
كاتب فلسطيني

❑ يستحق الحراك المطلبي في الريف المغاربي، اهتماما كبيرا، لكي لا يتطور إلى ثورة اجتماعية، تتخللها ثغرات ينفذ منها المتربصون بشعوب العرب والمسلمين، فتصل أصداؤها إلى ما تبقى من الأقطار المستقرة أو التي استعادت استقرارها.

ولعل أول ما تلام عليه حكومات المغرب العربي، هو تغييب التنمية مترافقا مع غياب العدالة، فضلا عن إسدال الستار عمليا عن اتحاد المغرب العربي المعطل، الذي كان أمنية عزيزة وقديمة، ذات حيثيات اجتماعية اقتصادية، تبنتها قوى التحرر من الاستعمار.

لكنّ هذه القوى، أو وارثي مواقع السلطة فيها، لم يجدوا أمامهم، أضعف من فكرة الاتحاد لكي يستقووا عليها، علما بأن أحزاب الطليعة الاستقلالية، الحزب الدستوري التونسي وحزب الاستقلال المغربي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية، عقدت مؤتمرا جمعها في طنجة في ربيع العام 1958 واعتبرت تحقيق اتحادها هدفا تسعى إليه، باعتباره تطلعا شعبيا مغاربيا.

لكن ما حدث للأسف، هو أن الأمور تعثرت، قبل الإعلان المتأخر عن قيام الاتحاد وبعده، على الرغم من كل الترضيات والتقاسمات حتى على المستوى الشكلي والإداري، بين الدول الخمس الأعضاء، لكي لا يكون للاتحاد المولود أب واحد. فقد اجتمعوا أولا على شاطي زيرالدا قرب العاصمة الجزائرية في يونيو 1988، عندما علا الطنين في الثقافة السياسية في العالم، بأنّ الزّمن لم يعد زمن الضعفاء المتفرّقين، وإنما زمن الأقوياء المتضامنين الذين يتكتّلون ويتشاركون في مصالح اجتماعية واقتصادية وسياسية أو في منظومات إقليمية.

في ختام اجتماع زيرالدا أصدروا بيانا أكّدوا فيه على رغبة شعوب المغرب العربي في إقامة اتحاد يجمعها، وقرّروا تشكيل لجنة لضبط وسائل تحقيق هذه الأمنية، ثم ذهب ممثلو الأحزاب في المرة التالية إلى طنجة المغربية، ليعلنوا منها قيام الاتحاد في فبراير 1989 بمشاركة ليبيا وموريتانيا.

غير أن هذا الاتحاد أصيب بالعلة نفسها التي تُصاب بها منظومات التعاون والتكتلات الإقليمية. وجاءت المآلات معاكسة لما أعلن من أهداف الاتحاد، أي تمتين أواصر الأخوة التي تربط الدول الأعضاء وشعوبها بعضها ببعض وتحقيق الرفاهية للمجتمعات والدفاع عن حقوقها وفتح الحدود بين الدول الخمس لمنح حرية التنقل الكاملة للأفراد والسلع ورؤوس الأموال.

لو تناولنا هذه الأهداف واحدا واحدا ومقارنته بالواقع وبالسياسات الجارية، لوجدنا الأمور على النقيض. وليت الأمر ظل على عدم تماشي السلطات السياسية مع هدف تمتين أواصر الأخوة بين الدول والشعوب بعضها ببعض. فقد تفاقمت المشكلات الاقتصادية الاجتماعية، التي نشأت على خلفية انعدام تمتين الأواصر وتحقيق الرفاهية وتكريس العدالة بين المكوّنين العرقيين الرئيسين، في الشعب الواحد، الأمازيغي والعربي.

بعد استقلال الجزائر، انعقد مؤتمر العام 1964 لتنشيط الروابط الاقتصادية بين دول المغرب العربي، ولم يلمس أحد تنشيطا ولا تعاونا في الاتجاه المأمول، ثم جرت اتفاقات ثنائية تحت عناوين نبيلة. وكانت الفجوة الزمنية بين المؤتمرات تزيد عن عشر سنين تخللتها بيانات وحدوية سرعان ما يتضح خلال ساعات أنها مستحيلة.

لقد بات الأمر في حاجة إلى خطوات شجاعة لنفض الغبار عن اتحاد المغرب العربي. فمن واجب أنظمة الاتحاد، جميعها، أن تتحسس خطورة حراك الريف المغاربي، الأمازيغي في معظمه. فلا شيء ينبغي أن يبرر تغييب العدالة سوى الفساد والغباء السياسي والضآلة الثقافية.

> من خلال أحداث الحسيمة وتطاوين، وقبلهما الأحداث في العمق الجزائري، يبدو الأمر تطورا خطيرا ويتطلب الحيوية والقوة المعطوفتين على تعاضد مغاربي

إن دول الاتحاد تشغل مساحة من الكوكب الأرضي، تزيد عن مساحة القارة الأوروبية، ولديها من الثروات ما يغطّي شعوبها التي لم تزد كثيرا عن مئة مليون نسمة، وأن تتيح لهم، بوجود مشروعات التنمية المتكاملة، أن يحصلوا على فرص العمل وعلى التأمينات الاجتماعية أكثر مما يتوافر للشعوب الأوروبية، لا سيما في حال انضمام ليبيا بعد استقرارها.

ولن تكون شعوب المغرب والجزائر وتونس في حاجة إلى اللجوء لأوروبا ولا لأن يتعرّض الشباب اليائس لتأثيرات فقهاء السوء والإجرام، مثلما حدث لشرائح من الشباب المغاربي المحبط والمُعدم، التي أنتجت إرهابيين يقتلون أنفسهم ويقتلون الآخرين.

إن الاحتجاجات الحاصلة في تطاوين التونسية جاءت نتيجة البطالة والتهميش وشُح التنمية، وهما الذميمتان اللتان أشعلتا أوار الانتفاضة الشعبية السورية. فتطاوين منطقة استثنائية منتجة للبترول النادر في تونس وفيها ثروات إنشائية أخرى، وتقع في منطقة صحراوية عند الحدود الجزائرية الليبية، فليس أقل من تنميتها واستيعاب شبابها، في الصناعة البترولية وإداراتها وخدماتها في إطار تنموي.

لقد كان ولا يزال من بين أسوأ ممارسات التهميش، أن تُحرم من التنمية المناطق المنتجة للثروة، مثلما يفعل حكم الملالي في إيران، مع العرب في عربستان التي توجد تحت أراضيها الغالبية العظمى من ثروة البترول والغاز، فيقابلها النظام الإيراني بالقمع وبحرمان شعبها في الأحواز وعبدان والخفاجية والمحمرة والجزيرة وغيرها من أبسط حقوقه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

لقد كان التهميش، الذي يعقبه قمع للاحتجاجات المطلبية، من بين أخطر أسباب الانتفاضة السورية، لأن المناطق المهمشة هي التي تعرضت لقمع الحكم الطائفي، بينما هي تزود البلاد بكل ثرواتها، في الحسكة حيث النفط وزراعة المحاصيل الاستراتيجية كالحبوب والقطن، وفي دير الزور حيث النفط وشريط نهر الفرات الحيوي، وفي الرقة حيثما تُنتج الكهرباء، وفي درعا وحوران التي كانت مخزن حبوب وغذاء الإمبراطورية الرومانية، وتسمى "أهراء الشام". لقد كان التمييز البيّن قد وقع على مواطني تلك المحافظات، بالمقارنة مع محافظات الساحل والعاصمة. من خلال أحداث الحسيمة وتطاوين، وقبلهما الأحداث في العمق الجزائري، يبدو الأمر تطورا خطيرا، ويتطلب الحيوية والقوة المعطوفتين على تعاضد مغاربي لن يتحقق بغير تنحية الأسباب السخيفة للشقاق، والعودة إلى صيغة العمل المشترك لإحراز رفاهية الشعوب وتكريس العدالة في التنمية وإنهاء التهميش في الإدارة والسياسة.

تضارب الأنباء بشأن التطورات الميدانية في البادية السورية

المعارضة تتهم النظام بالترويج لانتصارات وهمية رفعا لمعنويات مقاتليه

بيانات متضاربة بشأن حقيقة التطورات الميدانية في البادية بين القوات السورية التي تؤكد استعادتها أجزاء واسعة من المنطقة، وقوات المعارضة التي تشير إلى حفاظها على مواقعها الرئيسية وتتهم النظام بالترويج لانتصارات وهمية رفعا لمعنويات مقاتليه.

استماتة الجيش الحر في الدفاع عن مناطقه

❏ **القاهرة** – تضاربت الأنباء حول الوضع في البادية السورية، فبينما أعلن الجيش السوري والقوات الموالية له إنجاز المرحلة الأولى من العملية العسكرية في ريف حمص الشرقي والوصول إلى الحدود العراقية، تنفي قوات تابعة للجيش الحر ذلك.

تتركز الأنظار في سوريا على منطقتي البادية والجنوب، حيث ينظر إليهما على أنهما الكلمتان الفيصل في أي تسوية منتظرة للأزمة التي بلغت عامها السابع.

وهناك تنافس محموم بين الجيش السوري والميليشيات الإيرانية الداعمة له من جهة وفصائل المعارضة المدعومة من التحالف الدولي من جهة أخرى للسيطرة على المنطقتين.

ويرى مراقبون أن التطورات الميدانية على الجهة العراقية المقابلة والمتمثلة في نجاح قوات الحشد الشعبي في الوصول إلى الحدود السورية، هي في صلب التنافس الجاري داخل الأراضي السورية.

وأورد بيان أصدرته القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة أن الجيش السوري سيطر على أكثر من خُمس مساحة منطقة البادية الاستراتيجية وسط البلاد وذلك بعد أن وصل وحلفاؤه إلى الحدود مع العراق في شرق البلاد، للمرة الأولى منذ 2015.

وتمتد المنطقة الصحراوية التي تعرف باسم البادية على مساحة 90 ألف كلم مربع وتربط وسط البلاد بالحدود العراقية والأردنية من الشرق إلى الجنوب الشرقي.

بعد أن كانت المنطقة الصحراوية الوسطى والجنوبية في سوريا (البادية) نائية لا تحظى باهتمام الأطراف المحلية المتصارعة على مدى السنوات الست، أصبحت الآن ميدان أهم معركة ترسم خارطة النفوذ الإقليمي والدولي لمستقبل سوريا.

> تحليلات تشير إلى أن واشنطن لن تفرط بسهولة في هذا الجانب السوري لعدة اعتبارات أهمها ضرب المشروع الإيراني وأيضا تثبيت النفوذ في سوريا الذي سيخول لها التأثير بشكل أكبر على صياغة مستقبل هذا البلد

وكان تنظيم الدولة الإسلامية يسيطر على أجزاء كبيرة من البادية منذ عام 2015.

ووصل الجيش السوري وحلفاؤه الجمعة إلى الحدود مع العراق في شرق سوريا، وذلك للمرة الأولى منذ عامين.

وبدأ الصراع على البادية بعد أن استقرّت الاشتباكات في منطقة غرب سوريا التي شهدت معارك دامية بين الأطراف السورية مدعومة بميليشيات مساندة لها. ولم تحتل استعادة البادية سلّم أولويات النظام قبل الأشهر القليلة الماضية.

وقالت القيادة العامة للجيش السوري في بيان لها السبت إن "الجيش العربي السوري وحلفاءه، سيطروا على مساحات واسعة في البادية السورية، بعد ظهر الجمعة وأنجزوا المرحلة الأولى من العمليات العسكرية في البادية السورية، وتمكّنوا من الوصول إلى الحدود مع العراق الشقيق شمال شرق التنف".

وأضافت القيادة العامة للجيش أن الوصول إلى الحدود العراقية "تحقق بعد السيطرة على عدد كبير من المواقع والنقاط الاستراتيجية في عمق البادية بمساحة 20 ألف كيلومتر مربع، منذ بدء العمليات جنوب وشرق مدينة تدمر بعد القضاء على المئات من أفراد تنظيم داعش الإرهابي".

وأشارت القيادة إلى أن "هذا الإنجاز يشكّل تحوّلا استراتيجيا في الحرب على الإرهاب وقاعدة انطلاق لتوسيع العمليات العسكرية في البادية وعلى امتداد الحدود مع العراق الشقيق، ويضيق الخناق على ما تبقى من مجموعات داعش الإرهابية في المنطقة، ويقطع خطوط إمداد التنظيم على أكثر من اتجاه ويؤكد قدرة الجيش العربي السوري وحلفائه وتصميمهم على دحر الإرهاب، وأنهم القوة الوحيدة الفاعلة في محاربته".

وجدّدت القيادة في بيانها "تحذيرها من مخاطر الاعتداءات المتكررة لما يسمى بالتحالف الدولي ومحاولاته لإعاقة تقدم الجيش العربي السوري وحلفائه في الحرب على الإرهاب".

وأقام التحالف الدولي منطقة أمنية بقطر 55 كلم حول التنف، يعتبر أي توغل فيها بمثابة تهديد. وشن التحالف خلال الأسابيع الماضية ثلاث غارات ضد مواقع لقوات موالية للنظام قرب التنف.

ويقول الخبراء إن الولايات المتحدة لن تفرّط بسهولة في هذا الجانب السوري لعدة اعتبارات أهمها ضرب المشروع الإيراني وأيضا تثبيت النفوذ في سوريا الذي سيخوّل لها التأثير بشكل أكبر على صياغة مستقبل هذا البلد.

ويرى فابريس بالونش، مدير الأبحاث في "جامعة ليون 2" في مقال له بـ"معهد واشنطن"، أن المنطقة الممتدة من التنف إلى سنجار في العراق أضحت بؤرة توتر كبيرة، حيث هناك عدة شركاء في الحرب يتنافسون عليها بالنيابة عن رعاتهم الإقليميين والدوليين.

من جانبه، أكد الناطق باسم جيش مغاوير الثورة محمد الجراح أن الجيش السوري الحر لا يزال يسيطر بالكامل على منطقة الزكف والمناطق الحدودية مع العراق.

ونفى الجراح، في تصريح صحافي أن "تكون قوات النظام والميليشيات المدعومة من إيران، وصلت إلى الحدود العراقية مع سوريا"، معتبرا أن الأخبار التي روّجها إعلام النظام بهذا الخصوص، تندرج ضمن الحرب الإعلامية التي تهدف إلى رفع معنويات مقاتليه، بسبب ضربات التحالف وبهدف تحقيق دعاية من قبل الروس، خاصة مع ظهور وزير الدفاع الروسي بالإعلان عن التقدم المزعوم.

وحسب الناطق باسم جيش المغاوير، فإن الجيش السوري الحر فرض طوقا أمنيا حول معسكر الزكف في البادية السورية بعرض ثلاثة كيلومترات.

ولفت الجراح إلى أن التحالف الدولي مستمر بتنفيذ عملياته التي تدعم جيش المغاوير في البادية السوية، وأضاف "لكن طيران التحالف يدعم عمليات الجيش الحر لحماية التنف".

وأعلن "جيش أسود الشرقية" التابع للجيش السوري الحر الجمعة، عن تمكّن عناصره من تحرير تل المسيطمة الواقع غرب منطقة بئر القصب بريف دمشق في البادية، بعد معارك مع قوات النظام والميليشيات الشيعية المساندة له.

وقال مسؤول المكتب الإعلامي في جيش أسود الشرقية، في بيان صحافي إن "الثوار تمكنوا من التقدم والسيطرة على التل بعد معارك عنيفة صباح الجمعة، سقط خلالها العديد من عناصر قوات النظام والميليشيات الإيرانية قتلى، بينهم ضابط برتبة عميد بالإضافة لأسر عدة عناصر ممن كانوا في تلك النقاط".

وسيطر معارضون تدعمهم واشنطن على التنف من تنظيم "الدولة"، في مارس العام الماضي.

وتقول مصادر إنهم يهدفون إلى استخدامها كمنصة انطلاق للسيطرة على البوكمال، وهي بلدة على الحدود السورية مع العراق وتتبع لمحافظة دير الزور.

«عزل قطر» فرصة للتخلص من الأحزاب الداعمة للإرهاب في مصر

أحمد حافظ

❏ تتجه النية داخل الحكومة المصرية إلى حسم ملف الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية، بعد أشهر طويلة من تركه مفتوحًا للتراشق السياسي، واستمرار الدعاوى القضائية التي تطالب بحل الأحزاب القائمة على أساس ديني، والتي نهى الدستور المصري عنها.

ويعكس تقديم مصر لقائمة تضم عناصر إرهابية خطيرة، ضمن البيان الرباعي (السعودية والإمارات والبحرين ومصر)، من بينها طارق الزمر رئيس حزب البناء والتنمية، الذراع السياسية للجماعة الإسلامية في مصر، أن هناك المزيد من الشخصيات الإرهابية والداعمة للتنظيمات المتطرفة على علاقة مباشرة وغير مباشرة بالأحزاب الإسلامية في مصر.

وتوقع مراقبون أن يكون إدراج رئيس حزب البناء والتنمية ضمن قائمة الإرهاب المتفق عليها بين مصر والسعودية والإمارات والبحرين، خطوة أولى نحو تخلص الحكومة المصرية من الأحزاب الإسلامية، مع تعاظم الاتهام بأنها تتخذ من السياسة ستارًا للتخفي والقيام بأنشطة داعمة للتطرف والإرهاب.

وقال هؤلاء إن الظروف السياسية أصبحت مهيأة لاتخاذ هذه الخطوة، خاصة أن الحكومة تمتلك أدلة ضلوع بعض عناصر هذه الأحزاب في تأييد أو تذكية أنشطة إرهابية، كما أن تصاعد أسهم الحكومة عند الرأي العام بعد موقفها الواضح من قطر وقطع العلاقات معها، يؤهلها لأن تحسم هذا الملف وخلفها ظهير شعبي قوي.

وفقدت الأحزاب الإسلامية في مصر الكثير من التعاطف الشعبي معها، منذ أن انضمت إلى الجهات والتيارات الداعمة لجماعة الإخوان بعد ثورة 30 يونيو 2013 ضمن ما يسمى بـ"تيار دعم الشرعية"، مرورًا بعدم إدانة هذه الأحزاب للعمليات الإرهابية التي تستهدف الجيش والشرطة والأقباط، وانتهاء بإصدار بعض عناصرها فتاوى شاذة لا تتسم مع الوحدة الوطنية في مصر.

يضاف إلى ذلك، أن بعض هذه الأحزاب انكشفت برامجها الحقيقية بدعمها لتنظيمات إرهابية، وآخرها نعي حزب البناء والتنمية أحد قياداته الهاربة والذي لقي مصرعه في سوريا (أبوالعلا عبدربه) في أثناء قتاله ضمن صفوف تنظيم أحرار الشام، أبريل الماضي.

وفي مصر 11 حزبًا إسلاميًا، أبرزها حزب النور السلفي، ويمثله 12 عضوًا في مجلس النواب، ومصر القوية الداعم للإخوان (يقوده الإخواني عبدالمنعم أبوالفتوح) والبناء والتنمية والوسط والعمل الجديد والفضيلة والاستقلال والأصالة والوطن والإصلاح والحضارة، وتتنوع انتماءاتهم بين السلفية والجماعة الإسلامية.

وقالت مصادر أمنية لـ"العرب" إن الحكومة تدرك أن هناك أجنحة داخل الأحزاب الإسلامية تميل وتؤيد استخدام العنف بديلًا عن العمل السياسي، ولم يكن من الحكمة والحنكة السياسية أن تفتح الحكومة جبهة مواجهة مع هذه الأحزاب والمتطرفين بداخلها قبل هدوء الأوضاع في سيناء وتخفيف وطأة الإرهاب لتجنب تشكيل تحالف خفي بين الطرفين.

وتوقعت دوائر سياسية أن يكون تصعيد الموقف المصري والخليجي ضد قطر، بداية للتخلص من الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية والتي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتنظيمات وكيانات وشخصيات تمثل خطرًا على الأمن القومي العربي، مع وجود كوادر لهذه الأحزاب داخل الأراضي القطرية، واستنكار البعض الآخر لموقف مصر من قطر، ومساندتها في سياستها التي تشكل خطرا على الأمن والاستقرار في المنطقة.

وقال أحمد عامر، الباحث في شؤون الإسلام السياسي، إن الأحزاب الإسلامية تعيش حالة من الرُعب خلال الفترة الراهنة، نتيجة العُزلة التي فرضتها مصر والخليج على قطر التي كانت تمثل الداعم الأبرز لهذه التيارات الدينية.

تضييق الخناق

وتوقع في تصريحات لـ"العرب" أن تكون هناك خطوات تصعيدية ضد الأحزاب الإسلامية بشكل تدريجي، لأن الحكومة بحاجة إلى وجود ممثل لتيار الإسلام السياسي على الساحة، وهي تتمسك بـ"النور السلفي" لسهولة ترويضه والسيطرة عليه، أما الأحزاب الأخرى فمن المتوقع أن تكون هناك وقفة قوية معها بعدما ظهرت أدلة تثبت إدانتها.

من بين دلائل اتجاه عناصر حزبية إسلامية لاعتناق العنف وتذكية العمليات الإرهابية، أنه لا يوجد فصل بين قادتها والجماعات التي تنتمي إليها وتتبنى العنف وعدم تبرئة الأحزاب من هذه العناصر، ما يرسخ تطابق مواقف التنظيمات والجماعات الإرهابية مع نهج الأحزاب المنبثقة عنها.

وتعرضت الحكومة المصرية لانتقادات واسعة من جانب تيارات مدنية وليبرالية لتراخيها في حسم ملف الأحزاب الدينية.

لكن الأجواء المشحونة حاليًا ضد تيارات الإسلام السياسي بعد الأزمة القطرية، من وجهة نظر رفعت السعيد، مستشار حزب التجمع اليساري قد تكون الضربة القاضية للأحزاب الدينية في مصر، لأن كل الوسائل مهيأة أمام الحكومة لتطبيق القانون والدستور الذي يقضي بحلها في حال خلطها الدين بالسياسة، لكن الحقيقة أنها "تخلط الإرهاب بالسياسة وتغلفه بسلاح الدين".

وأضاف السعيد لـ"العرب" أن الحكومة أدركت حاليًا، كم تسبب التعامل بتراخ مع الأحزاب الدينية في أن تتسع دائرة العنف والدعم الفكري المتطرف لتيارات تعمل في الخفاء تحت مسمى كيانات سياسية تمارس العنف في الخفاء.

وقال "وجود أدلة تبرهن على تورط رئيس حزب البناء والتنمية في أعمال إرهابية ووضعه في قائمة عربية تضم أبرز الإرهابيين، دليل دامغ على عنف هذه الأحزاب، ومستند قوي لحلها، إذا طبق القضاء المصري الدستور والقانون بحذافيرهما، لأن الأمر تعدى خلط الدين بالسياسة ووصل محطة الإرهاب".

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

أيام حكومة ماي المعدودة

الانتخابات التشريعية البريطانية تحرّك واقع البلد من أقصى اليمين إلى اليسار

مرة أخرى يفاجئ البريطانيون العالم، فبعد نتيجة استفتاء الخروج من الاتحاد الأوروبي التي جاءت لصالح البريكست ودشنت موجة صعود الشعبوية والأحزاب اليمينية، عاد البريطانيون وأعلنوا رفضهم لبيئة اليمين التي خلقها استفتاء الانفصال عن الاتحاد الأوروبي، وعوض أن يمنحوا رئيسة الوزراء تيريزا ماي الأغلبية البرلمانية التي تحتاجها في مفاوضات الخروج قلصوا عدد المقاعد التي كان يملكها حزب المحافظين في البرلمان. نتائج الانتخابات التشريعية وضعت ماي في مأزق لكنها عبرت عن واضع متشظ وانقسام غير مسبوق تعيشه بريطانيا، مثلما كشفت عن حجم الهوة بين شباب السوشيال ميديا وجيل الصحف التقليدية.

أحمد أبودوح
كاتب مصري

❏ ما حدث في بريطانيا يوم الخميس هو ثورة. الثورة هي تغيير الواقع الذي يعيشه الناس أو البدء في تغييره. الانتخابات التشريعية البريطانية حركت واقع البلد من أقصىٰ اليمين إلىٰ اليسار. بيئة اليمين التي خلقها استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بدأت في الانهيار، في مواجهة طابع يساري جديد ظهر بصعود زعيم حزب العمال جيرمي كوربين.

هذه الانتخابات وضعت حدا لإرث الخروج الصعب من الاتحاد الأوروبي الذي جعلته رئيسة الوزراء تيريزا ماي جوهر تصورها للمفاوضات مع قادة الاتحاد. اليوم لم يعد أمام البريطانيين سوى التوصل إلىٰ اتفاق جيد يحكمه توافق بين الجانبين، أو إعادة التفكير في مسألة الخروج برمّتها.

> الحقيقة الوحيدة اليوم هي أن بريطانيا تعيش انقساما غير مسبوق. هو انقسام بين المؤيدين لأوروبا والمناصرين للخروج منها، وبين اليمين واليسار، وبين كبار السن والشباب، وبين الطبقة الوسطى والعمال

نتائج الانتخابات ستخلق نهجا جديدا بين السياسيين المؤيدين لأوروبا. نموذج "النرويج" الجامع بين عضوية السوق المشتركة دون الوقوع تحت السيادة الأوروبية بات أقرب إلىٰ التحقق أكثر من أيّ وقت مضىٰ.

الحقيقة الوحيدة اليوم هي أن بريطانيا تعيش انقساما غير مسبوق. هو انقسام بين المؤيدين لأوروبا والمناصرين للخروج منها، وبين اليمين واليسار، وبين كبار السن والشباب، وبين الطبقة الوسطىٰ والعمال.

لم تع ماي أبعاد الفوضىٰ المحيطة بها، وطلبت "تفويضا واضحا". في النهاية كل ما حصلت عليه هو "رفض واضح". خسر المحافظون الأغلبية وتراجع رصيدهم من المقاعد، ومن الثقة أيضا. في المقابل رفع العمّال من نفوذهم في البرلمان ومن حصتهم من القبول في الشارع، ووظفوا شعبوية اليسار لخنق اليمين الشعبوي.

اليوم ينظر الناس إلىٰ الحزب الخاسر باعتباره رابحا، وإلىٰ الحزب الرابح باعتباره خاسرا.

في هذه الحالة حكومة الأقلية قد تكون الحل الأمثل. لا مجال لأحد أن يحكم منفردا، ببساطة لأنّ الناس لم يعودوا مستعدين لقبول ذلك. تجربة مارغريت ثاتشر وتوني بلير في الانفراد بالسلطة كانت كارثية علىٰ كل المستويات. البريطانيون تعلموا الدرس جيدا، واليوم هم يلقنون الدرس نفسه للمحافظين. لا مقامرة مع الشعوب وأمزجتها. الحكومة "القوية والمستقرة" التي كانت تطمح إليها ماي، صارت حكومة أقلية.

حكومات الأقلية هي في جوهرها حكومات مؤقتة. تستطيع أن تطلق عليها "حكومة انتقالية". في الخمس مرات التي حكمت فيها هذا البلد حكومة أقلية، انهارت الحكومة لصالح إجراء انتخابات مبكرة.

في بريطانيا جرت العادة أن يدعو رئيس حكومة الأقلية إلىٰ إجراء انتخابات مبكرة. الأمر مرتبط بالقيم الأخلاقية التي يجب أن توجّه عمل السياسيين. عندما راهن رئيس الوزراء السابق ديفيد كاميرون علىٰ بقاء بريطانيا في الاتحاد الأوروبي، وخسر الرهان لم يتردّد في التنحي. كاميرون كان يعرف أن هزيمته تعني فقدان المشروعية السياسية والشرعية الشعبية معا.

ماي لا يبدو أنها تعير اهتماما لأيّ من هذا. البراغماتية والتلون والقفز بين المعسكرات جعلها تسقط في عيون كثيرين. الشباب، الذين عادة ما يكونون أكثر من يتحلىٰ بالنقاء في أي مجتمع، أصابهم الذهول من براعة ماي في القفز علىٰ المواقف، وقرروا معاقبتها.

قرب كوربين من البسطاء وأيضا "روبوتية" ماي وتصلبها دفعا الشباب إلىٰ النزول من أجل التصويت. الشباب هم من قرروا سحب "التفويض" الضئيل من ماي، ونقله إلىٰ كوربين، رغم الانقسامات والصراعات الداخلية بين العماليين.

سلفي مع كوربين «الشاب»

تخيل لو كان سياسي أكثر اعتدالا من كوربين هو من يقود الحزب. شخص علىٰ غرار توني بلير مثلا. كيف كانت لتبدو الصورة اليوم؟

تخيّل أيضا لو لم توجه وسائل الإعلام اليمينية وصحف "ديلي ميل" وذا صن" وغيرها مدافعها ليل نهار صوب كوربين متهمة إياه بأنه داعم للإرهاب وماركسي متطرف وقائد ضعيف وناشط أكثر منه سياسي. كم من الأصوات كان سيحصد وقتها؟

مشكلة حزب المحافظين أنّ قادته لم يفهموا جيدا معنىٰ "السياسة الإنسانوية" بالنسبة إلىٰ الشباب، ولم يقدروا قدرتهم علىٰ الفعل وقت الضرورة. اعتماد المحافظين علىٰ الصحف اليمينية الشعبوية لم يؤت ثماره. ما لم يفهمه هؤلاء هو أن الشباب لا يقرأون الصحف. الشباب يبحثون عن الأخبار في السوشيال ميديا.

السوشيال ميديا كانت تسبح عكس تيار وسائل الإعلام التقليدية. في الوقت الذي كان يظهر كوربين فيه علىٰ صفحات "ديلي ميل" باعتباره "سياسي جبان يخشىٰ من إعلان الحرب دفاعا عن الوطن"، كان يتوّج علىٰ فيسبوك وتويتر كـ"بطل قومي" استطاع أن يلف الحبل علىٰ رقبة النهج "الشعبوي" و"البراغماتي المدمر" لماي.

انتصر الشباب في معركة الثأر من كبار السن. عندما تتحدث إلىٰ طلاب الجامعات وحديثي التخرج في بريطانيا تفهم حجم الحنق تماما. الحنق تجاه "المستقبل المخطوف" أمام أعينهم، ومن أنانية عصر الإمبراطورية البالي.

هذا جيل تربّىٰ علىٰ أنه جزء من أوروبا، وأن أوروبا جزء منه. كل حياته، بدءا بتطلعاته المستقبلية وطموحه في الحصول علىٰ وظيفة أو السفر للخارج أو تأسيس شركته الخاصة، مرتبطة بأوروبا. استفتاء الخروج الذي حسمه كبار السن كان انتكاسة لجيل كامل بدا أنه خجول من حقيقة أنه بريطاني.

النظرة العامة للشباب تتلخص في أن مجموعة من الناس، الذين ربما لن يكون باستطاعتهم البقاء علىٰ قيد الحياة طويلا، قرّروا التفكير في أنفسهم فقط وخطف البلد كله نحو أوهام ماضوية تقود نحو العزلة. التحوّل من القوة المحركة التقليدية للاقتصاد والإنتاج إلىٰ الضحية، جعل ثقافة الثأر تخرج الشباب البريطاني من العزلة السياسية التي لطالما كانت طابعا أساسيا في شخصيّتهم، إلىٰ خوض معركة ضد عزلة الهوية.

هذا التصور أعاد مفهوم الانتخابات البريطانية مرّة أخرى إلىٰ "صراع القبيلتين". المحافظون ضد العمال. الأمر صار يشبه الدوري الإسباني مثلا، حيث لا منافس لريال مدريد علىٰ الدوام سوى برشلونة!

مفهوم دوري كرة القدم هو من سيقود المرحلة المقبلة. ماي، التي دعت لإجراء هذه الانتخابات من أجل إسكات "محاولات المعارضة تعطيل الحكومة عن تحقيق أيّ إنجاز"، سيكون عليها اليوم الخضوع إلىٰ شروط هذه المعارضة في تعيين أيّ مسؤول صغير في دائرة الشرطة المحلية، وليس فقط في تحقيق الإنجازات.

إرث ماي انتهىٰ في اليوم الذي أعلن فيه عن نتائج هذه الانتخابات. كل ما فعلته ماي هو أنها حفرت حفرة لحزب العمال، ثم وقعت فيها.

لا مجال من خروجها من هذه الحفرة ثم التصرف أمام الكاميرات وفي البرلمان ومع قادة أوروبا وكأن شيئا لم يكن. أيام حكومة ماي صارت معدودة، وعليها التصرف علىٰ هذا الأساس.

تيريزا ماي تضحي بمديري مكتبها هربا من الانتقادات بعد نكسة الانتخابات

رئيسة الوزراء تلجأ إلى الحزب الديمقراطي المتطرف والمغمور لدعم أغلبيتها الهشة

❏ **لندن** – تواجه رئيسة وزراء بريطانيا تيريزا ماي تقارير عن مشاعر بالقلق داخل حزبها حزب المحافظين عقب انتخابات قللت بشدة من نفوذها البرلماني.

وتظاهر عشرات البريطانيين، السبت، في لندن، ضد حزب المحافظين وزعيمته ماي. وتجمع المشاركون بالتحرك في ساحة يطل عليها البرلمان البريطاني استجابة لدعوات من ناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي محاولة لتجاوز نكسة الانتخابات التشريعية وامتصاص النقمة عليها، عمدت ماي إلى الاستغناء عن مديري مكتبها، في محاولة لامتصاص النقمة عليها، قبل عشرة أيام من موعد إطلاق مفاوضات بريكست.

وكان نيك توماتي وفيونا هيل يعتبران من أقرب المقربين إليها، وأعلنا استقالتهما من منصبيهما بعد يومين على الانتخابات التشريعية التي اعتبرت نكسة قاسية لحزب المحافظين.

ونقلت وسائل إعلام بريطانية عدة أن عددا من كبار قياديي حزب المحافظين طالبوا تيريزا ماي بإقالة توماتي وهيل في حال كانت تريد الحفاظ على منصبها والعمل على تشكيل حكومة أقلية بدعم من الحزب البروتستانتي الأيرلندي الشمالي "الحزب الوحدوي الديمقراطي".

وعمل توماتي وهيل إلى جانب تيريزا ماي منذ كانت وزيرة للداخلية بين عامي 2010 و2016، وتعرضا منذ الخميس لانتقادات شديدة واعتبرا مسؤولين عن الحملة الانتخابية "الكارثية" التي قام بها حزب المحافظين.

وكانت ماي دعت إلى هذه الانتخابات المبكرة لتحسين الأكثرية التي تملكها، لكن العكس هو الذي حصل فقد حزب المحافظين 12 مقعدا لتصبح حصته في البرلمان 318 نائبا أي أقل بثمانية مقاعد من الأكثرية المطلوبة وهي 326 مقعدا.

وبعد هذا الفشل الذي اعتبر صفعة شخصية لتيريزا ماي، ارتفعت أصوات من المعارضة العمالية، وحتى في صفوف حزب المحافظين تطالبها بالرحيل. إلا أن رئيسة الحكومة تذرعت بالحاجة إلى "الاستقرار" قبل أيام من بدء مفاوضات بريكست لرفض فكرة التنحي. ويعمل مسؤولون في حزب المحافظين على التفاوض مع الحزب الوحدوي الديمقراطي في أيرلندا الشمالية الذي يملك عشرة نواب للتحالف معه.

وسيتيح الاتفاق مع هذا الحزب الإقليمي المحافظ جدا بقيادة أرلين فوستر لتيريزا ماي ضمان أكثرية في مجلس العموم هي بأمسّ الحاجة إليها لتمرير قراراتها.

وسيعقد البرلمان الجديد اجتماعه الأول الثلاثاء، قبل أن يعقد في التاسع والعشرين من الشهر الحالي اجتماعه الافتتاحي الرسمي الأول، والذي يتزامن مع اليوم الأول من إطلاق محادثات بريكست.

نهاية العجرفة وخيمة

وتأتي الخلافات داخل حزب المحافظين بين الداعمين بشدة لبريكست والقلقين من تداعيات الخروج من الاتحاد الأوروبي، لتزيد الوضع صعوبة أمام تيريزا ماي.

واعتبرت النائبة المحافظة هيدي آلن أن رئيسة الحكومة باقية حاليا في منصبها فقط بسبب اقتراب موعد المفاوضات حول بريكست، قبل أن تضيف "إلا أنني لا أعتقد بأنها ستصمد في منصبها أكثر من ستة أشهر".

ويضع التحالف المحتمل مع الحزب الوحدوي الديمقراطي في أيرلندا الشمالية على المحك حياد الحكومة المفترض من النزاع في أيرلندا الشمالية، وهي منطقة لا تزال تشهد الكثير من التوتر بعد ثلاثين سنة على انتهاء "الاضطرابات" فيها.

وتثير سياسة هذا الحزب الأيرلندي الشمالي شديدة التحفظ على المستوى الاجتماعي، الكثير من القلق في لندن، وحتى في أسكتلندا حيث سارعت زعيمة المحافظين هناك روث ديفيدسون إلى وضع شروطها. والمعروف عن الحزب الوحدوي الديمقراطي في أيرلندا الشمالية أنه يعارض بشدة زواج المثليين والإجهاض.

وقالت زعيمة حزب المحافظين في أسكتلندا روث ديفيدسون التي سبق أن أعلنت أنها ستتزوج قريبا من رفيقتها الأيرلندية "طلبت من تيريزا ماي الضمان الكامل بأنه في حال التوافق مع الحزب الوحدوي الديمقراطي أن يتم ضمان الحفاظ على حقوق المثليين في كافة أراضي المملكة المتحدة".

> التحالف المحتمل مع الحزب الوحدوي الديمقراطي في أيرلندا الشمالية يضع على المحك حياد الحكومة المفترض من النزاع في أيرلندا الشمالية، وهي منطقة لا تزال تشهد الكثير من التوتر بعد ثلاثين سنة على انتهاء الاضطرابات فيها

وكانت ديفيدسون فازت بـ12 مقعدا في أسكتلندا في حين لم يكن لحزب المحافظين في هذه المنطقة سابقا سوى مقعد واحد، ما سيجبر تيريزا ماي على التعاطي معها، مع العلم أن هناك خلافات عدة بين ديفيدسون والحزب الوحدوي الديمقراطي في أيرلندا الشمالية. إذ تعتمد روث ديفيدسون سياسة أقل تشددا إزاء بريكست من تلك المعتمدة حتى الآن في لندن وتتضمن خروجا من السوق المشتركة.

وإذا كان بعض المحللين يعتبرون أن ماي قد تخفف من لهجتها بعد نكستها الأخيرة في الانتخابات، فإنه لم تصدر بعد عن ماي أيّ إشارة تدل على ذلك الأمر الذي جعل عناوين الصحف في لندن تراهن على نحو متزايد على أن جونسون سيتحرك قريبا للإطاحة برئيسة الوزراء.

لم تدرك قطر أن اللعبة تغيرت

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ ارتكبت الدوحة خطأ أساسيا أوصل الوضع الخليجي إلى ما وصل إليه. هناك خطر حقيقي على "مجلس التعاون لدول الخليج العربية" الذي استطاع المحافظة على حدّ أدنى من التماسك منذ تأسّس في العام 1981 في أبوظبي.

استضاف الشيخ زايد بن سلطان القمة الأولى لدول مجلس التعاون الذي لعبت الكويت بقيادة الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد دورا محوريا في تأسيسه في وقت كانت عاصفة الحرب العراقية–الإيرانية تهدّد المنطقة كلها. وهذا ما يفسّر حاليا الجهود التي يبذلها رجل حكيم صاحب خبرة طويلة هو الشيخ صُباح الأحمد أمير الدولة من أجل تفادي مزيد من التدهور في العلاقات الخليجية.

يعود الخطأ الذي ارتكبته الدوحة إلى تجاهل التغيّرات التي حصلت في المنطقة وفي العالم. هناك قبل كلّ شيء حاجة إلى فهم ما هي المملكة العربية السعودية الجديدة وذلك منذ خلف الملك سلمان بن عبدالعزيز أخاه الملك عبدالله أوائل العام 2015. وهناك إدارة أميركية جديدة خلفت إدارة أوباما التي اختزلت مشاكل الشرق الأوسط والخليج وأزماتهما بالملف النووي الإيراني.

تصرّفت قطر في ضوء هذين التطوّرين وكأنّ شيئا لم يكن. فوق ذلك، استخفّت بعمق العلاقة القائمة بين المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة واعتقدت أنّ في استطاعتها اللعب على أيّ اختلافات يمكن أن تحصل بين الجانبين، علما أن أيّ تمايز بين الرياض وأبوظبي في شأن اليمن وغير اليمن يمكن أن يكون موضع نقاش يساهم في تطوير التفاهم العميق القائم بين الجانبين. كانت "عاصفة الحزم" التي أدّت إلى ضرب المشروع الإيراني في اليمن أفضل تعبير عن طبيعة التفاهم السعودي–الإماراتي وجدواه، فضلا عن صلابته.

يعود ما بلغه الوضع الخليجي من سوء إلى حسابات خاطئة قامت بها قطر التي اعتمدت على أن في استطاعتها عمل كل ما تريده في المنطقة من منطلق أنّها تذهب إلى حيث لا يستطيع أن يذهب الآخرون. هذا النوع من التفكير صار جزءا من الماضي، لا لشيء سوى لأن الآخرين أيضا يستطيعون الذهاب إلى أبعد ما تذهب إليه قطر. يستطيعون ذلك من دون ارتكاب خطايا من نوع بث "الجزيرة" للخطب التي كان أسامة بن لادن يسجّلها في مخبئه ويهرّبها إلى الفضائية القطرية المسماة "الجزيرة". كانت تلك الخطب المخيفة تشجّع على الإرهاب وتدخل عقول الصغار في المجتمعات الخليجية خصوصا والعربية عموما في وقت توجد حاجة خليجية وعربية إلى الاستثمار في ثقافة الحياة بدل ثقافة الموت التي نادى بها أسامة بن لادن ومن على شاكلته.

قبل مقتله على يد الأميركيين بأبوت أباد في باكستان في أيار –مايو 2011، كانت "الجزيرة" الوكيل الحصري لخطب أسامة بن لادن. كانت تلك الخطب لا تجد طريقا سوى إلى "الجزيرة". ما وراء هذه الصدفة؟

ما لا بدّ من الاعتراف به أنّ قطر استطاعت الجمع بين كلّ التناقضات. جمعت بين القاعدة الأميركية في العديد والعلاقات العلنية، من فوق الطاولة، مع إسرائيل من جهة وبين الترويج من جهة أخرى لأسامة بن لادن و"حماس" والإخوان المسلمين والقرضاوي و"حزب الله" والحوثيين ونظام بشار الأسد في وقت واحد.

كانت هذه اللعبة، لعبة الجمع بين التناقضات والاستثمار فيها نكاية بالسعودية أوّلا، اللعبة المفضلة للقيادة القطرية، خصوصا في عهد الأمير حمد بن خليفة الذي كان إلى جانبه الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني، رئيس الوزراء وزير الخارجية في الوقت ذاته.

يحتاج التحكّم بهذه اللعبة إلى ذكاء ودهاء شديدين لم يعودا موجودين لدى القطريين من دون أن يعني ذلك أن دور حمد بن خليفة وحمد بن جاسم انتهى. على العكس من ذلك، لا يزال هناك تحكّم للأمير الأب بشؤون الدولة والخطوط العريضة لسياساتها، من بعد أحيانا ومن قرب في أحيان أخرى، وذلك بعدما خلف الشيخ تميم والده في العام 2013.

في مرحلة معيّنة، مباشرة بعد انتقال السلطة من الشيخ حمد إلى الشيخ تميم، وُضع حمد بن جاسم على الرفّ. لكن الحاجة إليه فرضت عودته إلى لعب دور وإن بطريقة غير مباشرة. حدث ذلك لأنّه كان الشخص الوحيد الذي يعرف بدقّة متناهية في كلّ الملفات السياسية والمالية وفي كيفية إدارتها، إضافة بالطبع إلى أنّه يمتلك علاقة شخصية ذات طابع استثنائي بحمد بن خليفة بصفة كونه شريكه في الانقلاب على خليفة بن حمد في العام 1995. فوق ذلك كلّه، لدى حمد بن جاسم بن جبر رجال في كلّ المواقع الأساسية في قطر، ذلك أنّه معروف عنه امتلاكه القدرة على اكتشاف الكفاءات. كان موفّقا في ذلك إلى حدّ ما طبعا.

تغيّرت قوانين اللعبة وشروطها ولم تتغيّر قطر. ذهبت ضحيّة العجز عن استيعاب المتغيرات التي طرأت إن على الصعيد الخليجي أو على الصعيد الأميركي، وحتّى على الصعيد الأوروبي حيث لم يعد نيكولا ساركوزي رئيسا لفرنسا منذ ما يزيد على خمس سنوات.

مثلها مثل إيران، استفادت قطر إلى أبعد حدود من وجود باراك أوباما في البيت الأبيض. باستثناء اغتيال بن لادن، لم تقم إدارة أوباما بأيّ خطوة يفهم منها أنها تستوعب معنى الإرهاب الذي تمارسه تنظيمات سنيّة ولدت من رحم الإخوان المسلمين مثل "القاعدة" أو "داعش" أو الميليشيات المذهبية التي تتحكّم بها إيران والتي باتت شريكا في الحرب على الشعب السوري أو في تغيير طبيعة العراق عن طريق عمليات تطهير لمناطق ومدن من منطلق مذهبي.

اعتقدت قطر أن لديها ما يكفي من الذكاء لتجيير الإرهاب والإرهابيين لمصلحتها واستخدامهم في مضايقة من تعتبرهم أعداءها، بما في ذلك النظام القائم في مصر منذ العام 2013 والذي في أساس قيامه هو رفض شعبي للإخوان المسلمين.

هل تريد قطر التصالح مع الواقع أم تعتقد أن لديها هامشا واسعا للمناورة يمكّنها من الاستمرار في لعبة تتجاوز حجمها بدءا بالتهديد بالانسحاب من مجلس التعاون لدول الخليج العربية وصولا إلى التلويح بفتح أبواب التعاون في العمق مع إيران وزيادة الاعتماد على تركيا؟

إفلات اليد يعني الانهيار

من الأفضل لقطر الاعتراف بأن الماضي مضى وأن معظم العلاقات التي أقامتها والاختراقات التي حققتها لا تفيدها في شيء، بما في ذلك العلاقة مع تركيا التي يمكن أن تلعب دورا تحريضيا لن يصبّ بأيّ شكل في مصلحة قطر والقطريين.

من المفترض حصول عملية مراجعة في العمق لطريقة التعاطي مع الآخر، خصوصا الأعضاء الآخرين في دول مجلس التعاون الخليجي.

بكلام أوضح، ما كان يصلح أيّام الملك عبدالله لم يعد يصلح في أيّام الملك سلمان. إضافة إلى ذلك، أن الرهان على غرق السعودية والإمارات في وحول اليمن ليس في محلّه. ما ليس في محله أيضا الاعتقاد أن تركيا يمكن أن تعوّض عن فقدان قطر للعلاقات مع الأعضاء الآخرين في مجلس التعاون.

هل قطر دولة طبيعية أم لا؟ يفترض أن تتغلّب الحكمة على كلّ ما عداها وذلك عن طريق الاستعانة بوسطة رجل صادق مثل الشيخ صُباح الأحمد. وهذا يعني حصول تغيير كامل في السلوك القطري في عالم لا يرحم. على قطر الاستدارة على سياستها السابقة بشكل جذري تفاديا لما هو أعظم بكثير من الحصار المفروض عليها هذه الأيّام.

في هذا العالم الذي لا يرحم، هناك استثمارات ضخمة لقطر بعشرات المليارات من الدولارات في مناطق مختلفة. هل تريد إيران من أجل المحافظة على هذه الاستثمارات، بدل تجميدها ومصادرتها، لعب دور الشريك المساهم ماليا ومعنويا وسياسيا في محاربة الإرهاب عوض أن تصبح متهمة بلعب أدوار مرتبطة بشكل أو بآخر بالإرهاب؟

عندما يتعلّق الأمر بإنقاذ بلد وشعبه تسهل كلّ التضحيات ولا يعود للعناد أيّ معنى...كلّ ما في الأمر أن الذكاء يفرض عدم الاستخفاف بذكاء الآخرين لا أكثر ولا أقلّ، فضلا عن أن اللعب مع الإرهاب والإرهابيين يظلّ سيفا ذا حدّين.

حرائق طهران رسالة وتحذير

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ اللهم لا شماتة. طبّاخ السم يذوقه، ومن يُخفي العقارب في عُبّه لا بد أن تلدغه واحدة منها ذات يوم.

قبل أسبوع تقريبا تباهى المرشد الأعلى علي خامنئي بأن إيران "جزيرة آمنة وسط منطقة لا تعرف الأمان". وتساءل، خلال استقباله لحشد من مختلف الشرائح الاجتماعية، "أنظروا إلى دول المنطقة، هل هناك مكان آمن؟".

ثم، وبسرعة فائقة، ردّ عليه إرهابيون قتلة يزعم تنظيم داعش أنه الذي أرسلهم، فأقدموا على اقتحام الجزيرة الآمنة، وأذاقوها بعض ما كانت عصابات حرسها الثوري ومخابراتها وميليشياتها العراقية واللبنانية واليمنية والبحرينية والسورية تذيقه للملايين من الآمنين في دول المنطقة من نار ودخان، منذ سنين.

ولعل أخطر ما في تفجيرات طهران الأخيرة أن الإرهابيين لم يختاروا لعمليتهم سوقا شعبيا في طهران، أو حسينية في قم، أو مدرسة في شيراز، بل تجرّأوا وغامروا واقتحموا أقدس شيء وأعز شيء وأغلى شيء على قلب الوليّ الفقيه، بقصد الإهانة والتحدي والعناد.

أذاعت وكالة تسنيم أن مسلحين "أطلقوا الرصاص في مرقد الخميني جنوبي طهران، ما أدّى إلى إصابة عدد من الأشخاص بجروح". وأفاد التلفزيون الإيراني أن "أحد المسلحين المهاجمين أقدم على تفجير حزام ناسف كان يرتديه، في حين قتل مهاجم آخر". وقال إن "القوات الحكومية ألقت القبض أيضا على امرأة كانت بين المهاجمين الذين استهدفوا قبر الإمام". لقد برهن الإرهابيون (الدواعش) الذين اقتحموا ضريح الإمام الخميني ومجلس الشورى على حقيقة غائبة عن فطنة الولي الفقيه، ولكنها ظاهرة لعيان الدنيا الواسعة كلها، ولا تحتاج إلى دليل. فمثلما تستطيع أموال النظام الحاكم في طهران وتجارتُه بالدين والطائفة أن تشتري من المرتزقة والقتلة ما تشاء ومتى تشاء، وتجندهم لحرق المنازل والمساجد وتدمير العمارات والمدارس والجسور وقتل الأبرياء بالمفخخات والأحزمة الناسفة في شوارع المدن العراقية واللبنانية والسورية واليمنية والبحرينية، فإن هذا كله ممكن وسهل جدا على الجبهة المقابلة، دون ريب.

بمعنى آخر إن محترفي الاغتيال والتفخيخ والاغتيال موجودون وجاهزون للبيع أو الإيجار لمن شاء ومتى شاء.

وفي فبراير من العام الماضي أعلن المرشد الأعلى علي خامنئي، وفق ما نقلته أسبوعية خط حزب الله الصادرة عن مكتب المرشد الأعلى، "لولا قتال الحرس الثوري (في سوريا) لتعيَّن علينا خوض الحرب في كرمانشاه وهمدان والمحافظات الأخرى".

وفي الفترة ذاتها أوضح نفس الفكرة العقيد أحمد غلامبور، أحد أبرز قادة الحرس الثوري، سابقا، والأستاذ في جامعة عسكرية بطهران، حاليا، في مقابلة مع وكالة فارس نيوز، فقال "إن الحرب مع العراق لم تكن حربا (إيرانية–عراقية)، كما يظن البعض، بل كانت، حسب توجهات الإمام الخميني، تهدف إلى تحقيق أهداف أبعد من الحدود العراقية".

الإرهاب يضرب في عقر داره

وأكد أن "الثورة الإسلامية الإيرانية لا تعرف حدودا معينة". ثم قال إن جميع المحللين العسكريين يرون أن "أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم" وبناء على ذلك، وبفضل الاستراتيجيات التي وضعها المرشد فإننا نقلنا معركتنا مع العدو إلى سوريا ولبنان والعراق واليمن وأفغانستان وباكستان".

وقال "إن الأمان الذي ينعم به الشعبُ الإيراني هو بفضل خدماتنا بطرد العدوّ خارج حدودنا، والحرب معه خارج أراضينا".

إذن، فحين يكون إشعال الحروب في سوريا ولبنان والعراق واليمن وأفغانستان وباكستان عملا "وطنيا" و"قوميا" و"دينيا" و"طائفيا" شريفا ومقدسا في شرعة النظام الإيراني فقد يكون اقتحام محرماته ومقدساته، كقبر الإمام الخميني ومبنى البرلمان (الشورى)، وحتى معسكراته ومقار حرسه الثوري في إيران الآمنة، عملا، أيضا، "وطنيا" و"قوميا" و"دينيا" و"طائفيا" شريفا ومقدسا، ودفاعا مشروعا عن النفس.

ولو لم يزعم داعش الذي حرص منذ بداية وجوده وإلى اليوم على أن يستثني إيران من دمويته وهمجيته، بأن "مجاهديه" هم الذين قاموا بالعملية في طهران لظن العالم بأن "فاعليها" بعض من أحرق الإيرانيون منازلهم ونهبوا أموالهم واغتصبوا أخواتهم وأمهاتهم وبناتهم وأهانوا مقدساتهم وهجّروا الملايين من أهلهم في العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين ليُذيقوهم سوء العذاب بما كانوا يظلمون.

ولو كذّبنا اتهام النظام الإيراني برعاية داعش، والإبقاء عليه وتسهيل أعماله، من أجل الاستفادة من فجوره وشروره، فتبرئتُه من تهمة ممارسة الإرهاب، بنفسه، في بلاد الله الواسعة، أمرٌ لا يستقيم مع العدل ولا مع العقل ولا الحقيقة. فممارسة العنف كأداة سياسية إرهاب. وتمويله إرهاب. وتصدير الفكر الظلامي الطائفي والعنصري الذي يؤجج الأحقاد بين الطوائف والشعوب إرهاب. والقتل على الهوية إرهاب. وتهريب السلاح والمال إلى جماعات متخلّفة متمردة في دول آمنة إرهاب أيضا. واحتلال جزر الغير إرهاب. وتحريك الطوابير الخامسة في الدول الأخرى إرهاب.

> ممارسة العنف كأداة سياسية إرهاب. وتمويله إرهاب. وتصدير الفكر الظلامي الطائفي والعنصري الذي يؤجج الأحقاد بين الطوائف والشعوب إرهاب. والقتل على الهوية إرهاب. وتهريب السلاح والمال إلى جماعات متخلفة متمردة في دول آمنة إرهاب أيضا. واحتلال جزر الغير إرهاب. وتحريك الطوابير الخامسة في الدول الأخرى إرهاب

وتقول أنباء الإذاعات والتلفزيونات اليوم إن النظام الإيراني اتخذ إجراءات أمنية مشددة جدا، ونشر المفارز والسرايا في مداخل مباني الحكومة وفي الأماكن العامة تحسبا لجرائم تفجير جديدة يقوم بها إرهابيون من الداخل أو وافدون من الخارج.

ونسأل المرشد الأعلى الذي تباهى بقلة أمن دول الجوار: أليست عدالة من الله أن يعيد البعض من بضاعتكم إليكم؟ فالعين بالعين والسن بالسن والمفخخة بالمفخخة والبادي أظلم. فهل من يَعتبر؟

السعودية أقوى من التماسيح وأكبر من مطعميها

الرياض تساير تغيرات السياسة الدولية وتعيد صياغة معادلات صنع القرار في المنطقة

السعودية قوة إقليمية ذات نفوذ وتأثير على الوضع العربي والإسلامي والدولي عموما، لكن، منذ عقود، ظلّ هذا التأثير معنويا مستمدا من المكانة المقدسة للسعودية من جهة ومرتبطا أساسا بالسياسات الأميركية من جهة أخرى؛ لكن اليوم، تغيرت الصورة، ومعايير الشرق الأوسط "الجديد" تقتضي أن تكون السعودية، بكل ما تحمله من ثقل في المنطقة والعالم، فاعلة وصاحبة قرار فردي وسيادي، تأخذه وتطبقه وتضع واشنطن، والعالم، أمام الأمر الواقع، لا العكس.

أسعد البصري
كاتب عراقي

الجمع بين حكمة الشيوخ وهمة الشباب

❑ السعودية هي الاقتصاد الـ12 في العالم، أعظم قوة اقتصادية في غرب آسيا وأكبر دولة مصدرة للنفط في العالم وقوة مؤثرة في السياسة العالمية، لموقعها الاقتصادي والروحي وتأثيرها في المسلمين السنّة. ثلاثة عوامل جعلت الخليج العربي من أهم المناطق في العالم هي احتياطي النفط والغاز والموقع الاستراتيجي والعتبات المقدسة المتمثلة بمكة والمدينة.

من ناحية الطاقة إذا اعتبرنا إيران وبلاد الشام من ضمن المنطقة فإنها تحتوي على 55 بالمئة من احتياطي البترول في العالم و40 بالمئة من احتياطي الغاز الطبيعي. المنطقة حاليا تنتج 30 بالمئة من النفط العالمي.

كل الاقتصادات المهمة من الولايات المتحدة إلى أوروبا والصين واليابان وكوريا الجنوبية تعتمد على منتجات الخليج البترولية. الإنتاج الخليجي مسؤول عن استقرار نصف الدخل الاقتصادي العالمي. وهذا الإنتاج مسؤول بشكل مباشر وغير مباشر عن معيشة 60 بالمئة من سكان العالم.

يعتبر الخليج ممرّا لثلاث طرق تجارية بحرية في العالم؛ مثلا يربط الخليج أفريقيا بأوروبا من قناة السويس ويربط الباسيفيك الآسيوي بالمحيط الهندي الذي يمر بمضيق هرمز وباب المندب، كذلك يربط الخليج مراكز التواصل في الطرق البحرية الرئيسية.

> الخارجية السعودية أثارت إعجاب العالم بصبرها وذكائها على إدارة أميركية تتخبط مثل إدارة أوباما وقالت إنها تنطلق من التمنيات والحنين أكثر من الواقع. فالنظام الإيراني الحالي يختلف عن نظام الشاه العلماني الوطني

على الصعيد العالمي 20 بالمئة من النفط العالمي تمر بمضيق هرمز و6 بالمئة منه عبر باب المندب. في هذه المنطقة نفسها تقع العتبات المقدّسة للمسلمين مكة والمدينة، حيث تعتبر السعودية المركز الروحي للمسلمين وهذا منحها تفوقا ثقافيا وسيكولوجيا.

تعرضت منطقة الخليج إلى هزّة عنيفة خلال سنوات الرئيس باراك أوباما الذي تبنى "إعادة التوازن" في السياسة الخارجية للشرق الأوسط، وتقارب مع طهران على خلفية الاتفاق النووي، وأنعش إيران بعد جفوة امتدت لثلاثة عقود.

المستقبل الغامض للربيع العربي وتجدد النزاع الطائفي في المنطقة أصبح يستهدف الحدود الدولية، إضافة إلى صعود قوى جديدة كالهند والصين والاقتصاد الآسيوي وهي بحاجة ماسة إلى البترول ومصادر الطاقة من الخليج لإنعاش صناعاتها، وأخيرا تراجع الولايات المتحدة وقفزة روسيا المفاجئة إلى الواجهة في الشرق الأوسط. دفعت كل هذه الهزات السعودية إلى اتخاذ طريق سياسي جديد للمملكة والخليج عموما.

نشاطات الإدارة السابقة والتحوّلات السياسية دفعت المملكة إلى مراجعة خياراتها الاستراتيجية. مسألة "إعادة التوازن" التي تحدثت عنها الإدارة الأميركية السابقة أزعجت الرياض كثيرا. فإذا كانت طهران ما زالت خمينية وتصدّر الإرهاب وتتبنى سياسة وصفها كيسنجر في جلسة استماع بالكونغرس عام 2015 بأنها "مزيج من الدين والإمبريالية" هدفها التوسّع وحذّر من التقارب معها، كيف يمكن للمملكة القبول بالتعامل معها دون تغيير ملموس في سياستها الخارجية تجاه العرب؟

أثارت الخارجية السعودية إعجاب العالم بصبرها وذكائها على إدارة أميركية تتخبط مثل إدارة أوباما وقالت إنها تنطلق من التمنيات والحنين أكثر من الواقع. فالنظام الإيراني الحالي يختلف عن نظام الشاه العلماني الوطني.

تعرف الرياض أنه بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية ملأت بريطانيا الفراغ في الشرق الأوسط، وبعد انسحاب بريطانيا عام 1970 من جميع البحار والجزر وتخليها عن مستعمراتها ملأت الولايات المتحدة الفراغ.

حاول الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود بحكمته الدخول تحت المظلة الأميركية لضمان استقرار البلاد. كانت الولايات المتحدة تقف على قاعدتين هما إيران والسعودية ولكن ذلك لم يستمر سوى سنوات قليلة. فبعد الثورة الخمينية وأزمة الرهائن الأميركيين عام 1979 والاجتياح الروسي لأفغانستان تطور التحالف السعودي مع أميركا وأصبح أساسيا.

يمتدّ التحالف قدما منذ 1945 غير أنه تطور مع الزمن وأصبح مركزيا في المنطقة إلى درجة أنه تجاوز المصالح النفطية والأمنية للبلدين. وبطبيعة الحال مرت العلاقة بأزمات أبرزها الحادي عشر من سبتمبر وسياسة الرئيس أوباما القلقة التي نشرت الفوضى لكن سرعان ما عادت العلاقة بقوة بعد قمة الرياض الأخيرة. حسمت واشنطن في تلك القمة التاريخية خياراتها فألغت مشروع التقارب مع إيران وعادت الرياض لتكون الدولة المركزية الأهم في الشرق الأوسط.

شكّل أوباما صدمة كبيرة للرياض. فبعد ثمانية عقود من التحالف القويّ مع واشنطن تخطت فيها العلاقة مجرد تأمين مصادر النفط أو حماية البلاد، بل كانت السعودية دائما مستعدة للتعاون ضد التوسع الشيوعي وساعدت واشنطن في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية في الحرب الباردة. وعبر التاريخ فالسعودية أكبر مستورد للسلاح الأميركي والضامن لاستثمارات ومصانع أميركية ضخمة، وحتى في ودائع البترول الفلكية كانت المملكة تمنح طوعيا الأولوية للبنوك الأميركية دون شروط شاقة ولا فوائد كبيرة أو تعقيدات.

بالمقابل، ساعدت الولايات المتحدة المملكة لتصبح أكبر منتج للنفط في العالم ومكّنت مواطنيها من الحصول على تعليم راق وحياة عصرية. اليوم تعتبر السعودية من أغنى الأمم في العالم، وأكبر اقتصاد في العالم العربي، والدولة العربية الوحيدة في مجموعة العشرين، ووطن للشباب المتمتع بأحدث السلع والخبرات التكنولوجية.

لم تساعد واشنطن الرياض لامتلاك السلاح النووي أو لتصبح عضوا دائما في مجلس الأمن لتتمكن من الدفاع عن السلام وتواجه التحديات الداخلية والخارجية في الخليج. تستحق السعودية دعما عالميا لتصبح قلعة إقليمية حتى تتمكن من الحفاظ على الرفاه والاستقرار في الشرق الأوسط.

السعودية تتغير

وليّ وليّ العهد السعودي الأمير الطموح محمد بن سلمان رأى أن هناك حاجة إلى التغيير في المملكة أبعد من السياسة وتشمل المجتمع والثقافة العامة. فلم تنجح السعودية خلال ثمانية عقود من الرفاه والاستقرار من أن تحوّل نفسها إلى دولة متقدمة تكنولوجيًا في المنطقة، ولا أن تكون وطنا لمراكز البحوث والتطور العلمي.

كان الأمير الشاب يفكر بأن السعودية تمتلك كل الوسائل الاقتصادية للتحول إلى دولة متقدمة خصوصا علاقة المملكة القوية بواشنطن. ويعلم الأمير أن اليابان وألمانيا اعتمدتا كليا على مساعدة الولايات المتحدة للتحول إلى دولتين صناعيتين بعد الحرب العالمية الثانية. وليس ببعيد عنا دور الولايات المتحدة في الطفرة العلمية والصناعية لكل من كوريا الجنوبية وإسرائيل.

قبل رؤية الأمير محمد بن سلمان كان البعض يقول إن أمام السعودية تحديان هما كيف يمكن ضمان حماية الولايات المتحدة ومواجهة الأخطار الخارجية والمعارضة الداخلية أمام انخفاض أسعار النفط وعدم استقرارها، وأيضا أمام مجتمع نسبة الشباب فيه دون الـ30 عاما تصل إلى 60 بالمئة معظمهم يتمتع بخبرات تكنولوجية ومستوى متطور من الوعي السياسي.

كان الاعتقاد بأن الربيع العربي وتطوّر وسائل التواصل الاجتماعي وتحريض دولة قطر وقناة الجزيرة والإخوان المسلمين عوامل ستدفع الشباب السعودي إلى المعارضة. الذي حدث حين تدخلت السعودية عام 2011 في أحداث البحرين دون علم الولايات المتحدة، وحين أعلنت الرياض عاصفة الحزم على عصابات الحوثي عام 2015، وحين أعلن وزير الدفاع السعودي رغبة بلاده إلى التحول الصناعي وضرب التطرف وألغى صلاحيات الهيئة التي كانت تخنق الحريات العامة، وقال إن مجتمعا شابا لا يشكل خطرا على البلاد بل يعتبر نعمة وميزة لأن المملكة بحاجة لهم في مشاريعها. رأينا بعدها الانسجام بين الدولة والشباب السعودي فهم حقا يحبون بلادهم ويفخرون بها.

بلد محصن

الملك الراحل عبدالله بن عبدالعزيز وزع منحا على الشعب مرة بمبلغ 150 مليار دولار ومرة ثانية بمبلغ 135 مليار دولار، وحين اعتلى الملك الجديد سلمان بن عبدالعزيز العرش وزع على شعبه العزيز 40 مليار دولار. والدولة فتحت مؤسسة "نطاقات" لتوظيف الشباب العاطل عن العمل، وكذلك وجّه الملك وزارة العمل للبدء بسياسة "حافظ" وهي برنامج تأمين اجتماعي من الدولة للشباب العاطلين.السعودية دولة تتحرك بسرعة كما يقول الخبراء وتتجاوز الأزمات بموهبة عجيبة.

كان الاعتقاد السائد في عهد أوباما أن المملكة اعتمدت على النفط والإسلام في قوّتها، وكلا العاملين لم يعد بالأهمية السابقة بعد اكتشاف النفط الصخري وتحول الولايات المتحدة إلى دولة مصدرة للنفط. وصاروا يتحدثون عن اكتشاف احتياطات جديدة للنفط في روسيا وتأثير عودة ليبيا وإيران إلى السوق النفطية.

حتى بدائل الطاقة وقرب نفاد النفط عام 2030 كان يتم الترويج له إعلاميا للضغط على المملكة سياسيا. صاروا يقولون إن نسخة السعودية عن الإسلام السلفي غير مرحب بها بعد انتشار التطرف ويحتاج إلى نسخة أخرى قد تكون شيعية. كل هذا العبث والضغط لم يضر المنطقة فقط بل فجّر العالم وأدخله في فوضى. لقد فهم الرئيس الأميركي دونالد ترامب أن سياسة العولمة والتقارب مع الخمينية سيؤديان إلى تراجع الولايات المتحدة لصالح قوى أخرى مثل روسيا وقد يؤديان إلى انتشار الإرهاب وانهيار الشرق الأوسط.

نتيجة لهذه الحقائق منح الرئيس ترامب المملكة حرية أكبر في تأديب حكومة خليجية مارقة مثل قطر تنشر الإرهاب وتساعد إيران في تكريس الفوضى وتحقيق انقلاب سياسي في المنطقة. واشنطن اليوم تسعى إلى الاستقرار وليس إلى فوضى خلاقة وانتشار للإرهاب. أعتقد أن أمام الدوحة فرصة لتفهم حجمها الحقيقي مقابل العملاق السعودي وتغيرات السياسة الدولية.

قرار ترامب بتسليح السعودية بصفقة قيمتها 110 مليار دولار والاعتماد عليها في ترتيب الشرق الأوسط لم يأت من فراغ. فبعد خوض حربين في العراق فشلت واشنطن في ضمان استقرار هذا البلد، وبعد هزيمة مكلفة في أفغانستان سقط كلا البلدين في نهاية المطاف تحت النفوذ الإيراني رغم التكاليف الباهظة التي دفعتها واشنطن لإسقاط حكومة طالبان وصدام حسين. التدخل الغربي في ليبيا أدخل البلاد في فوضى مماثلة، وكذلك الفشل في سوريا والتدخل الإيراني والروسي لتثبيت الأسد. وفوق كل هذا التعقيد امتدت اليد الإيرانية إلى صنعاء وانهار اليمن.

كان ذلك فوق احتمال الولايات المتحدة ولا بد من الاعتماد على حليف محلي موثوق لضمان استقرار المنطقة بطريقة عضوية قريبة من واقعها وثقافتها. لقد بلغ الفشل الأميركي ذروته عام 2014 حين وجدت الولايات المتحدة نفسها مضطرة للتحالف مع الإرهاب الإسلامي الإيراني للقضاء على الإرهاب الإسلامي الداعشي.

وحين سيطر الحوثيون على صنعاء انطلق المسلحون نحو الجنوب للسيطرة على مضيق باب المندب لخنق الملاحة السعودية كليا. عندها انطلقت عاصفة الحزم وأثبتت المملكة بأنها ليست ضعيفة ولا عاجزة عن اتخاذ القرارات الحاسمة أمام هذا التخبط الأميركي في المنطقة.

لقد تعلمت المملكة كثيرا من حرب اليمن فقد اختبرت من خلالها تحالفاتها بعد تراجع باكستان عن الدعم رغم كل ما قدمته المملكة لها حتى أنها السبب في إنقاذ حياة رئيس حكومتها نواز شريف وساعدتها ماليا في امتلاك التقنية النووية. كذلك اكتشفت الرياض قوتها وقدرات جيشها الوطني واعتمادها على النفس.

هذه هي السعودية وهذا حجمها في العالم ودورها في الشرق الأوسط لمن لا يعلم. زعيم الحشد الشعبي العراقي أبو مهدي المهندس يقول إنه سيكمل الزحف إلى الرياض بعد أن منحت قطر الميليشيات مليار دولار بحجة تحرير رهائن قطريين قبل شهر.

هذا الإرهابي يظن أننا في عهد أوباما ولا يعلم بأن الرئيس ترامب قد عقد العزم على إنهاء الإرهابيين جميعا وحماية حلفاء واشنطن. فقد قال ترامب في بيان معلقا على الهجمات الداعشية التي تعرضت لها طهران مؤخرا "نشير إلى أن الدول التي تدعم الإرهاب يمكن أن تصبح من ضحايا الشر الذي تدعمه".

صارت الصورة واضحة في أن طهران سبب ومصدر الإرهاب في العالم. وتعليقا على موقف السعودية من قطر قال ترامب "إن ما سيقوم به الملك سلمان سيؤدي إلى وقف تمويل الجماعات المتطرفة ونهايتها". وهذا ينسجم مع تصريح وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية أنور قرقاش حيث قال إن المطلوب تغيير سياسة قطر لتتوقف عن "إطعام التماسيح"، وهذه استعارة تنطبق على قطر تماما.

العراق والسعودية

بالنسبة إلى شعبي العراقي الذي يدعم بعضه الميليشيات أحب أن أذكرهم كم تباكيتم في الصحافة السعودية لتساعدكم على إسقاط صدام حسين. تقولون إنه اتبع سياسة "عسكرة المجتمعا" وأنتم شعب مسالم لا يحب العسكرية والسلاح والحروب. وبعد أن ساعدتكم الرياض يتطوّع بعضكم بالآلاف في الميليشيات الإيرانية ويهدد المملكة بلا سبب وتقومون بتدريب حتى الأطفال وطلاب المدارس في معسكرات طائفية وتعلمونهم كراهية السعودية.

المشكلة نحن العراقيون نتعامل مع نفس النظام السعودي والعائلة الحاكمة التي كانت تراقبنا في الخمسينات من القرن الماضي كيف قتلنا العائلة المالكة الهاشمية، وكانت تصل التقارير والصور إلى ذات الوزارة السعودية.

وبعدها ذات الحكومة السعودية سمعت الكلام العراقي الكثير عن الشيوعية والإلحاد والسفور والتحرر ثم القومية والعروبة، وذات العائلة الملكية تراقب بتعجب كيف ننعتهم بالتخلف والرجعية دون سبب ولا عداوة. ثم انقلبنا من العلمانية والتحرر إلى "بوياي سكينة، بوياي رقية، بوياي زينب، بوياي فاطمة، بوياي الحسين، بوياي العباسا" وفجأة صار الحديث حول قباب البقيع والقضاء على السعودية.

نفس الحكومة السعودية تنظر إلينا بدهشة منذ ستين عاما ويتساءلون بصدق "ما بال هؤلاء؟" أو "شبلاهم؟". ينظر السعوديون بدهشة إلى ميليشيات عراقية ودواعش صاروا يلبسون نساءهم البرقع ويتهمون السعودية بعدم تطبيق الدين المتشدد وقتال أميركا. السعوديون ينظرون إلينا وحواجبهم مرتفعة من الدهشة.

علينا أن نفهم بأن السعودية دولة علمانية حديثة من ناحية أن الحاكم الدنيوي أقوى من رجال الدين. بينما في العراق مَن يستطيع تأديب السيستاني أو الصدر أو الحكيم؟ هؤلاء رجال دين عندهم ميليشيات مسلحة وأقوى من الدولة. وفي النهاية لا الميليشيات ولا ولاية الفقيه الإيرانية ولا الإخوان المسلمون ولا دولة قطر تستطيع تهديد دولة عملاقة ذات وزن واحترام عالمي كالمملكة العربية السعودية. وإذا استعرنا تعبير الوزير الإماراتي فإن السعودية أقوى من التماسيح وأكبر من مطعميها.

رئيسة الوزراء التي تعصف بحقوق الإنسان وتبقي على حقوق الجهاديين

تيريزا ماي
حديدية بريكست وصفيح الإسلام السياسي

أحمد أبودوح

❑ **لندن** – لا أحد يعرف ما يدور في عقل رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي. هذه سيدة لم تعرف النجاح تقريبا في كل الملفات التي كانت وصارت مسؤولة عنها. في بريطانيا، ماي هي التجسيد الحرفي لسياسة "الدوران والرجوع إلى الخلف". منذ إعلانها في أبريل عن إجراء انتخابات مبكرة غيرت ماي خطابها وتغيرت معه.

اليوم ماي لم تعد تؤمن بالاتحاد الأوروبي، وصارت "خصما" للطبقات الفقيرة والشباب في البلد، وفي يوم وليلة خرجت بخطاب معادٍ لقوانين حقوق الإنسان.

حقوق الإنسان! لماذا؟ كل ذلك بسبب الإرهاب، أم للانتخابات ضروراتها؟ أليست هذه هي وزيرة الداخلية التي منحت حق اللجوء لقيادات التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وسلفيين ومتطرفين من جنوب شرق آسيا وحتى المغرب؟

> أبو قتادة، ومعه أنجم شودري الداعية المتشدد من أصول باكستانية، هما صورتان لحالة السلفية الجهادية قبل ظهور تنظيم داعش. لم يكن لدى هؤلاء الدعاة تنظيم، وآخر ما كانوا يستطيعون الوصول إليه هو التسبب ببعض الضوضاء لا أكثر. لكن كارثة بريطانيا الحقيقية هي تنظيم الإخوان المسلمين

أليست ماي هي الوزيرة التي كانت الجمعيات والمساجد والمدارس الإسلامية تتسلل إلى البلد من تحت أنفها؟ ألم تكن ماي مسؤولة عن أجهزة الاستخبارات التي كانت تشرف على ترحيل الليبيين والسوريين من أجل القتال في صفوف جماعات متطرفة ضد نظامي معمر القذافي وبشار الأسد، دون أن يتحرّك لها جفن؟

في النهاية لن يحصل شيء سوى أن ماي ستعصف بحقوق الإنسان، وتبقي على حقوق الجهاديين!

نحن أمام عملية غسيل يد وتبييض سمعة غير مسبوقة. حقيقة أن سلمان العبيدي مرتكب مذبحة مانشستر، التي راح ضحيتها 22 شخصا، ليبي قاتل والده وشقيقه ضمن صفوف الجماعة الليبية المقاتلة، كشفت ما كنا نخاف أن نعرفه.

يقول تحقيق استقصائي عمل عليه مجموعة من الصحافيين البريطانيين إن الأجهزة الأمنية البريطانية، تحت إشراف ماي، سهلت لسلمان العبيدي ووالده رمضان السفر لقتال القذافي عام 2011، كما وافقت على دعم وتسليح قطر لجماعات متشددة هناك.

إحدى الجماعات التي سلّحتها ودعّمتها قطر في عام 2011 كانت "لواء شهداء 17 فبراير"، وهي الجماعة نفسها التي تشير التقارير إلى أن العبيدي انضم إليها.

الأصول الليبية لرشيد رضوان، الذي شارك في الهجوم على جسر لندن وراح ضحيته 7 أشخاص، ستفتح أيضا قوس الاتهامات الأخلاقية لماي دون أن تغلقه.

بضاعة بالية

عقلية ماي المحافظة التقليدية تظهر في كل جوانب شخصيتها الجامدة. هذه السيدة الملقبة بـ"المرأة الروبوت" ولدت في الأول من أكتوبر عام 1956، في بيت قس كان معروفا عنه التحفظ في كل شيء، قبل أن تكمل تعليمها في مدينة أوكسفورد.

في مطلع القرن ألقت ماي قنبلة ستؤثر كثيرا على حياتها السياسية، عندما قالت إن الناس باتوا يرون المحافظين على أنهم "حزب الأشرار".

بعد استفتاء يونيو 2016 الذي أدى إلى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، كان على رئيس الوزراء ديفيد كاميرون، الذي راهن على الاستفتاء في سبيل ترميم الصدع بين صفوف حزبه، الرحيل.

هذا الموقف المفاجئ وضع ماي أمام خيارين: الخيار الأخلاقي بالرحيل معه بصفتها واحدة من أكثر المؤيدين في الحزب للاتحاد الأوروبي، أو الخيار البراغماتي بتولي رئاسة الوزراء.

فجأة تحولت ماي من أكثر المؤيدين للاتحاد إلى أكثر المعادين له وقبضت على مقعد رئاسة الحكومة. شعار "بريكست يعني بريكست" الذي سيؤسس شخصيتها في ما بعد كـ"امرأة حديدية" محتملة جعلها تعتقد أن المحافظين وصلوا إلى أوج قوتهم. ضعف زعيم حزب العمال جيرمي كوربين وانقسام الحزب جعل العماليين يبدون وكأنهم هدف واضح يلوح أمام ماي. لم تتردد رئيسة الوزراء في التقاط البندقية وإطلاق النار على الهدف مباشرة.

النار هنا هي إعلانها في منتصف أبريل الماضي عن إجراء انتخابات تشريعية مبكرة كانت تتطلع إلى وضعها في قمة برج لا تستطيع المعارضة ولا غيرها الوصول إليه. لكن النار ارتدّت على مطلقها.

فالإنتخابات، التي أنتجت برلمانا بلا أغلبية، هي تجسيد لحسابات ماي الخاطئة. بدلا من الأغلبية الساحقة التي كانت تسعى إليها فإن "التفويض الذي خرجت به هو فقد مقاعد للمحافظين وفقد أصوات وفقد دعم وفقد ثقة"، كما قال كوربين.

بضاعة ماي السياسية دائما هي سعيها لأن تكون جزءا من حكومة "قوية ومستقرة". منذ أن تولت منصب وزيرة الداخلية عام 2010 جاءت ماي ومعها شبح جاهز كي تخيف به الناس: الهجرة، الهجرة، الهجرة. حسنا.

الهجرة في بريطانيا هي مشكلة ذات أذرع طويلة ضاربة في صلب إرث الإمبراطورية ولبّ العقل الجمعي للبريطانيين الذين صاروا يخافون من الجميع؛ من أوروبا والشرق الأوسط واليسار والمسلمين. مشكلة ماي أنها تعاملت مع الهجرة باعتبارها قضية أمنية فقط. هذا المفهوم الساذج جعلها تبدو وكأنها تبحث عن إبرة في كومة قش. هذه الإبرة هي الإرهابيون المختبئون وسط مجتمع الإسلاميين الأوسع. انشغلت ماي بالبحث عن الإرهابيين، وتركت البيئة التي تصنع الإرهاب.

كان لدى ماي نظرة بسيطة: تقليص الخطر الإرهابي بخفض أكبر عدد ممكن من المسلمين الوافدين. المشكلة هي أنها كانت تمنع المسلمين المعتدلين، وتفتح أبواب البلد في وجه المتشددين. أغلب هؤلاء كانوا فارين من ملاحقات جنائية في بلدانهم.

ثمة شق اقتصادي آخر كان يتحكم في سياسة الهجرة ضمن رؤية حزب المحافظين. الشعار الذي رفعته حكومة كاميرون هي خفض أعداد المهاجرين من مئات الآلاف إلى عشرات الآلاف. المحافظون كانوا يعرفون أن قضية الهجرة هي الحلقة الوحيدة التي تربط تطلعات أقصى اليمين وأقصى اليسار معا: القوميون المعادون لأوروبا، والعمال.

القصف الإعلامي وصعود اليمين حوّلا المهاجر القادم من شرق أوروبا من مساهم أساسي في التنمية إلى "طابور خامس". فجأة صرنا نسمع عن سيناريو أشبه بالدمار وكوابيس الخيال العلمي في سلسلة أفلام "حرب النجوم". الكابوس الذي سيتحول إلى حقيقة لاحقا هو خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (بريكست).

انشغلت ماي، التي كانت مسؤولة عن ملف الهجرة آنذاك، بعملية "صيد الساحرات" التي أطلقت في الإعلام وفي الندوات العامة والمهرجانات الجماهيرية خلف كل ما هو أوروبي في بريطانيا. أيّ نقاش معاكس كان يخرس بصيحات: الوظائف، الوظائف، الوظائف!

الصخب المتصاعد دمج قضية الجالية المسلمة من دون قصد في ملف الهجرة. هنا تاهت القضية الأساسية. البعدان السياسي والاقتصادي خبّئا خلفهما المشكلة الاجتماعية والأيديولوجية.

لعنة الإخوان

الإسلاميون كانوا يعملون بكل طاقتهم على تأسيس قاعدة اجتماعية تحوّلت مع الوقت إلى حاضنة شعبية لاستقبال المتشدّدين، وتجنيد المزيد من الشباب المنتمين إلى الجيلين الثاني والثالث للمهاجرين. الإخوان المسلمون مثلا تمكنوا من خلق منظومة للرعاية الاجتماعية تقوم على جمع التبرعات، وتفوق منظوماتها الاجتماعية في كثير من الدول العربية نفسها.

اليوم صار لدينا 5 آلاف جمعية إسلامية تعمل على الأراضي البريطانية.

في نفس الوقت كانت ماي (وزيرة الداخلية) أسيرة عقدة الأزمة الاقتصادية التي ضربت قطاع العقارات والقطاع المصرفي أواخر العقد الماضي. النتيجة كانت تخفيض الإنفاق على أجهزة الاستخبارات، وإلغاء وظائف 20 ألف شرطي. الأمن كان يخسر الأرض لصالح الإرهاب الصاعد بفعل زخم ما يعرف بـ"الربيع العربي"، الذي أدى إلى وصول الإخوان المسلمين إلى الحكم في مصر وليبيا وتونس.

في بريطانيا الآن 23 ألفا يشتبه بأنهم يتبنّون أفكارا جهادية. الاستخبارات الداخلية البريطانية "إم آي 5" لا تملك الموارد ولا العدد الكافي من العملاء المتخصصين في مكافحة التشدد الإسلامي. ثمة 4 آلاف ضابط ومخبر فقط مسؤولون في هذا الجهاز عن الملف. هؤلاء لديهم ميزانية تكفي لوضع 500 جهادي فقط تحت الرقابة لمدة 24 ساعة في اليوم.

إذا كان لا بد من محاسبة ماي سياسيا على شيء، فيجب عقابها على مسؤوليتها في غض الطرف عن تنامي البيئة التي غذّت التشدد منذ أن تولت منصبها في وزارة الداخلية. الحزم الذي أظهرته ماي في قضية ترحيل الداعية الفلسطيني المتشدد عمر محمود عثمان (أبو قتادة) كان في جوهره تحويلا للأنظار بعيدا عن المشكلة الأساسية. أبو قتادة، ومعه أنجم شودري الداعية المتشدد من أصول باكستانية، هما صورتان لحالة السلفية الجهادية قبل ظهور تنظيم داعش. لم يكن لدى هؤلاء الدعاة تنظيم، وآخر ما كانوا يستطيعون الوصول إليه هو التسبب ببعض الضوضاء لا أكثر. كارثة بريطانيا الحقيقية هي تنظيم الإخوان المسلمين.

عندما صعد تنظيم داعش بدءًا بعام 2013 وجد الأرض ممهدة. العقود الطويلة التي عمل الإخوان خلالها على زرع بذور أفكارهم أتت أكلها فجأة. بناء الحالة التكفيرية استغرق كل الوقت، أما انفجارها فحدث في غمضة عين.

استيقظت ماي، ومعها كل الطبقة السياسية البريطانية على دوي الانفجار. الفزع والصدمة غيرا تقاليد الخطاب البائس والرّتيب. اليوم صرنا نسمع رئيسة الوزراء تقول إن "كلاما صعبا يجب أن يقال لهؤلاء" الإسلاميين، وأنّ "ثمّة من يعيشون وسط الجالية المسلمة ويدعمون الإرهابيين".

اليوم هذا الكلام! هل يجب أن تتراكم طبقات من السّذاجة فوق بعضها البعض كي يصل السياسيون الغربيون في مقاربتهم تجاه الإسلاميين إلى العقل والحكمة؟ المشكلة هي أن سذاجة الموظفين الصغار أو الصحافيين أو رجال الأمن يمكن تداركها. سذاجة رئيس الوزراء مكلفة.

إذا لم يكن سيلان الدم في شوارع لندن ومانشستر كافيا لإخراج الغول الإسلامي من الحديقة، فمتى يحصل ذلك؟

الإخوان المسلمون هم ذلك الغول. هم الوجه القبيح للإسلام، ومن ثم للجالية المسلمة وتلك السيدة التي ترتدي الحجاب، وذلك الشيخ الذاهب إلى المسجد، وصاحب الجزارة الحلال، والبائع في هذا السوبرماركت العربي الأصيل.

كل هؤلاء لا يستحقون أن تترك علامات حمراء على أبواب بيوتهم. كلهم لا يستحقون الملاحقة والضرب والسحل لأن لون بشرتهم مختلف. كلهم أيضا مسالمون ومؤمنون بالله ولا يدعمون داعش.

إذا لم تتحرك بريطانيا لحصار الإسلاميين فلن تتوقف عند دور البلد الحاضن للإرهاب، بل ستصبح بلدا رئيسيا مصدّرا له. الجدل الآن يصعد من أسفل إلى أعلى. من الشارع حيث الناس قد فاض بهم الكيل، إلى طبقة السياسيين الحالمين الذين مازالوا يعيشون في الماضي. هذه الأيام التي لم يكن فيها نقاب ولا شادور ولا لحية طويلة تتدلى على صدر رجل يلبس جلبابا قصيرا ويسير وسط شارع أوكسفورد.

على هؤلاء أن يستيقظوا للعالم الذي أصبح، لا ذلك الذي كان. على بريطانيا أن تعي الثمن، قبل أن تضطر إلى دفعه.

● محاسبة ماي سياسيا يجب أن تكون عن مسؤوليتها في غض الطرف عن تنامي البيئة التي غذّت التشدد منذ أن تولّت منصبها في وزارة الداخلية. الحزم الذي أظهرته ماي في قضية ترحيل الداعية الفلسطيني المتشدد عمر محمود عثمان (أبو قتادة) كان في جوهره تحويلا للأنظار بعيدا عن المشكلة الأساسية.

ظروف متغيرة قد تتطلب وجها آخر للحكم

تميم على سرّ أبيه

❑ **الدوحة** – توفرت لأمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني الظروف المثلى لكي يمارس الحكم ضمن قواعد إيجابية تنقل البلاد من حقبة التوتر، التي حشر بها والده قطر، إلى حقبة الانفتاح والتواصل مع العالم أجمع. توفرت للأمير الشاب أن يستفيد من الموقع الذي تحتله بلاده في قطاع السياسة والاقتصاد والإعلام، مغتنما فرصة التداول على السلطة التي قررها الأمير السابق الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

أوحى الأمر آنذاك للقطريين والخليجيين والعرب والعالم، أن المسألة ليست تبديلا للوجوه بين والد ونجله، بل إنها فاتحة لتبدل في خيارات وسياسات لطالما أثارت كثيراً من الشبهات حول الأجندات الملتبسة التي تخفيها الدولة الصغير، وحول الأدوار "الوقحة" التي تلعبها مقارنة بحجم هذه الدولة وتاريخ قيامها.

لم يكن تميم إلا ظلّ أبيه. عرفه القطريون حين انتقل من مرتبة ابن الأمير إلى وليّ عهده عام 2003. تمرّس الأمير الصغير في أصول الحكم داخل كواليس الوالد، وراح يسعى لرسم طريقه في ظلال حكم مثير للجدل منذ الانقلاب الذي حمل الوالد، الشيخ حمد بن خليفة، أميرا للدولة عام 1995.

> كل الملفات الخارجية والمالية وكل ملفات الاستثمارات القطرية ما تزال في يد شخص واحد هو حمد بن جاسم، ومعها المفاتيح الأساسية في الدولة. لقد أنهى حمد بن خليفة خدمات حمد بن جاسم، لكن هذا الأخير لم ينه تلك الخدمات، وعاد متبرعا بدور «المرشد» لتميم والمجموعة المحيطة به، ويقال إن هذا الأمر تم بموافقة الأمير الوالد

وإذا ما ران حكم الوالد فلسفة حاقدة على الجوار وعقيدة تعتبر ضرر الآخرين قاعدة لاستقرار الحكم، فإن وليّ العهد الشاب تربّى على تلك الأصول والقواعد التي لم يستطع تجاوزها والخروج عن مسلّماتها. بيد أن وليّ العهد حين صار أميرا (25 يونيو 2013)، لم يمتلك مواهب فذة تجعله قادرا على اجتراح أسلوب حوكمة ناضج، فلم يملك التمرد على نصوص أبيه ولم يظهر أيّ رغبة في التخلص من الأمراض السلوكية التي حكمت خيارات "الأمير الوالد".

تفاؤل وخيبات

تميم من مواليد 3 يونيو 1980، حصل على الشهادة الثانوية من مدرسة شيربورن بالمملكة المتحدة عام 1997، وتخرج في أكاديمية "ساندهيرست" العسكرية الملكية في بريطانيا، وتولى 13 منصباً قبل أن "يتنازل" له أخوه الشيخ جاسم بن حمد عن ولاية العهد في 5 أغسطس 2003.

أبرز تلك المناصب التي تولاها تميم؛ كان تكليفه كرئيس للمجلس الأعلى للتعليم، ونائب للقائد العام للقوات المسلحة القطرية، ونائب لرئيس مجلس العائلة الحاكمة، ونائب لرئيس المجلس الأعلى للشؤون الاقتصادية والاستثمار. قيل أيضا إن الدبلوماسي البريطاني ستيفن داي الذي كان سفيرا في بلدان عدة، كما كان أحد مسؤولي الاستخبارات البريطانية في اليمن الجنوبي قبل استقلاله في العام 1967، كان ممّن أشرفوا على تعليم ولي العهد وتربيته.

الأمير الشاب متزوّج لمرتين وله ستة أطفال. ففي العام 2005 تزوج من الشيخة جواهر بنت حمد بن سحيم آل ثاني، وأنجبا الشيخة المياسة، الشيخ حمد، الشيخة عائشة. وفي عام 2009 تزوج من العنود مانع الهاجري، وأنجبا الشيخة نائلة.

العشاء السري

يروح البعض إلى تشبيه مثال تميم بن حمد في قطر بمثال "بشار بن حافظ الأسد" في سوريا. حين أطل الشابان على الدوحة كما دمشق، تفاءل القطريون كما السوريون ببدء عهد جديد يطوي صفحات سوداء من تاريخ البلدين. لم ينتظر الشعبان طويلا لاكتشاف أن "هذا الشبل من ذاك الأسد"، وأن التربية السياسية لـ"وليي العهد" إذا جاز التعبير، لا تتجاوز ألف باء السياسة التي مارسها الآباء.

ويذكر دبلوماسيون عرب كيف أطل الشيخ تميم على الزعماء العرب محاضرا في الأصول والمبادئ والخيارات التي يجب على العالم العربي انتهاجها، تماما كما فعل بشار الأسد في أول إطلالة له على قمّة العرب بعد تبوّئه حكم سوريا بعد وفاة والده.

لم يكن وصول الشيخ تميم إلى الحكم سلسا كما يتم تصوير الأمر. فقد تبوّأ الرجل "عرش" بلاده في ظروف مفاجئة أثارت استغراب المجتمع الدولي برمته.

سلّم الأمير الوالد السلطة إلى ولده. تضاربت الأنباء حول أسباب هذا القرار وحيثياته. منهم من أثار مسألة مرض الشيخ حمد، ومنهم من أثار مسألة ضغوط دولية كبرى، ومن منهم من تحدث عن صراع داخل الأسرة الحاكمة. لكن المعلومات في ما بعد كشفت أن المسألة عائلية تتعلق باجتماع ضمّ الأب والوالدة وأبنائها وبناتها.

داخل تلك القصة أحاديث ومداولات، لكن اختصارها، وهي طويلة، يتلخص في دخان أبيض خرج من اجتماع العائلة الصغيرة، حين سألت والدة تميم، الشيخة موزة بنت ناصر المسند زوجها الأمير حمد: هل تريد لابنك أن يحكم؟

كان جوابه: نعم.

لكن لماذا العجلة في السؤال وما الذي كان يقلق الشيخة الوالدة. كانت وجهة النظر التي أثيرت أن انتقال الحكم إلى وليّ العهد، تميم، لن يكون ممكنا إلا إذا تنازل الشيخ حمد عن موقع الأمير وهو لا يزال حيّا. والحجة في ذلك أن مسألة حلول تميم مكانه ستكون صعبة في حال غيابه لسبب أو لآخر، خصوصا أنّه يعيش بكلية واحدة مزروعة.

انعقد ذلك "العشاء السري" في عام 2013. ومن بين الأحاديث التي دارت في ذلك اللقاء، أن الشيخ حمد بن جاسم، رئيس الوزراء ووزير الخارجية آنذاك، لن يكون خصما سهلا يمكن التغلب عليه في حال غياب الشيخ حمد بن خليفة. فالرجل معروف بطموحاته ويمتلك ثروة كبيرة ويسيطر على السياسة والاقتصاد في البلد، بما يمكّنه من تحقيق أحلامه العليا.

تكشف المعلومات أن حمد اقتنع بالتنازل عن الحكم وتسليم موقع الأمير إلى تميم. ساهم في تطوير قناعات حمد الحظوة التي تملكها موزة لديه وتذكيرها لزوجها بسلسلة الانقلابات التي جرت داخل أسرة آل ثاني، بما في ذلك انقلاب والد حمد على ابن عمه، وانقلابه هو شخصيا على والده في العام 1995 بمشاركة حمد بن جاسم.

وتقول المعلومات إن أحد الأبناء الذين حضروا ذلك الاجتماع الشهير ذكّر والده بأن حمد بن جاسم يصر على أن يُسمّى حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني من منطلق أن جدّه جبر كان شخصية مهمّة مؤهلة لأن تكون في موقع الأمير، أي أنّ الفرع الذي ينتمي إليه في العائلة يحق له أن يصبح أحد أفراده أميرا وليس فرعا هامشيا كما يدّعي كثيرون في قطر وفي دول الخليج.

انتهى الاجتماع إلى قرار بتنازل حمد وتسليم الحكم إلى تميم. أرضى حمد زوجته موزة، وعمل حمد على استرضاء حمد بن جاسم، وذلك بأن حوّل له من احتياط الدولة القطرية مبلغ مئة مليار ريال، أي ما يساوي ثلاثين مليار دولار كتعويض "نهاية خدمة". واشترط عليه في مقابل ذلك عدم التدخل في شؤون الدولة والبقاء دوما إلى جانبه وترك تميم يحكم كما يحلو له.

أكثر من مرشد

أطل تميم على الحكم ليكتشف بعد فترة أن كلّ الملفات الخارجية والمالية وكل ملفات الاستثمارات في يد شخص واحد هو حمد بن جاسم، وأن كل المفاتيح الأساسية في الدولة، بما في ذلك وزير المال في يد "أبو جبر".

أنهى حمد بن خليفة خدمات حمد بن جاسم، لكن هذا الأخير لم ينه تلك الخدمات، وعاد متبرعا بدور "المرشد" لتميم والمجموعة المحيطة به، وقيل إن هذا الأمر تم بموافقة الأمير الوالد.

كان صعبا استنتاج حدود تدخل الشيخ حمد في حكم ولده الشيخ تميم، وكان من الصعب تصديق حكاية تخلّي الأمير الوالد نهائيا عن حكم صنع "مجده". لكن حدثا بعينه كشف حدود المحرّمات التي من غير المسموح للأمير الجديد العبث بها. فعندما حاول الأمير الجديد المسّ بموازنة قناة "الجزيرة" بحجة أنها ضخمة جدا، وصرف مئات الموظّفين، أفهمه والده أن هذا ممنوع.

نفذت إرادة حمد، وكفت يد تميم عن تقليص عدد موظفي قناة الجزيرة كما كان يخطط. ومع ازدياد العبء المالي على الدولة بفعل العمل على إنشاء ملاعب لبطولة العالم في كرة القدم لسنة 2022، صار على تميم الاستعانة بأشخاص محسوبين على حمد بن جاسم بغية إيجاد الأموال اللازمة لتمويل الدولة القطرية ومؤسساتها وسياستها الخارجية التي قيل إن تميم كان يريد تغيير طبيعتها وجعلها أقل عدوانية.

شبحان يحكمان

تشارك الحمدان، بن خليفة وبن جاسم، في الانقلاب على خليفة بن حمد، جد تميم، عام 1995. وكان الجد قد وصل أيضا إلى الحكم بالانقلاب على ابن عمه في 22 فبراير 1972.

وما يزال الحمدان متواطئين بشكل أو بآخر للسطو على حكم تميم. يرأس الأمير ورئيس وزرائه السابق حاليا مجلسا أعلى يدير السياسة الخارجية والإعلامية لقطر. ويتمتع الرجلان خارج قطر بحصانة دبلوماسية بصفتهما مدرجين على لائحة ديبلوماسيي السفارة القطرية في لندن.

تتحدث التقارير عن أن "مجلس الحمدين" هذا يعارض أي تقارب مع السعودية ويرفض أن تكون قطر تحت جناحها، كما يكنّ عداء شديدا للقيادة الإماراتية، لأن قيادات الإمارات تعتبر من أصحاب العقول المنفتحة التي ترفض الدخول في مؤامرات على السعودية، كما أنهم ليسوا ضعفاء أمام الإغراءات. إضافة إلى ذلك، من بين الأسباب التي تجعل حمد بن خليفة وحمد بن جاسم يكرهان قيادة الإمارات هو اعتراضها مرارا على ما تبثه "الجزيرة"، خصوصا عندما كانت تبث أشرطة لأسامة بن لادن وتتفاخر بأنّها سبق صحافي.

وتقول مصادر قطرية مطلعة إنه بين عامي 2013 و2017 تسلّل حمد بن جاسم إلى مواقع كثيرة كان فقدها، واستعاد نفوذه القويّ داخل السلطة، وعبرت المقابلتان اللتان أجراهما مؤخرا مع الـ"فايننشال تايمز والـ"بي بي سي" عن رغبته في القول للعالم "أنا لا زلت موجودا وفاعلا". تضيف هذه المصادر أن حمد بن جاسم تسلل من نافذة إخفاق تميم في ملفات عديدة بسبب عدم توفر الكوادر المؤهلة حوله، وعدم سيطرته على الأموال التي تسمح له بممارسة السلطة في قطر بشكل حقيقي.

لكن أيّا تكن حكاية تميم مع الحكم فهو أمير البلاد الذي يمثل سياسة قطر. وحين حاول في عام 2014 التملص من تعهدات وضعها العاهل السعودي الراحل الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وطلب العودة إلى الدوحة قبل أن يقرر الأمر، واجهه الملك الراحل بالسؤال: هل أنت الأمير أم لا؟

أيا تكن مبررات تميم فإنه واصل السير على خطى والده في إيذاء جيرانه الخليجيين قبل بقية الجيران العرب. استمر تميم في دعم وتمويل جماعة الإخوان المسلمين رغم وضعها على لوائح الإرهاب الخليجية، واستمر في توفير منبر إعلامي لهم عبر قناة الجزيرة ومأوى لقياداتهم في ربوع بلاده، واستمر في تبني خطابهم العدائي ضد مصر.

واصل تميم العبث، على منوال العبث الذي مارسه والده. نشطت قطر في عهده في زرع ألغام الخراب والفرقة والفتنة داخل كل الميادين الملتهبة في سوريا واليمن وليبيا. أطلت الفتنة القطرية على التحولات في المغرب وتونس، ولم يبق للإسلام السياسي من متنفس يؤمن لها خططها الإرهابية إلا تحت الرعاية القطرية. وحين توحد الخليجيون وراء موقف واحد ضد إيران، أبقت قطر تواصلها مع طهران، عبر القنوات الخلفية تارة وعبر الجهر بتلك العلاقة تارة أخرى. وحين توحد العالم أجمع في الرياض وراء موقف واحد متشدد ضد إيران، أرسل تميم وزير خارجيته إلى العراق متبرّئا، ورد على غضب أشقائه الخليجيين بالاتصال بالرئيس الإيراني حسن روحاني.

> تميم، وأيا تكن حكايته مع الحكم، يبقى أمير البلاد الذي يمثل سياسة قطر. وحين حاول في عام 2014 التملص من تعهدات وضعها العاهل السعودي الراحل الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وطلب العودة إلى الدوحة قبل أن يقرر الأمر، واجهه الملك الراحل بالسؤال: هل أنت الأمير أم لا؟

تميم على سرّ أبيه. وإذا ما رفض الخليجيون سياسات الأب فإنهم لن يقبلوا بنفس تلك السياسات التي يمارسها الابن. وإذا ما تعوّد الحكم في قطر على تغيير الوجوه كلما تطلبت الظروف ذلك، فربما كان تغير الظروف التي أفضت إلى مأزق قطر الراهن يتطلب للحكم وجها آخر.

● البعض يميل إلى تشبيه مثال تميم بن حمد في قطر بمثال "بشار بن حافظ الأسد" في سوريا. حين أطل الشابان على الدوحة كما دمشق، تفاءل القطريون كما السوريون ببدء عهد جديد يطوي صفحات سوداء من تاريخ البلدين. لم ينتظر الشعبان طويلا لاكتشاف أن "هذا الشبل من ذاك الأسد"، وأن التربية السياسية لـ"وليي العهد" إذا جاز التعبير، لا تتجاوز ألف باء السياسة التي مارسها الآباء.

جهادي من قيادات القاعدة يبرز اسمه في قوائم الإرهاب

عبدالحكيم بلحاج

ليبي يرتهن لأجندات قطر في أوج عزلتها

الحبيب مباركي

تونس – أدرجت السعودية ومصر والإمارات العربية المتحدة والبحرين، الجمعة الماضية أسماء 59 فرداً و12 كياناً مرتبطين بقطر في قوائم الإرهاب المحظورة لديها، من بينهم 5 أشخاص ليبيين من أصحاب الأدوار مشبوهة، ما ساهم بتصعيد العنيف وإطالة عمر الأزمة الليبية وإزهاق المزيد من الأرواح، من بين هؤلاء عبدالحكيم بلحاج الذي تلقى كافة أشكال الدعم القطري في السنوات الماضية.

> رحلة الهروب من بلاده ليبيا تقود بلحاج إلى حوالي 20 دولة أبرزها باكستان وأفغانستان وتركيا والسودان، رافق خلالها بعض «أمراء الجهاد» وعلى رأسهم عبدالله عزام. يقول بلحاج في وصفه لهذه الدول التي زارها أثناء تنقلاته، إنها من أكثر المحطات التي طالت إقامته فيها واكتسب من خلالها العديد من التجارب «كونها مرحلة فيها نوع من الخصوصية»

وفي ظل ظرفية سياسية متقلّبة وأحوال دول متبدّلة ربما قد يجد البعض من الرموز نفسه محرجا وخارج دائرة الحسابات. ملف العزلة والمقاطعة لدولة قطر من جيرانها الخليجيين، وهي الراعي الرسمي لبعض الشخصيات والحركات الإسلامية والجهادية، ينسحب دون أدنى شك على بلحاج إضافة إلى ارتباطات أخرى مشبوهة ببعض الرموز في تونس والعديد من البلدان العربية والأوروبية طبَعَها الإرهاب مؤخرا وضرب معاقلها بلا هوادة.

يعرف في أوساط التيارات الإسلامية بأبوعبدالله الصادق. اسمه كاملا عبدالحكيم الخويلدي بلحاج ومعروف أكثر في الأوساط السياسية بعبدالحكيم بلحاج. من أبناء الحركة الإسلامية في ليبيا، وواحد من شبان الجهاد الأفغاني الذين غادروا ليبيا في نهاية ثمانينات القرن الماضي إبّان تصاعد العداء ضد السوفييت في حربهم مع الأفغان. تحول من رجل مطارد في الجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية إلى بطل حمّله ثوار ليبيا لواء تحرير طرابلس.

رحلة الهروب من ليبيا قادت بلحاج إلى حوالي 20 دولة أبرزها باكستان وأفغانستان وتركيا والسودان، رافق خلالها بعض "أمراء الجهاد" وعلى رأسهم عبدالله عزام. يقول بلحاج في وصفه لهذه الدول التي زارها أثناء تنقلاته، إنها من أكثر المحطات التي طالت إقامته فيها واكتسب من خلالها العديد من التجارب "كونها مرحلة فيها نوع من الخصوصية".

عرف عن بلحاج انتماؤه المبكر إلى التيار الإسلامي قبل أن يؤسس بنفسه الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة التي تزعّمت معارضة حكم العقيد معمر القذافي. في سنة 1993 استقر عبدالحكيم بلحاج بمدينة بنغازي شرق ليبيا حيث مقر الحركة السنوسية. استفاد "القائد الإسلامي" من العلاقة المتوترة بين سكان المنطقة ونظام القذافي فشرع في تجنيد عدد من الشباب لمشروعه السياسي الرامي إلى قلب نظام الحكم في ليبيا، وأوعز إلى فتيانه بدخول اللجان الثورية للحصول على التدريب والأسلحة للقيام بانتفاضة مسلحة ضد نظام العقيد الممسك بزمام الأمور في تلك الفترة.

بعد سنتين من العمل السري اكتشفت السلطات الليبية مكانا سريًا للمقاتلين شرق ليبيا كان معدًا للتدريب. هذا الاكتشاف للجماعة كان منطلقا لبداية خريف ساخن بينها وبين القذافي الذي استخدم طيرانه العسكري لضرب معاقلها في بعض الجبال التي كانت تتحصن بها ليجهض خططها الانقلابية ويشتّت توزعها.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 صعّدت الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها من لهجتهم في المنطقة ضد الإسلاميين عموما والعائدين من بؤر التوتر في أفغانستان على وجه الخصوص. خلال تلك الفترة كان بلحاج يخطّط للسفر من ماليزيا إلى السودان، لكنه وقع في أيدي المخابرات الأميركية الـ"سي آي إيه" سنة 2004 ليتم تسليمه إلى نظام العقيد معمر القذافي خصمه اللدود لينتهي به المطاف في السجن.

سيف الإسلام يخرجه من السجن

خلال فترة سجنه سمح لبلحاج بلقاء رفاقه والتعرف عليهم داخل معتقلات القذافي. فقاد حوارا شاملا حول الأسس الفكرية للجماعة كان الهدف منه إيجاد مراجعة للكثير من المفاهيم وكان سنده ورفيقه في الحوار الشيخ الصلابي، القيادي بجماعة الإخوان المسلمين. سنة 2010 أفرج عن بلحاج، الذي قضى قبل ذلك سنوات في سجن غوانتانامو، بعد إعلان هدنة مع نظام القذافي برعاية نجله سيف الإسلام.

بعد سقوط نظام القذافي وفي ظل الاضطرابات الأمنية التي عاشت على وقعها ليبيا والاتهامات التي لاحقت عبدالحكيم بلحاج لدعم الميليشيات المسلّحة خاصة وأنه كان قائدا عسكريا سيطر على كميات هائلة من السلاح المنتشر في البلاد، ازداد نفوذ الرجل وأصبحت له كلمة في الدوائر السياسية الضيقة منها والمفتوحة.

قناة "الجزيرة" القطرية اشتغلت على هذا الجانب وعملت على إظهار القيادي الإسلامي في صورة القائد، رغم أن العديد من العارفين بأسرار ملحمة باب العزيزية يؤكدون أن دوره كان ثانويا. في محاولة منه لرد الاعتبار للأنا المتعالية يقول بلحاج "كنت أترأس الآلاف من الثوار وحين تركت المجلس العسكري وجهتهم جميعا إلى وزارتي الدفاع والداخلية في ليبيا وصرت مدنيا"، وهو تصريح يرى خصومه أنه غطاء مدني وسياسي مارس من خلفه أمير الجماعة السلفية المقاتلة أنشطته ذات التوجه الإسلامي المتشدد بحرية.

المتابعون للمشهد السياسي في ليبيا يتوجّسون من قوّة بلحاج التي اكتسبها في المعسكرات "الجهادية" سابقا، حيث يعتقد الكثيرون أن تجاربه على مدى أكثر من خمسة عشر عاما قد تدفعه إلى جر ليبيا إلى المزيد من الخطط السرية مع أتباعه الجهاديين من أجل فرض نظام إسلامي متشدد كما كان يحلم هو وبعض الدوائر النافذة والدول الراعية للإسلاميين والتنظيمات الجهادية خصوصا دولة قطر.

صناعة قطرية

كغيره من الرموز والقيادات البارزة التي تعرف بموالاتها وطاعتها لمن يحتضنها هي وآراءها، يوصف عبدالحكيم بلحاج بأنه الراعي الرسمي لمصالح قطر في ليبيا. فالقيادي الإسلامي عرف بارتباطه بتنفيذ أجندات الدوحة الخفية في أكثر من مكان في ليبيا، من ذلك إبرامه لصفقات أسلحة وتدريب جهاديين وغيرها من التكتيكات والأساليب الإرهابية التي اختصت الدويلة الخليجية، المعزولة من جيرانها، بتمويلها بسخاء.

بلحاج ورغم نفيه، أمام وسائل الإعلام وأثناء اللقاءات الصحافية، أيّ ارتباط كان يجمعه بالقيادة الرسمية في قطر، إلا أنّ الشكوك في كل مرة تسلّط الضوء عليه. من ذلك صفقات الأسلحة التي وصلت إلى ما يعرف بثوار ليبيا خلال الأيام الأولى للثورة الليبية في العام 2011 والتي كان منطلقها الدوحة.

بلحاج كان من المخلصين للمشروع القطري الطامح إلى قيام حكومة إسلامية مهما كلف الأمر. في هكذا مستوى يدور الحديث عن صفقات مشبوهة بحضور قيادات ليبية على رأسها بلحاج سرّعت قطر في فرضها ليشن التحالف الدولي هجوما على ليبيا في مارس 2011. ويظل الهدف المعلن حتى الآن إسقاط نظام القذافي فيما الهدف الخفي أن تظل ليبيا مرتعا للميليشيات الإسلامية التي ظلت تعيث في الأرض فسادا إلى حدّ الساعة.

الآن وقد كشفت اللعبة في قطر، افتضح أمر الجماعات والشخصيات الموالية للدوحة. وقرار حشر قطر وتركها معزولة انتظره العرب طويلا وخاصة جيرانها من الخليجيين. شعار "من ليس معي فهو ضدي" يأخذ مكانه بالنسبة إلى قطر. في هكذا مستوى تضحى التصريحات والتعليقات والاستنكارات ولغة التعاطف هي الطاغية لدى بعض الرموز للتعبير عن آرائها من الموقف الخليجي تجاه الدوحة.

بلحاج كغيره من المبهورين بسياسة الشيخ تميم من أمثال التونسي المنصف المرزوقي عبّر عن تعاطفه ووقوفه إلى جانب قطر بعد أن قطعت الدول الخليجية علاقاتها مع الدوحة. إذ قال في تدوينة نشرها على موقع تويتر "أستهجن ما حدث من هجمة تجاه المخلصين لأمّتهم وقضاياها. إنه لمن المحزن أن نرى هذه المواقف من عواصم عربية". لكن ماذا عن موقف بعض الدول العربية العالمية من القيادي في الجماعة الإسلامية، خصوصا وأن اسمه ارتبط في أكثر من مناسبة بعمليات جهادية واغتيالات وقعت في بلدان مجاورة مثل تونس؟

القيادي السابق في تنظيم القاعدة أصبح لا يروق لسياسات دول عربية وغربية وخصوصا الإدارة الأميركية الجديدة بقيادة دونالد ترامب. وإشنطن أرسلت إنذارا أخيرا لقطر من أجل فك الارتباط مع عناصر تنظيم القاعدة في ليبيا. الإنذار الأميركي لقطر يتعلق بوقف دعمها للتنظيمات المسلحة الموالية للقاعدة وعلى رأسها ما يسمّى بثوار طرابلس. وإشنطن في عهد الرئيس الجديد لا تعتبر أن بلحاج شخصية سياسية وترغب في تصفية الجماعات الإرهابية بمن فيها الموالون لتنظيم القاعدة في ليبيا.

> ملف العزلة والمقاطعة لدولة قطر من جيرانها الخليجيين، وهي الراعي الرسمي لبعض الشخصيات والحركات الإسلامية الجهادية ينسحب دون أدنى شك على القيادي الليبي عبدالحكيم بلحاج إضافة إلى ارتباطات أخرى مشبوهة ببعض الرموز في تونس والعديد من البلدان العربية والأوروبية طبعها الإرهاب مؤخرا وضرب معاقلها بلا هوادة

اسم عبدالحكيم بلحاج تردد كثيرا في تونس خصوصا بعد اغتيال القياديين شكري بلعيد ومحمد البراهمي ليثير أكثر من نقطة استفهام حول دوره المحتمل في الحادثتين دون توضيح مقنع لدى الرأي العام لا سيما بعد تداول صور لبلحاج ولقاءات وتسجيلات تؤكد علاقته بشخصيات وقيادات في حركة النهضة الإسلامية في مناسبات مختلفة زمن حكم "الترويكا" بما في ذلك عندما كان يتلقى العلاج بأحد مصحات العاصمة تونس.

تتكشف خيوط اللعبة أكثر كلما اقتربنا من بعض الرموز التي تلاحقها ملفات فساد ورشاوى في تونس على غرار شفيق الجراية الموقوف حاليا والذي لا ينكر صلته ببلحاج في أكثر من لقاء إعلامي، ليزيد المشهد إرباكا ويعمّق فرضية تدخل الرجل في بعض الملفات العالقة داخل الدولة الجارة.

العارفون بأسرار الرجل يؤكدون أن بلحاج وإن نزع بزة المحارب وجنح إلى اتّباع أسلوب الفصاحة والتسيّس المغشوش فإن ذلك لا يمحو عنه صفة المنتمي لصفوف حركة طالبان التي ضمت العديد من الوجوه الليبية من بينها عطية عبدالرحيم أحد القادة الميدانيين. مؤسس الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة في ثمانينات القرن الماضي الذي لا يخفي لقاءه بن لادن عندما كان يقاتل السوفييت في أفغانستان قال عنه الرجل الثاني في تنظيم القاعدة حينها أيمن الظواهري عندما كان في السجن "إنه الأمير المجاهد الصبور الذي سيواصل القتال مع المجاهدين".

بلحاج لا يزال لغزا مفتوحا على كل الاحتمالات. فلئن غيّر من خطابه ليتحوّل إلى فقيه سياسي بعد أن عانق طويلا الأعمال العسكرية، فإن الغموض لا يزال يطبع شخصية الرجل وخصوصا عندما يتعلق الأمر بقناعاته ومدى تقبّله لوجود نظام مدني في ليبيا. ما هو مؤكد ولا يقبل النقاش أن بلحاج الذي رفع السلاح في وجه الأميركان في أفغانستان والعراق وقبل بدور الناتو في ليبيا، لا يبدو أنه شخصية كشفت عن كل أسرارها في ليبيا أو ربما خارجها.

● أحداث الـ11 من سبتمبر 2001 تعد السبب الذي دفع بلحاج للوقوع في مصيدة الولايات المتحدة الأميركية بعد أن صعدت الأخيرة من لهجتها ضد الإسلاميين عموما والعائدين من بؤر التوتر في أفغانستان على وجه الخصوص. كان بلحاج يخطط للسفر من ماليزيا إلى السودان، لكنه وقع في أيدي الـ"سي آي إيه" سنة 2004 ليتم تسليمه إلى نظام العقيد معمر القذافي.

تمثاله في روما يذكّر به

جمال السجيني
الذي ابتكر هوية مصرية بأفق عالمي

فاروق يوسف

❑ **لندن** – ثلاثة فنانين مصريين تحل هذه السنة مئوية ميلادهم. محمد صبري وسيد عبدالرسول وجمال السجيني. من بين الثلاثة يحتل السجيني مكانة متميزة في الذاكرة الوطنية المصرية، لا لأنه أنجز أكثر من ألف عمل فني، عبّر من خلالها عن أحداث ورموز وطنية وحسب بل لأنه أيضا كان الفنان المصري الأول الذي رفع يديه احتجاجا على سلوك المؤسسة الفنية وذلك من خلال قيامه بإغراق عدد من تماثيله في نهر النيل في خطوة عدّها الكثيرون عبثية.

غير أن ما فعله الفنان الذي ينتصب تمثاله الاستذكاري "أحمد شوقي" في فيلا بورغيزي بروما كان تعبيرا صادقا عن الشعور باليأس الذي خيّم عليه وأصابه بالكآبة بعد نكسة يونيو 1967 في ظل استمرار المؤسسات الوطنية ومنها المؤسسة الفنية في أدائها الرديء.

ثوري الحياة اليومية

كان السجيني فنانا ثوريا ربط التجريب في الفن بالرغبة في تغيير الحياة، رافضا للمفاهيم السابقة، عميقا في بحثه عن مفردات يؤكد من خلالها أصالة هويته الفنية من خلال استلهام التراثين الفرعوني والعربي.

شغفه بقيم المقاومة والحرية والكرامة دفعه إلى الوقوف في خطوط المواجهة في الأوقات العصيبة التي مرّت بها مصر. لقد لعبت السياسة من جانبها الوطني دورا رئيسيا في إلهام الفنان موضوعاته، بل كان مزاجه أشبه بمرآة لما يقع من أحداث.

ألم يغادر عزلته اليائسة بتمثال "العبور" عام 1973؟

> النحات المصري الرائد محمود مختار يشكل عقدة بالنسبة إلى نحاتي مصر من جهة عدم قدرتهم على تجاوزه وبالأخص في نصبه «نهضة مصر». لكن السجيني وحده كان في مكان آخر. لقد شق للنحت طريقا مختلفة، بعيدا عن مختار وتمثاله. وهو ما صنع أهميته التاريخية والفنية

الفنان المصري الأول في الطرق على النحاس بدأ رومانسيا وانتهى واقعيا غير أن تأثيرات أوغست رودان وهنري مور وبرانكوزي ظلت عالقة بعالمه وهي التي حررته من القيود الأسلوبية.

كان السجيني غزير الإنتاج ولم يمنعه النحت وقد عُرف نحاتا بارزا من ممارسة الرسم والخزف.

ربما شكل النحات المصري الرائد محمود مختار عقدة بالنسبة إلى نحاتي مصر من جهة عدم قدرتهم على تجاوزه وبالأخص في نصبه "نهضة مصر". السجيني وحده كان في مكان آخر. لقد شق للنحت طريقا مختلفة، بعيدا عن مختار وتمثاله. وهو ما صنع أهميته التاريخية والفنية.

ولد جمال الدين رأفت السجيني بالقاهرة (باب الشعرية) عام 1917. وبسبب قرب الحي الذي نشأ فيه من سوق خان الخليلي فقد أسرَتْهُ مهارات الحرفيين العاملين في تلك المنطقة. عام 1933 التحق بمدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة وكان معلمه هناك الفنان السويدي فرودمن كلوزيل (1878 – 1959) وهو الذي سيترك أثره على أسلوبه في المستقبل من خلال انحيازه إلى الواقعية الثورية. عام 1937 وكان لا يزال طالبا نال جائزة محمود مختار.

عام 1945 أسس جماعة "صوت الفنان" ثم سافر إلى فرنسا للدراسة على نفقته الخاصة. هناك رأى لأول مرة أعمال رودان وبرانكوزي ومانويل وبورديل. غير أن المقام لم يطل به بباريس بسبب عدم الاستقرار هناك في مرحلة بعد الحرب العالمية الثانية وكان في طريقه للعودة إلى بلده حين حصل على منحة لدراسة الفن في روما. تخصّص هناك بفن الطرق على النحاس. حين عاد إلى مصر عام 1951 أقام محترفه في حي الزمالك وعيّن مدرّسا للنحت في جامعة القاهرة ومنها انتقل للتدريس في الإسكندرية بعدها عاد إلى جامعة القاهرة لينهي عمله فيها عام 1977 وهو العام نفسه الذي توفّي فيه بعد أن أقام معرضا لأعماله في مركز دراسات البحر الأبيض المتوسط ببرشلونة حيث مات هناك.

وبالرغم من مكانته الفنية العالية وعلوّ القيم الجمالية التي تنطوي عليها أعماله فقد عانى السجيني من إهمال المؤسسة الرسمية التي كانت (لا تزال) مثقلة بعبء سلوكها البيروقراطي المتوارث وهو ما دفعه عام 1969 إلى أن يُلقي بـ"25" عملا نحتيا من أفضل أعماله، من بينها تمثال الجلاء الذي فاز بجائزة الدولة للإنتاج الفني وتماثيل "النيل يموت" و"طلعت حرب" و"الدراويش". كانت الخسارة كبيرة غير أن غضب السجيني صار بمثابة مثل

> السجيني فنان ثوري يربط التجريب في الفن بالرغبة في تغيير الحياة، رافضا للمفاهيم السابقة، عميقا في بحثه عن مفردات يؤكد من خلالها أصالة هويته الفنية من خلال استلهام التراثين الفرعوني والعربي

لسواه من الفنانين المصريين الذين لجأ بعضهم إلى حرق أعماله في مراحل لاحقة كما فعل الفنان محمد عبلة.

في ثنائية التراث والمعاصرة

أقام جمال السجيني عالمه على أساس علاقة متوازنة بين المعاصرة والتراث. فعلى صعيد التراث يمكن القول إن من الصعب ألاّ يقع مصري تحت تأثير النحت الفرعوني. قوة ذلك الفنّ تفرض نفسها بطريقة يشعر المرء بضعفه في مواجهتها. لا يزال النحت الفرعوني يمثل خلاصة فنية مذهلة لقدرة الإنسان على التعبير الجمالي. غير أن السجيني استطاع بعبقرية موهبته أن يزيح ذلك العبء ليكتفي بالقليل المفيد منه لتجربته وهو ما يحسب له حين يُقارن برائد النحت محمود مختار الذي كان فرعونيا بامتياز.

أما على مستوى المعاصرة فإن الفنان الثوري، المؤمن بقيم الاشتراكية، المدافع عن الفقراء بعمق كان لا يخفي ميله إلى النزعات الرمزية والتعبيرية التي أغنت عاطفته في باريس من خلال أعمال رودان وبرانكوزي. وهو ما جعله قادرا على مقاومة الغواية التراثية. لقد اهتدى السجيني إلى معادلة تقع خارج دائرة التطرف بين جناحين متشددين. دعاة التراث من جهة وقد مثلهم معظم الفنانين المصريين، ودعاة المعاصرة وقد مثلهم سرياليو مصر الذين غالوا في استعراض غربتهم داخل المجتمع المصري.

السجيني كما أراه اليوم فنان باحث عن هوية متجددة.

عام 1961 رفض السجيني جائزة الدولة التقديرية لأنها برأيه جاءت متأخرة. قد يبدو الفنان متطرفا في سبب رفضه لتلك الجائزة. غير أن السجيني كان قد ربط فنه بعجلة التحولات الثورية التي شهدتها مصر منذ ثورة يوليو عام 1952. كان شاهدا، متأملا ومستلهما ومتخيلا وكان مثل كل المصريين على يقين من أن الثورة لن تخذله. لذلك كان مزاجه الفني يتغير حسب ما يشهده الواقع من أحداث.

لقد كسرته النكسة (1967) فصارت شخصياته تظهر مبتورة الأطراف أما حين نجح الجيش المصري في عبور قناة السويس فقد نقله تمثاله "العبور" إلى مرحلة أسلوبية جديدة بدا من خلالها خارجا من واقعيته النقدية في اتجاه التجريد الجزئي. فما كان في إمكانه أن يكون تجريديا بالكامل وهو المعبّأ بالصور التي تمليها عليه حكايات المصريين.

عاش السجيني عصره بتوتر وانفعال وطنيين. وهو ما انعكس في أعماله وبالأخص منها تلك التي تتعلق بالمناسبات (الميداليات) أو التي تستعمل في الحياة اليومية وإن في سبيل الذكرى (النقود التذكارية).

كانت حرفته تسبقه إلى الموضوع غير أنها لم تكن لتخفي أسلوبه الشخصي. مَن يعرف أسلوبه لا بد أن يتعرّف عليه قبل أن يرى توقيعه.

مصر هناك دائما

من المؤكّد أن جمال السجيني كان الأكثر حظا بين الفنانين المصريين. ذلك لأن تمثاله التذكاري الذي يمثل الشاعر أحمد شوقي صار جزءا من تاريخ روما ومعمارها. سيكون موجودا دائما هناك بأسلوبه الشخصي وقوة تعبيره عن هويته المصرية. أحمد شوقي الذي رأيته في فيلا بورغيزي قبل سنوات كان تمثالا مصريا حط في حديقة إيطالية. لا أحد في إمكانه أن يخطئ هويته المصرية وبالقوة نفسها فإن التمثال يملك الكثير من الأسباب الجمالية التي تجعل منه عملا فنيا معاصرا.

لقد وضع السجيني مصريته في سياق عالمي يليق بها حقا.

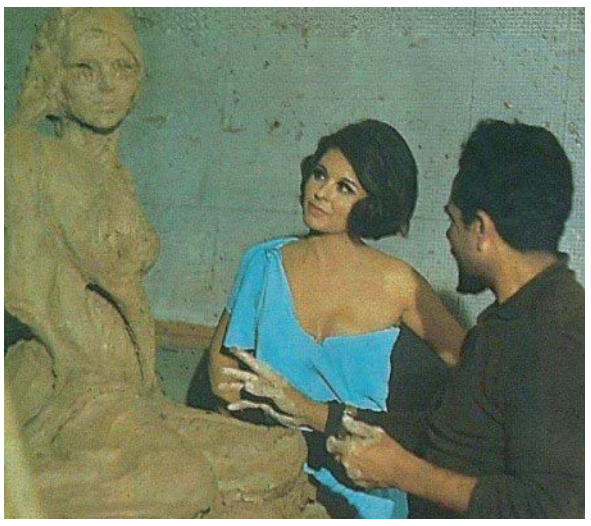

العبد التكنولوجي

الشاشة الكونية لإنسان ما بعد الحقيقة

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❑ ها نحن على أرض التكنولوجيا السحرية في عالم مابعد الصناعة، حيث كل شيء يلمسه الناس عرضة للتبدل والاختلاف والتغير بأسرع من لمح البصر. إذن، كيف ينبغي لنا أن نفكر بأنفسنا نحن العرب الخارجين مرة من "كتاب القومية العربية" وأخرى من "كتاب ألف ليلة وليلة"، وقد جزنا الأرض تحت سماء طبيعتنا الأولى وبلغنا أرض المابعد، في ظل عالم باتت لخرائطه ملامح غير مسبوقة، فسقطت العلامات وسقطت معها تصورات خلناها خالدة، ونهضت على أنقاضها تصوّرات مختلفة أخذت تطرق أبواب العقل، وترجّ المعتقدات كلها، بل وتهدمها كما لو كانت ديناً جديداً مقبلاً لا يقاوم. إنه عالم مابعد الأيديولوجيا، مابعد اليمين واليسار، والشرق والغرب، بل ومابعد الحقيقة نفسها، فنحن في لحظة التكنولوجيا التي ترتقي الذروة إلى عالم ما فوق الجغرافيا، حيث ترتطم أقدار البشر في الشرق بأقدارهم في الغرب ويتحول الكوكب إلى كرة ملتهبة تتدحرج في مدار من اللامعقول نحو مستقبل مجهول.

***

كيف يمكن لنا في عالم كهذا أن نقرأ الصراع البشري، بينما القوى المتصارعة نفسها باتت لها طبيعة معقدة وزائغة، تحتاج إلى استكشاف وقراءة وتوصيف، ومن ثم إلى لغة ومصطلحات جديدة تعرّفها. وإذا كان السؤال الجوهري، الآن، هو: إلى أين يمضي العالم. فإن السؤال الأكثر جوهرية بالنسبة إلينا هو: كيف يمكن للعرب أن يتفكروا في حاضرهم ومستقبلهم بينما هم ينظرون الأحاجي تتشكل وتعيد تشكيل نفسها على اللوح العملاق لتكنولوجيا العالم، فما تظهر وتتلاشى إلا لتظهر من ثم في صور جديدة على تلك الشاشة الكونية، وقد بات كل ما يعمّر كوكب الأرض، بما في ذلك أكثر الأشياء واقعية، لغزاً تستغلق معه حقائق الأشياء ويجعل من الطبيعة الإنسانية وجوداً يتخبط في فراغ ضاعت معه العلامات وانعدمت الأوزان، وصارت الحقائق شظايا أوهام في رؤوس بشر تسكنهم الكوابيس.

***

العالم في لحظة خلل كبرى، ما من شك في هذا، ولذلك أسباب وأسباب، منها ما هو أيديولوجي؛ فالأيديولوجيات الخلاصية أرضية ودينية سقطت لكنها لم تمت، كما خيّل للبعض، فأشباحها ما تزال تشوش الأذهان. ومن الأسباب ما يتصل بجشع الأسواق الكبرى، والاقتصاديات العابرة للجغرافيات والمجتمعات، وهيمنة منطق القوة (إلى درجة البلطجة) اقتصادياً وعسكرياً ورجحانها على قوة الأخلاق والنزعات الإنسانية في الفكر والعمل والعلاقات بين الدول وفي داخل المجتمعات كبيرة وصغيرة، وهو ما تسبّب بانفلات غير مسبوق لقوى الشرّ الكامنة في منطق القوة، وانهيار مجتمعات بأكملها، واحتراق جغرافيات بدت حتى وقت قريب آمنة من الشرور.

***

حدث ما حدث وهو مستمر في الحدوث في ظل برهة عالمية تصدعت فيها فكرة اليمين واليسار، وبدا أن العالم يحتاج إلى أفكار جديدة تجيب عن أسئلة مستقبلية توالدت من أسئلة تهرّأت. وبدلا من أن تظهر هذه الأفكار إذا بلحظة التكنولوجيا الموازية تفتح الباب لوحش العنصرية والفاشية ليطل برأسه من جديد، مهدداً العالم، ربما، بأسوأ مما هدده به من قبل، لا سيما في النصف الأول من القرن الماضي وقد طحنت حربان عظميان عشرات ملايين البشر.

***

ها هو لوح التكنولوجيا العظيم يخاطبنا بغوايات خاطفة للأبصار. شكليا، لا شيء في خطابه يستدعي فظاظة "الأخ الأكبر" في كتاب أورويل، لكنه يملك مخططه نفسه وكثيراً من تقنياته الغريبة. والسؤال، الآن، هل نحن إلا أسرى نموذجيين لتطور تكنولوجي مهول، مذهل في سرعته وصوره المدهشة، بحيث لا يترك لمنتجيه ولا لمستهلكيه فرصة للتأمل في ما يمكن أن يخسره الإنسان جراء هذه الاندفاعة المخيفة في العوالم الموازية وقد استلبت الإنسان وتسلطت عليه، ولسوف تقوده بعيداً عن سجيّته، بل ربما استنسخته على الشاكلة التي تعوزها هذه الاندفاعة الجهنمية لتوليد "إنسان المابعد"؛ العبد التكنولوجي بامتياز؟

والسؤال، الآن، أيضاً، هل نحن في تقهقر قيمي يعود بإنسان الكوكب إلى الماقبل، أم أننا في برهة مُلْزِمة لا محيد عنها يسبق فيها الوعي حاضره ليبلغ بإنسانه مساحات مفتوحة من فضاء المابعد؟

كل شيء مشوّش اليوم، بما في ذلك الأسئلة الكبرى التي شكلت الوعي الحضاري ونجمت عنه. فنحن في برهة الفشل، فشل كل ما اعتنقنا من أفكار، وقد أنتجت مهاد الـ"مابعد" مابعد اليمين ومابعد اليسار، مابعد "الشرق" ومابعد "الغرب". تهاوت الأفكار الشمولية أرضية وسماوية وتركت موضعها فراغات كبرى. تهاوت مقولات ومعها تهاوت نقائضها. وها هو العالم الحائر بنفسه يعود، كما كان من قبل، لغزا عصياً ويحتاج من سكان هذا الكوكب المعذب إلى فكر جديد يفك هذا اللغز.

***

فلنتّفق، إذن، على أن العالم في مخاض عسير، ولا بد من مخرج للإنسان، التكنولوجيا وحدها لا تملك الجواب، فالأمر ليس مرهونا بالتطور العلمي وحسب، ولا بالقوى الكبرى دون سواها، ولكن حتى بالأمم التي اضطهدت وهمّشت، وهذا ينطبق علينا نحن العرب كأمّة لها ماض عريق وتليد وحاضر يستضعفها ويجعلها

> كل شيء مشوش اليوم، بما في ذلك الأسئلة الكبرى التي شكلت الوعي الحضاري ونجمت عنه. فنحن في برهة الفشل، فشل كل ما اعتنقنا من أفكار، وقد أنتجت مهاد الـ«مابعد» مابعد اليمين ومابعد اليسار، مابعد «الشرق» ومابعد «الغرب». تهاوت الأفكار الشمولية أرضية وسماوية وتركت موضعها فراغات كبرى

إما أن تحترق بنيران التخلف والاستبداد، أو أن تهيم في عراء العالم. جغرافية العرب عظيمة الأهمية ومصادر ثروتهم كبيرة، وهذا أحد مصادر اللعنة التي حلت بهم في العصور الحديثة، لكن ذلك لا يكفي، فهم لا بد لهم أن يتخلّوا عن أوهام الماضي، ويستقيظوا من غفلتهم، وقد طالت، ليحافظوا على وجودهم ويسهموا في صناعة المستقبل.

***

ما يجري في العالم من صراعات وحروب لا يبدو بعيداً أبداً عن النتائج الكارثية للجمود الفكري الذي تعاني منه البشرية كلها. أمّا ما يجري في مجتمعاتنا العربية، لا سيما في المشرق العربي، إنّما يتحمل مسؤوليته إلى جانب المستبدين تلك النخب المثقفة التي لم تملك الجرأة الفكرية والأخلاقية لمواجهة استحقاقات الواقع، في ظل نزاع غير متكافئ ما بين قوى الماضي وقوى المستقبل. نحن ندفع اليوم ثم أخطاء متراكمة ارتكبتها القوى المجتمعية في بلدان خضعت نخبها الحاكمة ومعها النخب المعارضة للخطوط التي رسمتها لها القوى الكبرى إبّان مرحلة الحرب الباردة التي مازلنا نطحن بمطاحنها. وما لم نمتلك إرادة التفكير الحرّ، والعمل الخلاق أفرادا وجماعات، إلى جانب إيمان إنساننا بأهمية الحفاظ على الميزات الخاصة المرتبطة بسجيّته الشرقية المنفتحة على جهات العالم الأربع وثقافاته التي لا تعد، لن تكون لدينا مجتمعات يمكن أن تحيا تحت شمس العصر، وتقف كأمة جديرة بتراثها إلى جانب (وفي مواجهة) الأمم الأخرى ذات الطموحات الحضارية.

***

مصطلح اليسار واليمين له تاريخ معلوم عربياً وعالمياً. عربيا هو مصطلح مسقط على الثقافة الفكرية من خارج، ولذلك بقي مصطلحا قلقاً؛ تقريبياً، ومرات فضفاضا وبلا معنى يمكن للواقع أن يترجمه. في كل الأحوال لا بد لنا من الاعتراف بأن هذا المصطلح أصابه الاهتراء، ولعله هلك نهائيا. فلا اليسار في العالم العربي يساراً، ولا اليمين بدوره يمينا. لا بد، حقاً، من تعريف جديد للمصطلحات والمفاهيم حتى يخرج الناس من التيه والفوضى اللذين أصابا الخطابين السياسي والفكري في اللحظة الحاضرة.

يساراً ويميناً انتهت صيغ هذين المصطلحين. ولقد رأينا كيف ظهرت زعامات عالمية تنتمي إلى حركات وأحزاب اليسار وسلكت في الصراع العالمي مسلكا كان حكراً على اليمين، فبدت أكثر يمينية ووحشية منه كما هو حال نموذج توني بلير في بريطانيا. وعرفنا زعامات انتمت إلى حركات يمينية كالزعيمة الألمانية ميركل، لكنها تصرفت على نحو فيه الكثير من الاعتدال بل وفيه شيء من الإنسانية إن في الصراعات العالمية أو بإزاء الكوارث التي حلت بالبشر، لا سيما في منطقة المشرق العربي وتحديدا سلوكها بإزاء قضية اللاجئين الهاربين من الحروب.

هذان مثالان لا غير. لكن الوقائع العالمية المختلفة تشير إلى موت مصطلح اليسار ومعه موت مصطلح اليمين. وعليه لا بد من تعريف جديد للمفهومات التي مثلها هذان المصطلحان.

***

العالم في مرحلة قلق كبرى، فكريا وروحيا، ولن يجد البشر أنفسهم، حقاً، لا فرديا ولا جماعيا، ما لم يردموا تلك الفجوة المرعبة بين الفكر والضمير، فالفكر اليوم يقف عاجزاً عن الإجابة عن أسئلة الضمير، مادام إنسان عصرنا متورطاً، على نحو وسواه، بمغريات القوة والجشع والأنانية التي فرضها مجتمع الاستهلاك. الضمير هو المرآة. لكن المسألة تحتاج إلى تربية روحية جديدة، وإلى وعي بقيم الحضارة، ومنها قيم التعارف والتشارك في كوكب لا يملك الإنسان سواه، ومع ذلك فهناك بين البشر من يسهم في تدمير هذا الكوكب.

نعم العالم ليس مثاليا، والقوى الكبرى لا ترضخ أمام كلمات الحكمة، لكن ذلك لا يجب أن يمنعنا نحن المفكّرين والمثقفين والمتعلّمين من مواصلة التفكير والبحث والعمل لأجل كبح الشرور في الأرض، أيّا كان مصدرها. ومادمنا خلصنا إلى اعتبار الزمن التكنولوجي ديانة جديدة بديلة من الأيديولوجيات التي سقطت، وتريد أن تحتل مقاعد الأديان، فإن هذه الديانة ستسقط هي الأخرى (إنما بأيّ ثمن!)، ولن يبق في الأرض إلا ما ينفع الناس.

ما من حكمة في أن نعادي التطور فالتطور سنّة، بل لا يبدو منطقياً أبداً أن نتخيل العلم مؤمناً وكافراً فالعلم هو العلم أيّا كان مصدره، وعلينا أن نقتدي بتلك الإشارة العظيمة في ثقافتنا العربية "اطلبوا العلم ولو في الصين". ولمّا كانت الحكمة علما والفكر علم، فإن الحكمة أيضا يمكن أن تؤتى من أبعد بعيد.

***

فكر جديد في ظل عالم متحول، باستمرار. هل يبدو هذا طلباً واقعياً؟ أم أن وهم المابعد سوف يستولد أيضاً من المابعدية: مابعد الواقع، ومابعد الإنسان.

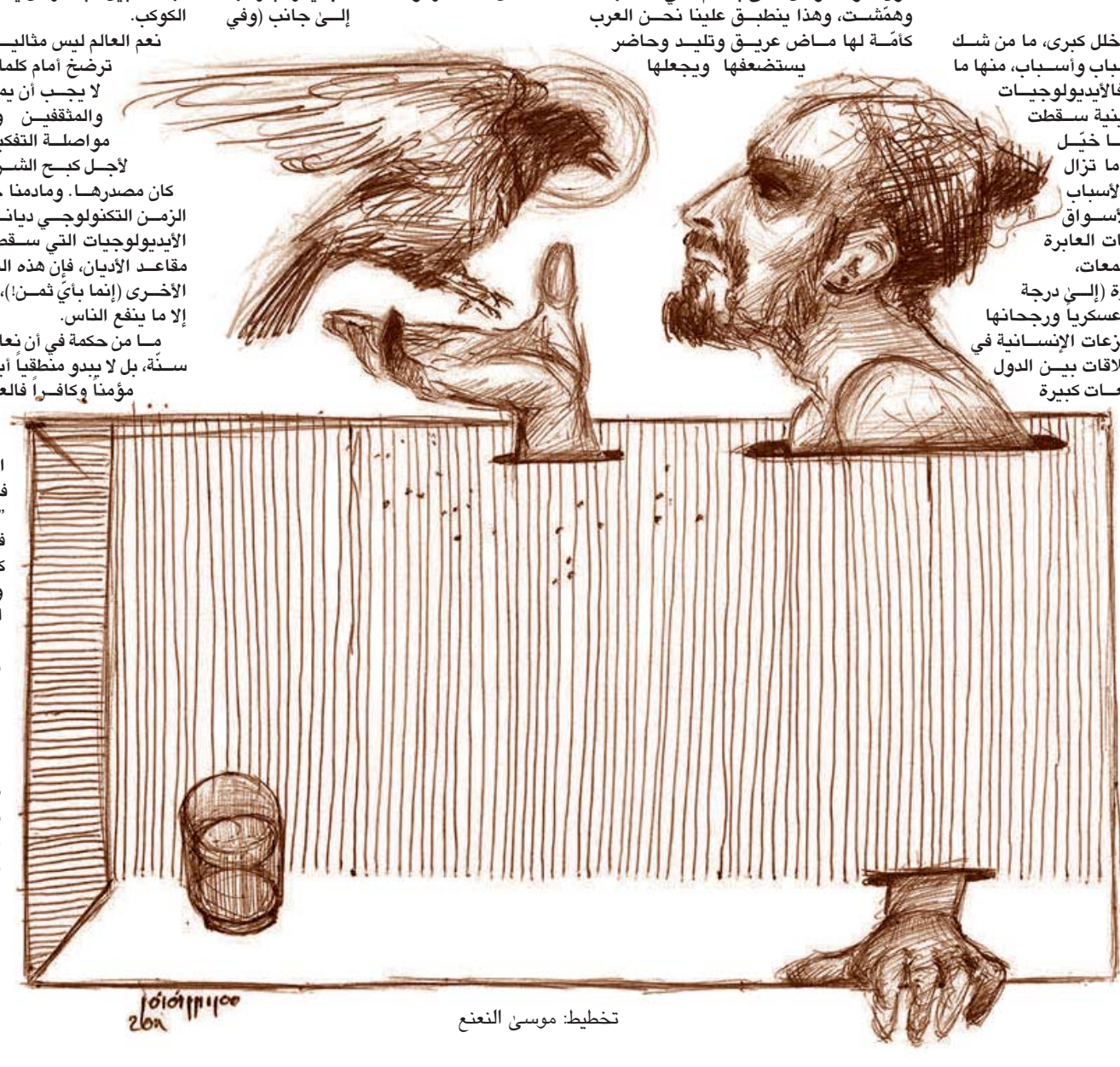

تخطيط: موسى النعنع

عراقية الحروف العربية

باسم فرات
كاتب من العراق

❑ يكثر الحديث في الآونة الأخيرة في التاريخ وإطلاق الآراء المرسلة التي لا حظّ لها مع الحقيقة والمنطق العلمي الذي يشتغل على دراسة التاريخ، ففوضى الفتاوى الدينية التي نتململ منها؛ بل نرفضها؛ رحنا نطالب بوضع قوانين صارمة لتفشي فتاوى مناهضة لطبيعة البشرية ومعادية للتعايش الذي يحكم المجتمعات، لا سيما وأن التنوع العقائدي سُنّة الحياة، لكننا نصمت أمام سيل الفتاوى التاريخية، وأعني بها ما نقرأه من إلغاء وإقصاء لتنوّعنا، ورمي مجموعات سكانية لها منجزها التاريخي؛ الذي يزيد على ألف ومئتي سنة؛ بالاحتلال والغزو وإسقاط جرائم يرتكبها مجرمون على ثقافة منحت الوجه الثقافي للمنطقة وشكّلَتْ وعينا؛ متجاهلين أن رمي العرب بأنهم غزاة والثقافة العربية بأنها ثقافة غازية وغير أصيلة، يعني أن الغالبية العظمى من سكان العراق بل والهلال الخصيب ومصر؛ هم غزاة أيضا.

بل إن من لا يملك تراثًا كتابيًا يضاهي التراث العربي هو أكثر وطأة؛ أي أكثر احتلالاً، فكلما قلّ المنجز التدويني الذي سبق الحرب العالمية الأولى بلغة ما؛ في إقليم أو مدينة ما؛ كان الناطقون بهذه اللغة يتصفون بكونهم أكثر احتلالاً. وتفكير كهذا سيجعل من المجموعات السكانية التي تفتقد للكتابة بلغتها قبل القرن العشرين أو التاسع عشر، هم الأكثر إصابة بسهام الإلغاء والإقصاء التي يوجهها دعاة "اللغة العربية لغة غازية" و"الغزو العربي للعراق وبلاد الشام".

من المفارقات العجيبة أن يتمّ وصم ثقافة ولدت ونشأت وترعرعت في بلد ما؛ ومنه انطلقت لتنتشر في مساحات شاسعة؛ بأنها غازية، ولا أعرف كيف يتم وصم ثقافة بأنها غازية في موطنها الأم؛ والثقافة العربية يُعدُّ العراق مهدها، مثلما تُعدّ بلاد الشام مهد النقوش العربية، ولأن الثقافة؛ أيّ ثقافة؛ أساسها الأول هو اللغة، وأساس اللغة الأبجدية، فسنثبت في السطور اللاحقة أن العراق موطن الألفبائية العربية.

يرى أغلب الباحثين أن تنقيط وتشكيل (الحركات) الحروف العربية قد تم في العراق، ابتدأ في عهد الخليفة الراشدي الإمام علي بن أبي طالب، ومن ثم أكمل المشروع أمير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، ولكن ما هو غير معروف على النطاق نفسه، أن ألفباء العربية قد ابتُكِرَت في العراق، وهو ما دوّنته بعض المصادر والمراجع العربية.

الروايات العربية التي تقرّ بأن الخط العربي ابتكار عراقي، تختلف فيما بينها حول موضعين من العراق: الحيرة والأنبار، فثمة مَن يرى أن الحيرة موطن الألفبائية العربية ومنها أخذها أهل الأنبار، وفريق يرى العكس، أي أن ابتكارها كان في الأنبار ومنها أخذته الحيرة، لكن لا خلاف على أن العراق موطنها ومنه "أخذته العرب" بحسب أبي عبدالله مكحول بن أبي مسلم (ت حوالي 112 هـ) ونَص ما قاله الأخير هو "إن نفرًا من أهل الأنبار من إياد القديمة وضعوا حُروف: ألف. ب. ت. ث. وعنه أخَذَتْهُ العرب".

وورد هذا الاعتراف بصيغ أخرى، لكن المعنى نفسه عند البلاذري في نهاية كتابه "فتوح البلدان"، الذي نقله عن عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي؛ عن أبيه عن جده، وابن النديم في الفهرست، وابن عبدربه في "العقد الفريد"، والقلقشندي في "صبح الأعشى"، وإسرائيل ويلفنسون في"تاريخ اللغات السامية" يقول "ولمؤرخي العرب روايات تتفق على أن الخط العربي لم يجئ إلى الحجاز إلا من الحيرة".

ومن هذه الروايات ما ينسبونه إلى ابن عباس ومنها ما ينسبونه إلى ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية، ومنها ما ينسبونه إلى المسعودي وأستاذه الواقدي. ويذهب البعض إلى أن الخط العربي الحيري منقول عن الخط المسند. وفي رواية عن ابن عباس أن أهل الأنبار تعلموا من أهل الحيرة. لكن هذا الكلام لا ينفي الجذور اليمنية والمؤثرات الشامية للحروف العربية التي نشأت ونمت في العراق.

ويرجّح المستشرقون أن الحروف العربية نشأت ونمت بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين. فهل بعد هذا يمكن أن تُتّهم العربية بأنها غازية وموطن ولادتها ونشأتها العراق؟

موت الحقيقة

انهيار السرديات العظمى

❑ العالم في لحظة خلل كبرى ولذلك أسباب وأسباب، منها هيمنة منطق القوة (إلى درجة البلطجة) اقتصاديا وعسكريا على قوة الأخلاق والنزعات الإنسانية في الفكر والعمل والعلاقات بين الدول، وفي داخل المجتمعات، وهو ما تسبب بانفلات غير مسبوق لقوى الشر الكامنة، وانهيار مجتمعات بأكملها، واحتراق جغرافيات بدت حتى وقت قريب آمنة من الشرور الكبرى.

حدث ما حدث وهو مستمر في الحدوث في ظل برهة عالمية تهاوت فيها الأيديولوجيات الشمولية المهيمنة كالشيوعية والاشتراكية. وتصدعت فكرة اليمين واليسار، وبدا أن العالم يحتاج إلى أفكار جديدة. وبدلا من أن تظهر هذه الأفكار فإذا بوحش العنصرية والفاشية يطل برأسه من جديد، ليهدد العالم ربما بأسوأ مما هدده به من قبل، لا سيما في النصف الأول من القرن الماضي وقد طحنت حربان عظميان عشرات ملايين البشر.

في هذا الملف مساهمات فكرية عربية تطرح السؤال حول اللحظة الراهنة التي تتميز بأنها الـ"ما بعد" ما بعد اليمين وما بعد اليسار، ما بعد "الشرق" وما بعد "الغرب". تهاوت الأفكار الشمولية أرضية وسماوية وتركت معها فراغات كبرى وتهاوت مقولات الاستشراق ومعها تهاوت نقائضها. وها هو العالم الحائر بنفسه يعود كما كان من قبل لغزا عصيا ويحتاج من سكان هذا الكوكب المعذب إلى فكر جديد يفك هذا اللغز.

* قلم التحرير

أبعد من اليمين واليسار: احتضار مفهوم

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

❑ لا أتكلم عن احتضار مفهوميْ اليمين واليسار لكي أوفق بينهما، ولا لكي أشدد على اختلافهما، وإنما أشير إلى أن هذا الاحتضار الذي نكاد نحن العرب المعاصرين نقتصر في رؤيته على الجانب السياسي فيه، ليس حدثاً جزافياً أو طارئاً.

وفي تقديري أن شبكة المفاهيم التي يثيرها جان فرانسوا ليوتار في كتابه "الوضع ما بعد الحداثي" قد تصلح لإضاءة بعض تفاصيل هذا الاحتضار، وروزه وتفسيره.

> ما يشهده العالم العربي من تدمير وتقسيم وتهجير وارتداد عصبوي معصوب العينين إلى الطائفة والقبيلة، يعزز هذه الرؤية السلبية إلى حد بعيد

يرى ليوتار أن العلم، الشكل المهيمن على المعرفة في فترة ما بعد الحداثة، بدأ يفقد مشروعيته على أرض الواقع مع اكتساب أشكال المعرفة الأخرى وعلى رأسها الدين، مشروعية خاصة بها كثيراً ما تبدو على الصعيد الشعبوي وكأنها بديل معرفي للعلم. لنقل إذن إن التفكير العلمي لم يعد يشغل المركز المسيطر كلياً. إزاحة التفكير عن المركز شكلت ما دعاه ليوتار بمجتمع ما بعد الحداثة. وقد كان أحد أهداف مفكري ما بعد الحداثة التشكيك بغائية التقدم وحتميته. بل إن بعض هؤلاء المفكرين لاحظ أن التغيير التاريخي الشامل صار يتجه إلى لامكان. فالماركسية، على سبيل المثال، ترى أن التغير حتمي ويتجلى في انتقال المجتمع من الرأسمالية إلى الاشتراكية والشيوعية. ولكن هذا الضرب من التحول لم يعد مقنعاً لمفكري ما بعد الحداثة الذين رأوا فيه سردية عظمى تتناقض مع الواقع التاريخي الذي تمثل في عزوف الناس عن منح ثقتهم للعمل والسياسيين وحتمية التقدم بشكل عام.

وما يشهده العالم العربي من تدمير وتقسيم وتهجير وارتداد عصبوي معصوب العينين إلى الطائفة والقبيلة، يعزز هذه الرؤية السلبية إلى حد بعيد.

يصف ليوتار هذه التحولات بالقول إنها تمثل انهيار السرديات العظمى لتحل محلها سرديات صغرى. وتتمثل السرديات العظمى في قصص التحول الافتراضية المشبعة بأيديولوجيا التقدم والتي كانت توحي بثقة غير مشروطة للعلماء والاختصاصيين في مجال التطور الاجتماعي والحضاري والاقتصادي بشكل عام. وهكذا فإن العالم ما بعد الحداثي يدشن واقعاً افتراضياً مغايراً للواقع الذي نعرف، واقعاً متشظياً تشغل فضاءه سرديات الصور المتداولة حول العالم في أفلام وبرامج تلفزيونية لا عدّ ولا حصر لها، وفي مواقع إلكترونية منتشرة على شاشات الإنترنت. وفي هذا السياق المراوغ يطرح السؤال التالي: من يملك فكر التقدم وصناعته؟ اليسار المهزوم أو المنكفئ أم اليمين المسيطر على الأمر الواقع؟

الحال أن المثال السوري ربما يعزز صورة عن الأيديولوجيا التي تؤكد أسوأ ما في نظرية ما بعد الحداثة من أمشاج سلبية مهيمنة.

***

في تقدير جان بورديلار فإن وسائط الاتصال الإلكتروني تمكنت فعلاً من خلق الفوضى وإطلاقها ونشرها فقطعت بذلك العلاقة بقيم التقدم التي طرحتها الحداثة وأسهمت في موضعتها في موقع مركزي من الفكر. كما أن وسائط الاتصال الجماهيري (Mass Media) دمرت الحدود القائمة بين الواقع وبين التمثيل عليه، مخلفة واقعاً افتراضياً واحداً نعيش فيه. وفي مثل هذا العالم يصير إدراكنا للأحداث وفهمنا للعالم الاجتماعي معتمداً على مشاهدة التلفزيون واستعمال وسائط الاتصال الجماهيري.

وهذا التوصيف المعبر عنه بلغة افتراضية ربما يفسر عنوان كل من دراستيْ بورديلار اللتين أثارتا قدرا كبيراً من الالتباس: "حرب الخليج لن تقع" و"حرب الخليج لم تقع".

والحال أن تقلقل التراتبية الطبقية وانحسار الفكرة المعتمدة للهوية وظهور جماعات متعددة الثقافات، هو الذي جعل مفكري ما بعد الحداثة يشيرون إلى أننا لم نعد نعيش في عالم حديث. فالحداثة في زعمهم باتت في حالة احتضار يعزز القول إننا دخلنا في فترة ما بعد الحداثة. صحيح أن الهوية الطبقية مازالت عنصراً مهماً يحدد الوضع الاجتماعي للناس، فضلاً عن الفرص المتاحة لهم في الحياة، إلا أن الهجرات، وأنا أتكلم هنا عن الهجرات العربية القسرية منها والطوعية، شرعت في صناعة توصيف جديد للهوية، مغاير ويختلف عما كان شائعاً قبل عقود. إدوارد سعيد يتحدث عن هوية قائمة على فكرة التبني (Affiliation) وهي هوية قائمة على الاختيار الشخصي بدلاً من الهوية الموروثة التي تفرض على المرء فرضاً بعملية التوريث. وفي قصيدة محمود درويش "طباق لإدوارد سعيد" صورة تصف هذا التحول الافتراضي بوضوح:

"والهوية؟ قلت
الهوية بنت الولادة لكنها
في النهاية إبداع صاحبها، لا
وراثة ماض. أنا المتعدد.. في
داخلي خارجي المتجدد، لكنني
أنتمي لسؤال الضحية، لو لم أكن
من هناك لدربت قلبي على أن
يربي هنا غزال الكناية".

هنا يتكلم محمود درويش الشاعر، رافع لواء غزال الكناية، لواء "البيان" الفردي، ليعيد موضعته مكان "التبيين" الجماعي. وهذه الصورة التي تنتصر لفكرة التبني القائم على الاختيار بدلاً من فكرة البنوة البايالوجية الموروثة ربما تجد قرينها التحليلي في كتاب أمين معلوف ذائع الصيت حول مشكلة الهوية.

ترى هل يفسّر هذا التحول ما نشهده على صعيد العالم العربي من إشادة جزافية من قبل اليسار بالطبقة الوسطى؟

***

أخلص إلى القول إنه ليس من المستغرب أن مفاهيم ما بعد الحداثة مازالت خلافية المنزع. إلا أننا إذا أردنا اختزال عملية احتضار مفهوميْ اليمين واليسار فسنجد أن لا مفر من الإلماع إلى أن نزوعها الخلافي يعززه قول أنتوني غيدينز باستحالة تفسير الواقع الاجتماعي طالما أنه قائم على فكر الحداثة.

والحال أن فكرة اليمين واليسار ذات جذر أيديولوجي جليّ. وهي تعود في أصولها إلى أواخر القرن الثامن عشر. وأما الآن فإن الأيديولوجيا ينظر إليها على أنها محايدة، أي ليست منحازة أو مضلّلة. فهناك العديد من الأفكار في المجتمع التي يمكن روزها ودراستها ومقارنة كل منها بالآخر. وفي ثلاثينات القرن الماضي حاول كارل مانهايم إحياء هذه الفكرة في تصوره لتأسيس سوسيولوجيا المعرفة التي تربط بين بعض أنماط الفكر وبين قواعدها الاجتماعية. وقد رأى أن المعرفة يمكن إنتاجها في سياقات طبقات اجتماعية مختلفة. ولهذا فهي لا بد أن تكون جزئية، وبالتالي فإنه يتعين على سوسيولوجيا المعرفة التي يقترحها أن تجمع بين مختلف التمثيلات التي تتعلق بهذه الطبقات الاجتماعية لكي تقدم فهما أفضل للمجتمع ككل. ولكن القول بمفهوم محايد للأيديولوجيا لم يلق رواجاً آنذاك. واليوم من المتوقع أن يكون الاهتمام بقوة الأفكار وهيمنتها مستمداً من فكرة ميشال فوكو الخاصة بالخطاب، ومن علاقة المركز المسيطر بالهامش المسيطر عليه. وربما كان انفجار الشعبوية منفلت العقال رد الفعل الفوضوي الذي يتصل مباشرة بانفجارات السرديات الصغرى.

لوحة محمد ظاظا

أهي نهاية اليمين واليسار

أبوبكر العيادي
كاتب من تونس مقيم بباريس

❑ في تعليقه على نتيجة الانتخابات الرئاسية الفرنسية، كتب المؤرخ والمحلل السياسي جاك جوليار بأنها أعلنت نهاية الأحزاب، وظهور "حركات" تتوق إلى مزيد من الديمقراطية المباشرة. وفي رأيه أن الحزبين التقليديين المنهزمين كانا منذ مدة أشبه بميّتين مع تأجيل التنفيذ، إذ كانا يجوبان الحقل السياسي مثل ديكين مقطوعي الرأس بعد أن فقدا مساندة قواعدهما، قواعد ما فتئت تتناقص وتتشتت منذ أن عمد الحزبان العريقان، الحزب الاشتراكي اليساري وحزب الجمهوريين اليميني، إلى التدليس داخل مؤسستهما نفسها، لتغليب مرشح على آخر من أجل قيادة الحزب، ما ترك انطباعا لدى المواطنين بأنهما لا يقلان نذالة عن عصابات المافيا، وأن السياسة صارت تجلب إلى أحضانها ذوي النفوس الدنيئة على غرار جمهوريات الموز. وهو ما تؤكده آن موكسيل، عالمة الاجتماع المتخصصة في دور الذاكرة وانتقال المواقف والسلوك عبر الأجيال، إذ تفسر الهزيمة المدوية بأن التصويت تحول إلى رفض ونبذ للذين خانوا الوعود ونكثوا العهود فور الوصول إلى السلطة، ولم يعد تعبيرا عن انخراط في مشروع سياسي ممكن، بل صار أقرب إلى القناعة السياسية الحميمة بأن هذا المرشح أفضل من ذاك، بصرف النظر عن الحزب الذي ينتمي إليه. بيد أن رينو بير، مدير معهد العلوم السياسية بمدينة ليون، يعتقد أن الحواجز بين اليمين واليسار لم تزل، وإن ظلت على مرّ الأعوام تتأرجح بين اللين والشدة، وأن ما نشهده لا يخرج عن أسلوب فرنسوا ميتران -الذي يقوم على رص الصفوف في الدور الأول، والانفتاح على الآخر في الدور الثاني-، أو أسلوب جاك شيراك -الذي يحاول التوسع في الدور الأول، ثم التجمّع في الدور الثاني- ولكن مع الحفاظ دوما على الحدّ الفاصل بين اليمين واليسار الذي يعتبر شريكا في جوهر الديمقراطية، "كنظام يقبل تناقضاته إلى حدّ تكريس النزاع على رأي الفيلسوف بول ريكور.

فكيف إذن نفسر فوز إمانويل ماكرون ولم تمض سوى سنة بالتمام والكمال على تأسيسه حركة "إلى الأمام"؟ هل انساق الناخبون إلى الحركة أم إلى رجل لم تلطخه أوضار السياسة، وهو الذي لم يظهر إلى الواجهة إلا بعد انضمامه إلى حكومة مانويل فالس كوزير للاقتصاد؟ هل اختير لأن سنّه، ولم يبلغ بعد الأربعين، تؤهله للتغيير الذي طالما انتظره الفرنسيون، أم اختير لشخصه، أم أن الحظ لعب دورا في انتصاره؟

عندما أطلق ماكرون حركته، قال إنها ليست من اليمين ولا من اليسار، ثم عدل عن ذلك بعد انتقاد خصومه سلبيةَ هذا الشعار، فقال بل إنها من اليمين ومن اليسار في الوقت ذاته، أي أن ما أنشأه جامع للشيء ونقيضه، وهو ما عَدَّهُ بعضهم دليلا على تدني النظرية السياسية، لأن انتشار الأحزاب "الجامعة لكل شيء" أخطر ما يمكن أن يصيب الديمقراطية من عطب، كما قال رجل القانون الألماني أوتو كيرخهايمر (1905–1965). غير أن ماكرون يعتقد بأنه لم يعد ثمة حاجز بين اليمين واليسار، بل الحاجز إنما يقع بين التقدميين في مواجهة المحافظين. وهو في هذا يذكّر بتجارب سبقه إليها توني بلير بسبيله الثالثة في أواخر التسعينات، وبعض زعماء اليمين الفرنسي بدءا بجان لوكانويه في الستينات، وشابان ديلماس في السبعينات، وبيير شوفانمان في مطلع الألفية الثالثة، وحتى نتالي كوسيوسكو موريزيه خلال انتخابات حزب الجمهوريين التمهيدية لهذا العام. ولم تمنع كل تلك الدعوات بقاء الأحزاب، وبقاء الفوارق بين اليمين واليسار.

أما عن ظاهرة الانخراط وراء شخصية ثانوية فيعتقد المؤرخ وعالم الاجتماع بيير روزانفالون أنها قطيعة ديمقراطية، فانهيار الأحزاب التقليدية في نظره يعكس زوال الديمقراطية النيابية، حيث يلبي الحزب السياسي مطلبا اجتماعيا ويكون صورة ملخصة لفئة اجتماعية، وجملة من الآراء، تزول لفائدة ديمقراطية تمثّل مختلف بشكل جذريّ.

فالجبهة الوطنية ليست حزبا، بل لجنة مساندة لعائلة لوبان، وميلنشون لم يعد يترشح على رأس حركة هي جبهة اليسار، بل كزعيم يقدم عرضا للبلاد تحت راية عدم الاستسلام. أما ماكرون فحركته هي حركة من ينضمون إلى شخصه. كل هؤلاء يزعمون مناهضة المنظومة، والقطع معها، وهذا ما يؤكد الفرق بين الموقف والمظهر. يقول روزانفالون "عندما نكون في مواجهة عدة مسائل متقلبة ومريبة، تفرض قوة الأفكار السلبية، أي أفكار الرفض والنبذ، نفسَها. ومنْ ثَمّ صارت الديمقراطية تستند إلى الانفعالات والمعتقدات أكثر من الأفكار".

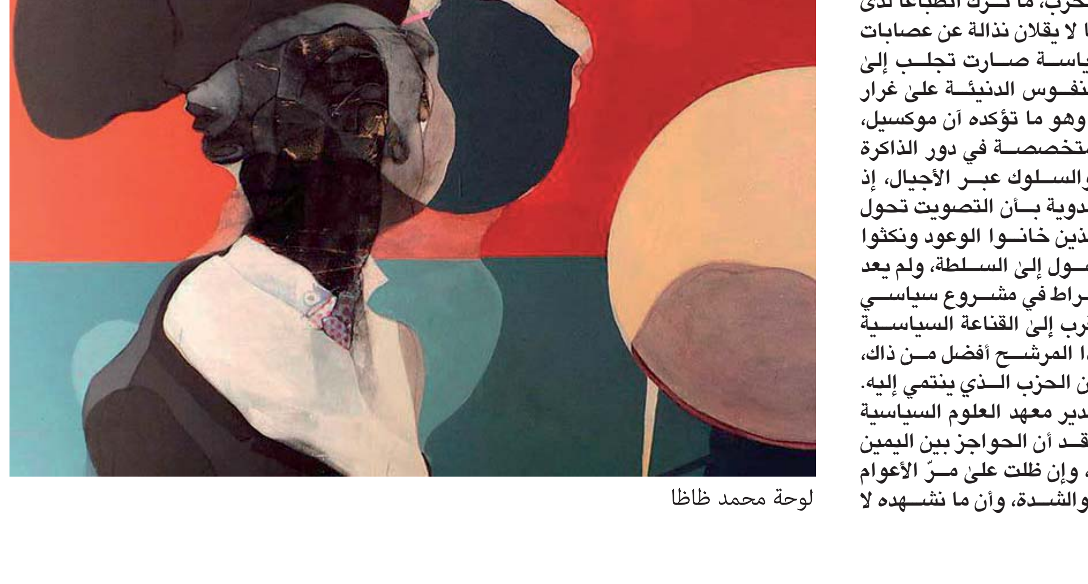

لوحة محمد ظاظا

لقد كانت سياسات اليمين واليسار في فرنسا عاجزة عن تلبية الرهانات الوطنية، واقتراح مشروع ذي مصلحة مشتركة، ودعوة الجميع إلى بذل الجهد لرفع تحدي البطالة والعجز، ومقاربة العالم بوسائل مغايرة. والنتيجة بروز قوة مركزية هجينة، تحرسها من اليمين ومن اليسار قوتان متطرفتان، ما يجعل تداول الحكم مستحيلا، أو منذرا بالوقوع تحت هيمنة أحد المتطرفين.

عندما نرى الملياردير دونالد ترامب والمليونيرة مارين لوبان يزعمان الدفاع عن الشعب، نتساءل ألا يزال لمصطلحي اليمين واليسار معنى؟ الثابت أنهما في أزمة. فأحزاب اليسار بدأت منذ أواخر القرن الماضي تفقد قاعدتها في الطبقة العمالية الصناعية، حين صارت إعادة توزيع الثروات أقل أهمية من التفتح الاجتماعي للأقليات الإثنية والجنسية. ونابت عن الرابطة القديمة بين النقابات والمثقفين تحالفات متنوعة بين مثقفين ونسويين ومثليين وسود.. في الأثناء قدمت أحزاب اليسار، على غرار الجمهوريين في الولايات المتحدة، مساندة ظاهرية للمحافظة الاجتماعية، وحتى الطائفية، والناخبين الأقل حظا في المناطق الريفية، ولكنها كانت في الوقت نفسه تصادق على أفضل القرارات لفائدة المؤسسات الكبرى حينما تكون في السلطة. وما كان صالحا للمؤسسات الكبرى لم يسئ دائما إلى مصالح أحزاب وسط اليسار، فقد حصلت المؤسسات على يد عاملة زهيدة الثمن، فيما شجع اليسار التعدد الثقافي.

ومن البديهي أن تجد الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية الأوروبية نفسها في أغلب الأوقات ضمن حكومات ائتلافية مع محافظين معتدلين مؤيدين للمؤسسات، أو مع ديمقراطيين مسيحيين. ثم ازداد ☚ الأمر فداحة بسقوط الاتحاد السوفييتي، لأن الديمقراطيات الليبرالية في الغرب لم يعد لها نفس الحاجة الملحة لمقاومة الأنموذج الشيوعي بتعديلاتها الخاصة. في هذا الإطار يندرج فوز بيل كلينتون في الولايات المتحدة وتوني بلير في بريطانيا، فكلاهما كان يحمل مقاربة براغماتية نيوليبرالية تخدم مصالح المؤسسات. أي أن السمات المميزة التي تفرّق بين يمين ويسار اختفت. وانتهت فكرة اليسار الذي يمثل البروليتاريا المضطهدة ضد مصالح رأس المال والبورجوازية. ولعل من أسباب هزيمة حزب العمال البريطاني أن سياسات زعيمه، جريمي كوربين، لم تتغير منذ السبعينات.

والفرق بين اليمين واليسار في فرنسا ليس على الصعيد الاقتصادي وحده، بل على مستوى الأفكار أيضا، فبعض المحللين يعتبرون أن الشقاق بين أنصار دريفوس وأعدائه (الذي يرجع عهده إلى 1890) لا يزال قائما في البرلمان حتى اليوم، وإن بصور مغايرة. فماكرون، الذي عمل مصرفيا عند مؤسسة روتشيلد يؤمن بالانفتاح على المؤسسات العالمية، يساري في الأصل وإن انزاح ناحية الوسط، وهو من أنصار دريفوس، فيما لوبان زعيمة فرنسا العميقة، فرنسا المسيحيين البيض الغاضبين في المناطق الريفية، أولئك الذين يعتقدون أن ثمة تناقضا حينما يصرّح المواطن أنه فرنسي ومسلم، هي عنصرية سليلة المعادين لدريفوس ثم للسامية والإسلام، وسليلة المنظمات الإرهابية الفرنسية كمنظمة الحراك الفرنسي.

أما اليمين فهو أيضا يعيش أزمة لا تقل خطورة عن أزمة اليسار. وكان بدأها ساركوزي إبان حملته الرئاسية عام 2007، حينما طلع بفكرة "اليمين غير المعقد" لتبرير تبنيه خطاب اليمين المتطرف تجاه المهاجرين وأبنائهم، والتركيز على المسائل الأمنية، ثم البطالة، فأخفق بعد وصوله إلى سدة الحكم في المسألتين، ما جعل الفرنسيين يرون أنه إن كان لا بد من التصويت لمن يحل مشاكل الهجرة والبطالة، وقد غدت في تصورهم مترابطة، فالأصل أفضل من الصورة. وبذلك أمكن لمارين لوبان، التي خلفت أباها على رأس الجبهة الوطنية، أن تستقطب الفرنسيين بخطاب شعبوي يوهم الفرنسيين بأنهم لن يسترجعوا سيادتهم إلا بالخروج من الاتحاد الأوروبي، والتخلي عن اليورو، وسدّ أبواب الهجرة. وكان بإمكان اليمين أن يفوز بالرئاسة لولا الحزازات الشخصية بين قادته، أهمها العداء المستحكم الذي يكنّه ساركوزي لألان جوبي.

أفول اليسار التقليدي وأزمة اليمين

تحرير المفاهيم من شباك الأيديولوجيا

جاد الكريم الجباعي
مفكر من سوريا

❑ الفكر شكل العالم؛ والكلمات-المفاهيم أسماؤه ومفاتيح معرفته وأدوات مفهمته أو تنظيره بغية إنشاء صورته في الذهن، واستنطاقه واستخراج كوامنه أو إظهارها. وللكلمات حياتها وموتها، سعادتها وشقاؤها، تحمل كلّ منها، فضلاً عن دلالتها اللغوية-المعرفية والاصطلاحية والبلاغية، تاريخها الخاص، مشفوعاً بشحنة أيديولوجية مصدرها الأنساق والخطابات التي اندرجت فيها واكتسبت من كل نسق أو خطاب دلالة خاصة غلبت عليها، في حين من الأحيان، أو في كثير منها، فلا تكاد تعرف إلا بها. علاقاتها المتبادلة التي تجعل منها قضايا وأحكاماً وحكَماً وأقوالاً سائرة ونصوصاً تشبه العلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات التي تولد المعاني والقيم، فتجعل من الجماعة أو المجتمع نصاً فائق التركيب والتعقيد بمتنه وهوامشه.

لذلك تقتضي الموضوعية تحرير المفهوم من شباك الأيديولوجيا وإعادته إلى ميدان المجتمع والتاريخ. ففي هذا الميدان فقط يفصح عن طابعه الواقعي وقيمته المعيارية، وعن دلالاته المعرفية والنفسية والأخلاقية. ولكن، ما العمل، إذا كان "المفهوم" نفسه أيديولوجياً-سياسياً، أو صار كذلك، وإذا كان تحريره من شباك الأيديولوجيا يوجب حذفه؟ إن نقد بعض المفاهيم والمصادرات يفضي بالضرورة المنطقية إلى وجوب حذفها.

اليمين واليسار مفهومان من أكثر المفاهيم شيوعاً منذ الثورة الفرنسية، تتغير دلالاتهما وفقاً لدينامية الحياة الاجتماعية والسياسية في مجتمع معين، بحكم ما يتوفران عليه من كثافة رمزية تبعدهما كثيراً عن دلالاتهما اللغوية وتجعل منهما مجرد استعارتين لاتجاهين فكريين وسياسيين متقابلين على التضاد المطلق، ومتغيرين على الدوام لاتصالهما الوثيق بتأويل التعارضات الاجتماعية-السياسية، لا بالتعارضات ذاتها في واقعها الفعلي. طابعهما البلاغي (الاستعاري) يشحنهما معاً بشحنة أيديولوجية لا تطابق واقع الحياة الاجتماعية، إن لم تحجبه. ولعل ابتعادهما عن دلالاتهما اللغوية هذا الابتعاد ينفي كونهما مفهومين فكريين أو فلسفيين، وقد تكون هذه علامة فارقة بين المفاهيم والمصطلحات. نفترض أن المفاهيم الفلسفية هي تلك المفاهيم التي تتأسس على الدلالات اللغوية وتتجاوزها فيصبح كل منها رمزاً أو عَلَماً على نظيمة فكرية، كالحرية والمساواة والعدالة والخير والشر والمادة والروح والعمل والقيمة.. إلخ، فلا تنعدم الصلة بين الدلالة اللغوية والدلالة المفهومية. نفترض هذا الافتراض للإشارة إلى الطابع الحُكْمي القيمي الذاتي ذاتية خالصة لهذين "المفهومين" أولاً، وإلى طابعهما التفاضلي والتفاصلي ثانياً، وإحالتهما على تناقض مطلق بين الاتجاهات الفكرية والسياسية، مما يدرجهما في مدرج الثنائيات المتنافية تعادمياً، ثالثاً.

ندّعي أن هذا الافتراض يسقط قيمتهما المعرفية والأخلاقية من المبدأ والمنطلق. لم نستسغ في أيّ يوم الأحكام التصنيفية القطعية: يميني، يساري، تقدمي، رجعي، وما في حكمها، التي ترمي الطفل مع غسيله الوسخ، بتعبير ياسين الحافظ، أو التي تحكم على الإنسان من خلال محمولاته القابلة للتغير، أو على أساس اتجاهه الفكري أو السياسي، فتستبيح كرامته وتنكر عليه حريته وحقوقه، وتستبيح قتاله وقتله، باسم المشروعية الثورية.

هنا، لا بد من طرح مقولة "الصراع الطبقي" للنقاش، إذ تعدت حدود كونها مقولة مفهومية وأداة تحليل إلى مقولة تعيينية متعسفة تنطوي على جرثومة الكراهية والحقد والرغبة في الانتقام، ولا تمتّ بأيّ صلة للديالكتيك. آية ذلك أن يساريين في بلادنا أباحوا لأنفسهم سرقة ممتلكات الأغنياء، (سرقة أشياء صغيرة من المحلات التجارية)، أو برروها، لأن هؤلاء الأغنياء، أصحاب المحلات التجارية، "بورجوازيون" مستغلون، وأعشاب ضارة يجب استئصالها، بتعبير ماو تسي تونغ. وكان للماركسية اللينينية الستالينية، ثم الستالينية والماوية كذلك، أبلغ الأثر في هذا الجهل والانحطاط الأخلاقي. من ذلك تبرير جرائم الغولاك في الاتحاد السوفييتي السابق وجرائم الثورة الثقافية الصينية، وغيرها من القباحات.

الانقسامات التي حدثت في صفوف اليسار نفسه، بدءاً من الأممية الثانية، وتأسيس الأممية الثالثة، ثم نقيضها، الأممية الرابعة، وعداوة الماركسية السوفييتية للماوية، وكذلك انقسامات الأحزاب الشيوعية، عندنا، والمعارك الكلامية التي خاضتها جميع الأطراف، وكان يمكن أن تتحول إلى معارك فعلية لو ترجمت الأقوال إلى أفعال، تشير كلها إلى سقوط أخلاقي باكر كالسقوط الأخلاقي الذي يسم سائر العصبيات.

قد يعترض كثيرون على المعيار الأخلاقي الذي نعتمده للحكم في اليسار، له أو عليه، هذا شأن من يعترض، لكن المعيار الأخلاقي، في نظرنا، يحيل على سموّ الرابطة الإنسانية، ومن ثم، سمو الرابطة الاجتماعية وسمو القانون على سائر الروابط الأخرى. ويحيل من جانب آخر على أوّلية الحوار والنقاش العام لإنتاج الحقيقة، وتجديد المعرفة، واجتراح حلول سلمية للتعارضات الاجتماعية، ويحيل على رفض العنف وإدانته من أيّ جهة أتى.

ولا بد من الإشارة إلى أن اليمين المحافظ، "الرجعي"، الذي يرفض التغيير، والذي كان ممثلاً بالنبلاء ثم بالملك ورجال الدين، تأسس عشية الثورة الفرنسية على اليسار، ممثل الشعب، وكانت البورجوازية الناشئة في عداد الشعب، كما لاحظ الأب سييس، لدى حديثه عن "الطبقة الثالثة". وكما لاحظ ماركس أيضاً في حديثه عن الطبقة التي تدّعي تمثيل الأمة، وتمثلها فعلاً حين تعترف لها بقية الطبقات بذلك، فتأسس اليسار على نزوع شعبي ينشد المساواة والعدالة، إذ أرست الليبرالية، البورجوازية، مبادئ الحرية. هذا يعني أن اليسار تأسس على مطلب اجتماعي-اقتصادي وسياسي وأخلاقي، في بادئ الأمر، وعلى نزعة إنسانية عبّرت عنها فلسفة ماركس الإنسية أو الإنسانية، باعتبار نفي جميع أشكال اغتراب الإنسان عن عالمه وعن ذاته، وعن ماهيته الإنسانية، هو غاية التطور التاريخي وغاية الثورة. لكن هذا الجذر الإنسانوي ما لبث أن ضمر ثم جفّ في فكر القوى اليسارية وممارستها بتأويل الصراع الطبقي على أنه وجوب القضاء على البورجوازية والنظام الرأسمالي، ورفع "العنف الثوري" إلى مرتبة القداسة وعدم قابلية النقاش والنقد.

وإذ يحيل المفهومان من بعيد على التفارق الفلسفي بين "المادية" و"المثالية": الأولى فلسفة "يمينية" والثانية "يسارية"، ثم الأولى بورجوازية والثانية بروليتارية، نذكر بقول ماركس إن التناقض بين المثالية والمادية تناقض مطلق في المسألة الفلسفية الأولى فقط، ونسبي في بقية المسائل"، ونذكر بتثمينه لثورية البورجوازية وأهمية منجزاتها، في الأطروحات حول فيورباخ وغيرها. اليسار الماركسي، بعد ماركس، اعتبر التناقض بين المثالية والمادية تناقضاً مطلقاً على طول الخط. ولهذا علاقة وثيقة لمنطقه الإطلاقي والحتمي، "حتمية الثورة الاشتراكية"، وهو منطق "مثالي بامتياز".

كان مبدأ اليسار هو تمثيل الشعب والدفاع عن مصالحه ونشدان التغيير وتعميم مبدأ المساواة ومعارضة الديمقراطية الليبرالية بالديمقراطية الاجتماعية.. ولكن مفهوم اليسار لم يعد يحمل هذه الدلالة فقد أعيد بناؤه على مبدأ صراع الطبقات في زمن ماركس وتأسيس عصبة الشيوعيين التي كانت تهدف إلى "الإطاحة بالبورجوازية وسيطرة البروليتاريا، وإلغاء المجتمع البورجوازي القديم القائم على أساس تطاحن الطبقات.

لوحة موسى النعنع

تحالف اليسار والإسلاميين في العالم العربي

عواد علي
كاتب من العراق

❑ ثمة عبارة تقول "قلوبنا مع اليسار وجيوبنا مع اليمين" وهي تشير إلى التيارات التي تدافع عن العلمانية والحقوق الفردية (التي يدافع عنها اليسار تقليديا)، لكن في الوقت ذاته تصطف تلك التيارات مع اليمين في المجال الاقتصادي. وتكاد العبارة تنطبق اليوم على معظم التيارات السياسية والأيديولوجية في العالم، في حين يُفترض أن اليسار واليمين على طرفي نقيض في السياسة والاقتصاد. ففي أوروبا، مثلاً، تحوّل حزب العمال البريطاني (الذي يُفترض أنه حزب يساري لأنه يمثّل العمال) إلى حزب يميني في سياسته الخارجية، وربما في كثير من مرافق السياسة الداخلية، ولولا أنه خصم تقليدي لحزب المحافظين اليميني لما تردّد زعيمه في قبول وصف "يميني" أو "يساري محافظ"، كما يقول محمد عابد الجابري (أنظر: أبوبكر العيادي، "أمراض اليسار: العودة إلى حظيرة الطوباوية"، مجلة الجديد، العدد 26، مارس 2017).

وعلى صعيد آخر يتخذ كل من زعيمة حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف (الشعبوي) مارين لوبان، وزعيم حزب اليسار الجذري (حركة فرنسا المتمردة) جون لوك ميلونشون مواقف متشابهة، أو متقاربة في السياسة الخارجية (إعجابهما بالرئيس الروسي بوتين مثلاً)، ويتحدثان باسم الشعب ويدّعيان تمثيله، ويدعوان إلى الثورة على المنظومة السائدة، والتنديد بالنخبة دفاعاً عن الشعب، وينظران إلى الاتحاد الأوروبي بوصفه كياناً سلب فرنسا صلاحياتها السيادية، ويجب إعادة صياغة هيكلته على أسس تضمن احترام أصوات الشعوب. وفي الولايات المتحدة الأميركية لا توجد اختلافات جوهرية بين توجهات الحزب الجمهوري الذي يُصنّف في "اليمين"، وتوجهات منافسه الحزب الديمقراطي الذي يصنّف في "اليسار". إن الاختلافات بينهما، كما يشير برنامجاهما السياسيان تتركّز على قضايا "الإجهاض" و"زواج المثليين" و"الضرائب" و"الرعاية الصحية" و"حيازة الأسلحة النارية".

يذهب بعض المفكرين إلى القول إن اليسار لم يعد قادراً على الإمساك بمفاصل المجتمع والتأثير على الدينامية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أوجدتها العولمة النيوليبرالية، وإن هذا اليسار، الذي مثّل على مدى زمن طويل الفعل والحركة مقابل محافظة الليبراليين وفلسفتهم، بات اليوم متهماً بالتواطؤ مع عالم يتفجر فيه التفاوت ويتعطل الاندماج وتكرّس الأنظمة التعليمية إعادة الإنتاج الاجتماعي كما فسّرها بورديو، وتدمّر الرأسمالية الكون بأسره. والسّؤال المطروح هو ما الذي أوهى اليسار إلى هذه الدرجة من الهوان حتى صار عاجزاً عن الفعل في العالم؟ ما هي العوائق التي حالت دون احتوائه غضب جماهير ضاقت ذرعا بمساوئ العولمة في شتى الأصقاع ليقترح الحلول المناسبة؟

> هذا اليسار، الذي مثّل على مدى زمن طويل الفعل والحركة مقابل محافظة الليبراليين وفلسفتهم، بات اليوم متهماً بالتواطؤ مع عالم يتفجر فيه التفاوت ويتعطل الاندماج

يعتقد بعض المفكرين، مثل جان كلود ميشيا، أن هذا العجز يتجلّى في تخلّي اليسار عن تغيير العالم عن طريق تحالفه مع الليبرالية الاقتصادية والثقافية على حساب أولوية الدفاع عن الذين يعيشون ويعملون في ظروف تزداد تهميشاً وهشاشة يوماً بعد يوم .فيما يرى بعض التقدميين الليبراليين، مثل نيكولا بوزو، أن العجز مرده إلى تشبث اليسار بمقاربة عفا عليها الزمن، مقاربة تقوم على اشتراكية الدولة ودولة العناية والرفاه .والثابت اليوم أن الرأيين يلتقيان في تشخيص أعراض الأدواء التي يعاني منها اليسار، فهي، وإن تعددت صيغها، لا تنأى عن الخيانة والتآكل، تحوم في معظمها بين التنكّر للأصول وبين "برمجية" ما عادت تستجيب للمستجدات التي أفرزتها العولمة والتطورات العميقة التي أحدثتها (أنظر: حفيظ الزهري، "تحالف الإسلاميين واليساريين: الماضي والمستقبل" موقع "لكم" الإلكتروني: http:// www.lakome2.com 30 /4/ 2016).

في عالمنا العربي بدأت تتصدّع، خلال السنوات الأخيرة، ثنائية اليسار واليمين بتحالفات بين الأحزاب والتنظيمات اليسارية والأحزاب والحركات اليمينية المتمثلة بالإسلام السياسي، وهي تحالفات قائمة على المصالح، متجاهلة التنازلات عن المبادئ والأيديولوجيا، كما حدث في العراق حين تحالفت قيادة الحزب الشيوعي مع الإسلاميين، موقعة نفسها في براثن الوصولية ومستنقع الانتهازية والفئوية والنعرات الطائفية لإسقاط النظام السابق، استعانة بالولايات المتحدة وحلفائها الغربيين، في حين أن أميركا هي دولة إمبريالية في أدبيات الحزب الشيوعي، والإسلاميون هم تيار ثيوقراطي رجعي يرفض العلمانية ولا يؤمن بحاكمية الشعب. لقد فعلت قيادة الحزب الشيوعي العراقي ذلك، وظلت حتى الآن تبحث لها عن قدم في العملية السياسية المحاصصاتية الفاسدة دون جدوى، ولم تأخذ عبرةً من التجربة القاسية لحزب "تودة" الإيراني الذي ساند الثورة الخمينية الإسلامية عام 1979 حتى جاءت نتائجها مؤسفةً حينما غدر نظام الملالي وولاية الفقيه بقيادات الحزب وكوادره بإعدامهم واحداً تلو الآخر. والغريب ما كتبه كاتب عراقي، يعدّ نفسه يساريا، قائلاً "إن الأهداف الوطنية المشتركة بين الإسلاميين والشيوعيين تكفي لتكون أساساً لأيّ تحالف غايته بناء الدولة العراقية الحرة والشعب السعيد، وتوفير الحماية اللازمة للعملية السياسية الجارية في العراق الجديد" (أنظر: حازم صاغية "سوريّة وثنائيّة "اليسار" و"اليمين"، جريدة الحياة، الثلاثاء، 2017/2/14).

في السياق ذاته، تمكن الإشارة إلى موقف الأمين الأول للحزب الشيوعي السوري (الموحد) حنين نمر، الذي حابى النظام السوري الدكتاتوري بتقديم الذرائع التسويفية والمسوّغات التضليلية للمذابح البشعة التي يرتكبها بشار الأسد بحق الشعب السوري، وبغضه الطرف عن التحالف الاستراتيجي ثلاثي الأضلاع بين ذلك النظام والنظام الإيراني وحزب الله اللبناني، بل تعاطفه المطلق مع أهداف هذا التحالف المبني على توافق طائفي، رغم أن النظام الإيراني وحزب الله إسلاميان ثيوقراطيان، بينما يدّعي النظام السوري أنه نظام قومي يساري علماني!

تحطيم الحلم بالمستقبل

عودة الأيديولوجيا وظهور الحركات الشمولية

خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك – باريس

❑ كثر الكلام عن "نهاية الأيديولوجية" منذ بداية الستينات في القرن الماضي (المقصود أساساً النظريات التوليتارية الكلية النازية والفاشية والشيوعية)، ومع سقوط الاتحاد السوفييتي أوائل تسعينات القرن العشرين تصور البعض الوصول إلى نهاية التاريخ مع "انتصار الاقتصاد الرأسمالي". بيد أن انتكاسة العولمة الشمولية إثر زلزال وول ستريت في 2008 أعادت إلى الصراع الأيديولوجي أوراق اعتماده مع صعود حركات مناهضة للعولمة وأشكال تنظيم سياسي جديد وأن الاستقطاب التقليدي بين اليمين واليسار يخلي الساحة لقوى متنوعة الاتجاهات يتصاعد نفوذها مع تصدع العولمة والانكفاء نحو الهويات. أما الثورة الرقمية فقد أخذت تتفاعل مع المشهد السياسي وتؤثر فيه وتنتج حركات جديدة أخذت تطبع المشهد الأوروبي.

لقد سقطت النظريات الشمولية والكلية التي مهرت بطابعها القرن العشرين، لأنها كانت نافية لبقية الأيديولوجيات و"الآخر". بينما صمدت الليبرالية ليس لسيطرة اقتصاد السوق التي تصاحبها بل تكمن قوة الليبرالية في قبولها التسامح و"التعايش" بين مختلف الأيديولوجيات والاتجاهات والنظرات. لكن العولمة غير الإنسانية والمنفلتة من كل قيد والهادفة للكسب تكاد تحول الليبرالية إلى أيديولوجيا بنص مغلق، مثلها مثل غيرها من أيديولوجيات، وهذا هو المأزق الذي عبرت عنه تطورات 2016 مع البريكست، انتخاب ترامب وصعود الشعبوية... وهذه "الغيبوبة" في الوعي (وحماية المنظومة القيمية) جرت فرملتها مع قدرة بلدان في أوروبا على صدّ تيار القطيعة كما حصل في انتخابات هولندا وفرنسا لهذا العام.

في الألفية الثالثة وفي أواخر العقد الثاني من قرنها الأول، نستنتج بذهول العودة إلى الوراء مع صعود الأصوليات من كل حدب وصوب في زمن الهويات القاتلة. لقد تفاقم البعد الديني في الصراعات من القدس إلى ميانمار (بورما)، واحتدام النزاع السني–الشيعي وتزامن ذلك مع ما يسمّى الجهاد العالمي بتلويناته المختلفة وانتشار خطر الإرهاب الذي عززته حروب أفغانستان والعراق في بداية القرن.

تواكب كل ذلك حروب تنهش العالم العربي وتحطم دوله وإنسانه، بعد فشل داخلي وإفشال خارجي لحلم الشباب العربي بالتغيير وإحالته نحو اليأس أو الانتظار أو إلى مثالب التطرف الراديكالي ودائرته المغلقة. على الضفة الأخرى من المتوسط والأطلسي وبعيدا في أستراليا تأتي أصوات نشاز عبر تعميم الخلط بين الإسلام والإرهاب ونشر الإسلاموفوبيا.

قبل ذلك لم تطل الفرحة بلحظة اليقظة العربية أواخر 2010–2011. فكما في مجمل المسارات الثورية لا نعلم متى يبدأ الحراك الثوري ولا متى ينتهي، لكن غالباً ما يكرر التاريخ نفسه وما قيل قبل أكثر من قرنين من الزمن عن الثورة الفرنسية التي "تأكل أبناءها" ينطبق على مسارات ثورية عربية متعثرة.

يبدو أن الحلم الكبير الذي كان يراود صناع اللحظة الثورية العربية تبدد نسبياً تحت ضغط الوقائع الصعبة. لقد انبهر العالم بالطابع السلمي المميز وبقدرات الجماهير على صناعة التغيير في ميدان التحرير في القاهرة أو في ساحات درعا وحمص وصنعاء وبنغازي، عبر ضغط الكتل البشرية الذي كان ينظر إليه علماء الاجتماع السياسي –من أبرزهم غوستاف لوبون– بحذر، وأصبح مثالا يحتذى لانتفاضات الكرامة (أو حركات الناقمين Les indignés) من مدريد إلى وول ستريت. كان كل شيء يؤشر إلى أن نشوب لهيب الحرية سينتج عنه بناء مشروع حداثي يتأقلم مع أحوال العالم العربي لأن العيش الكريم والتحول الديمقراطي واحترام الفرد والحرية تندرج ضمن منظومة القيم التي تتجاوز الحضارات والثقافات والحدود. لكن اللعبتين الإقليمية والدولية بالإضافة لعدم وجود أحزاب حاملة للمشروع التغييري أو معبّرة عنه أوصل إلى مأزق تجسّد بصراعات عنيفة وتفكك مجتمعي. مما لا شك فيه أن الثورة الرقمية لعبت دورا كبيراً في اللحظة الثورية العربية من حكاية التونسيين مع الإنترنت واختراق جدار المراقبة إلى المنظمات غير الحكومية في مصر ودورها المفصلي الذي لم يره البعض إلا تحت مجهر التدخل الأميركي والغربي. أما في سوريا

لوحة موسى النعنع

فكم وكم من أحزاب وقوى وتنظيمات عملت عبر "السكايب" الذي أصبح وسيلة التواصل المثلى لإسقاط سدود الخوف والطغيان. ومن الواضح أن كل الحركات والقوى الناشئة في مرحلة ما بعد "الربيع العربي" اعتمدت على وسائل التواصل الاجتماعي أكثر مما اعتمدت على أساليب الاستقطاب التقليدية. وبالطبع استفادت التنظيمات المسلّحة المصنّفة إرهابية وغيرها من الطفرة التكنولوجية التي تكرّست كسلاح ذي حدين.

أمام تمدد " داعش" وفزاعة الإسلاموفوبيا أتى الإنذار النمساوي في ربيع 2016 حينما كاد زعيم اليمين المتطرف في النمسا يفوز في الانتخابات الرئاسية، واتصل ذلك بإطلالة وجه جديد من الفاشية مع انتشار خطاب القطيعة عبر القارات ومقولة رفض الآخر والتطرف على أنواعه وحروب الهويات والحضارات. وليس من المصادفة أن يحصل ذلك في النمسا التي تقع في وسط أوروبا، ويمكن أن تعكس كل ما يجري في تلك القارة من انهيار في منظومة القيم ومن تحديات متصلة بمواضيع اللجوء والهجرة وموقع أوروبا في العالم.

في العام 2016 شهدنا انهياراً في العالم "القديم" المرتسم بعد الحرب العالمية الثانية مع تلاحق أحداث مفصلية: البريكست بالتوازي مع تداعيات ظاهرتي اللجوء والإرهاب وصعود الشعبوية في أوروبا ونهجي التطرف والقطيعة حول العالم، انتخاب دونالد ترامب، الاختراق الروسي الاستراتيجي مع بوتين، المحاولة الانقلابية الفاشلة في تركيا وتتمّاتها، الفوضى التدميرية في العالم العربي، صعود الصين كقوة شاملة وتصرف كوريا الشمالية المريب. أمام هكذا تحولات متسارعة مع ما تنطوي عليه من تصدّع في الجوانب الإيجابية للعولمة واهتزاز في القناعات وكلّ ما هو يقيني، حل الاستحقاق الرئاسي الفرنسي حيث هناك الكثير من المواقف اللفظية أو العبارات الحادة من هذا المرشح أو ذاك حيال هذا الحدث أو تلك الدولة. لكن لم نلاحظ في العمق نقاشاً رصيناً حول تحولات 2015–2016 وأثرها المباشر والمستقبلي، وعدم وجود برامج انتخابية وأطروحات مقنعة بخصوص مصير فرنسا وتموضعها الأوروبي واستقلاليتها الاستراتيجية.

لم تكن هذه المعركة ببساطة معركة عادية وتنافسا تقليديا بين اليسار واليمين، بل هي معركة استثنائية ومميزة لجهة مستقبل الديمقراطية الليبرالية وتقرير مصير الاتحاد الأوروبي.

مفترق الحائرين: العالم العربي إلى أين

عامر عبد زيد
كاتب من العراق

❑ يعاني عالمنا من مشاكل مزمنة منها الفقر والتصحر والأميّة و الإرهاب والتميز ضد المرأة وكلها مشاكل تعبر عن أزمات تحتاج إلى توافر الإمكانيات المادية والثقافية و الأخلاقية من أجل تقديم حلول مستدامة؛ لأن المشكلة تكمن في غياب آليات التعاون والتفاوض والتفاوض الناجح من أجل تقديم الحلول التي تحترم تنوّعنا الثقافي والحضاري والديني والسياسي. فإن كرتنا الأرضية فيها ما يكفي لسد احتياجات كل البشر والمشكلة تكمن في التوزيع، فالتفرد والاستحواذ لا ينتج حلولا، بل يعمق المشكلة، وهذا يجعلنا نستعيد سؤال نيتشه: ما معنى الوجود البشري؟ ما هي الحكمة من وجوده؟

هناك كثير من الأجوبة جاء بها الدين والفلسفة والعلم، ومنها إجابة نيتشه نفسه عندما قال "المنظومة البشرية عبارة عن نظام أيكولوجي متكامل، عبارة عن مجموعة من المخلوقات أكثر ذكاء من المنظومات الحيوانية والنباتية تعتمد في وجودها على التناسل".

وقد تنوعت الإجابات منذ زمن بعيد، جاء الدين بحلول تعتمد على الأخلاق والعقاب؛ لكنه سرعان ما تحول إلى دوغمائية مولد للعنف الرمزي على رغم من كونه كان يروم إلى هدف مغاير إلا أن الراغبين بالسلطة حولوه إلى حقل للصراع حول الحقيقة الكاملة، وهو صراع عن السلطة المرغوب بها وما الدين إلا كبش فداء في التغالب على المنافع. ثم جاءت الحداثة بمقاربة تنويرية إذ ادّعت أنها تريد محاربة التوحش إلا أنه سرعان ما تحوّل التنوير من مدافع عن الحريات والمعرفة إلى خطاب للتوحش والرغبة بالهيمنة والاستعباد وتحوّل إلى يوتوبيا التنوير إلى خطاب كولونيالي غربي يحاول الاستحواذ على الخيرات، وقد تحولت الحريّة والديمقراطية إلى مجرد إشهار من أجل الهيمنة والاستعمار الذي يقوم على مقاربات عرقيّة تنفي تحول كل إمكانية إلى عدالة وتعارف كما دعا لها كانْط.

فالرغبة بالهيمنة حولت العقلانية إلى مجرد شعار خلف تغوّل الرأسمالية الغربية، زصحيح أنه منذ بداية هذا الوجود والبشر يحاولون بشتى الوسائل عبور مسيرة الحياة كل بحسب إمكانياته البيئية والعقلية نظراً لازدياد التناسل ومحدودية الثروات المتوافرة إذ طغى على الفرد الأنانية واستعمال الشر ضد منافسيه لجمع أكبر جزء من الثروة والسلطة.

وهكذا كان الخطاب الغربي يحتوي على قيم مزدوجة؛ فهو خطاب كولونيالي اعتمد على العنف وإنكاره لقيمة الإنسان الفرد وحريته في ناحية في العالم الثالث بحجة تخلفه وهمجيته في حين يعتمد داخل الغرب على قيمة مختلفة ترفع راية التحضر الذي يرفض العنف ويرفع من قيمة الإنسان وقيم الحرية والعدل والمساواة داخل المجتمع الغربي طبعاً، وبين النقيضين توجد حدود الأنسنة الغربية إذ تطرد منها الآخر المختلف من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت هناك عوائل من أصحاب الشركات كانت كما وصفها كينيون غيبسون في "أوكار للشر" (ص 14) بأنهم "كانوا كالثعابين بين أوراق الشجر" كانوا يصنعون المؤامرات ويتلاعبون بالمشاعر؛ للانقياد والاستحواذ حتى وإن قادهم هذا إلى التعاون مع النازيّة ضد بلدهم من أجل تحقيق مصالحهم وميولهم النازية مثل الصفاء العرقي والسيطرة على العقول".

فهذا الخطاب مزدوج القيمة كان لا بد منه أن يفترض خطابا مقاوما هو الشيوعية من أجل مقاربة أكثر عدالة إلا أن هذا الأمر قاد إلى مقاربة جماهيرية شمولية ولدت رعبا غير محدود بدلاً من أن ينجز حلاً ويحقق العدالة إلا أن العدالة المتنافية مع الحرية بفعل جمهوريات الخوف التي عمقت التوحش واخترقت قيم الإنسانية بحجة العدالة الاجتماعية، وبالنتيجة فقد جاءت المقاربتان كلتاهما وفشلتا على أرض الواقع: الرأسماليّة والاشتراكيّة.

لوحة موسى النعنع

سقوط الإنسان

أحمد برقاوي
كاتب من فلسطين

❑ لم يكن هيجل مثالياً حين رأى العقل يمتطي حصاناً وهو يشاهد نابليون من نافذة بيته في "يينا". كما أنه قد أصاب حين أعلن "بأن التاريخ ليس إلا مسار وعي الحرية لذاتها". ولقد وضع ماركس يده على الحقيقة التي يهرب الناس من مُرها ألا وهي المصلحة بوصفها محركا للتاريخ. هذه المفاهيم الثلاثة لا تعني سوى الإنسان في تعينه التاريخ، فالإنسان المجرد لا وجود له إلى في العقل الذي جرده من الإنسان المتعين. الموجود هو البشر في تعينهم التاريخي. فالمصلحة والحرية يحددان روح العالم ومسار تاريخية البشر في كل أشكال تعينهم في الجماعات والأقوام والشعوب والأمم.

والحق بأن البشر لا يعون حريتهم "عند هيجل وماركس" إلا بوعي عبوديتهم. والملكية، تاريخياً، شرط مهم من شروط ولادة العبودية واستمرارها. والمصلحة بدورها لا تنفصل عن العبودية، ومن هنا كانت ولادة الإنسان ولادة وعيه بالحرية بوصفها وعياً بعبوديته وما ترتب عليها من وعي مكتوب أو شفاهي. ووعيه بالحرية هو الذي حمله على أن يكتب معنى وجوده الحر.

وإذا كانت البرجوازية بوصفها طبقة قد أعلنت مركزية الإنسان وأنتجت أهم فكر إنساني وصاغ نظريات العقد الاجتماعي فإنها في المقابل أنتجت أشكالاً أخرى من العبودية في انتصار العلاقات الرأسمالية. ولهذا فالديمقراطية هذا المنجز الأوروبي بوصفه نمط حياة سياسي واجتماعي واقتصادي لم يأتِ على التناقض بين الحرية وسلبها بل جعلَ منه حالة قابلة للصراع الداخلي ذي الطابع السلمي ومن هنا نشأ مفهوما اليسار واليمين من حيث هما تعبيران عن التناقض. ولم يلغ الصراع على اقتسام العالم غير الأوروبي.

فأوروبا بوصفها أعلى شكل لوعي الروح لذاتها في الدولة الديمقراطية وجدت نفسها في العصر الإمبريالي–الاستعماري سيدة على عالم واسع من آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. ولقد وفرت هذه السيادة على العالم غير الأوروبي للإنسان الأوروبي حظاً من الرفاه بحيث لم يعد فيه التناقض الطبقي صارخاً. بل صار الخلاف بين اليسار واليمين خلافاً على درجات الرفاه ومستوياته. فالتقنية والمال والديمقراطية جعلت من الإنسان الأوروبي سعيداً في دولة الرفاه ودولة العناية.

وفي الوقت نفسه كان عالم الأطراف عالم ما قبل التقنية، عالم ما قبل الثروة، عالم ما قبل الديمقراطية. عالم التبعية التي هي في مضمونها شكل من العبودية.

لقد نظر فوكوياما إلى أوروبا وأميركا على أنهما نهاية التاريخ بالمعنى الهيجلي، فلقد وصل الروح الموضوعي إلى الدولة الدستورية–الديمقراطية التي أنهت التناقضات الطبقية والقومية والإثنية والدينية. وربما كان يشير إلى مسار الرأسمالية نحو العولمة التي لم يستطع أن يتوقع تناقضاتها.

> إذا كانت الرأسمالية الوليدة قد أنجزت الوحدة القومية (الأمة). فإن الإمبريالية توسع الرأسمالية خارج حدودها وقد حاولت توحيد العالم عبر السلطة والقوة العسكرية والاستعمار، مع بقاء الدولة القومية بوصفها دولة استعمارية

لقد عادت العولمة كل المفاهيم الدالة على تعين مسار الحرية وانتصار مركزية الإنسان إلى دائرة التفكر والمراجعة.

ما العولمة التي "خربطت" مسار التاريخ وهي في مسار تاريخ الرأسمالية؟

نعتقد أن العولمة ثمرة تاريخ طويل من سيرورة الرأسمالية التي هي في أهم ملامحها توحيد العالم، وقد أشار ماركس منذ القرن التاسع عشر إلى هذه الطبيعة التوحيدية للرأسمالية.

والحق أن توحيد العالم رأسمالياً قد تم بأشكال متعددة، تعينت بتطور الرأسمالية عالمياً. فإذا كانت الرأسمالية الوليدة قد أنجزت الوحدة القومية (الأمة). فإن الإمبريالية توسع الرأسمالية خارج حدودها وقد حاولت توحيد العالم عبر السلطة والقوة العسكرية والاستعمار، مع بقاء الدولة القومية بوصفها دولة استعمارية. وسيشهد العالم صراعاً بين الدول الإمبريالية نفسها والحروب العالمية الأولى والثانية وبين الدولة الإمبريالية والشعوب المستعمرة.

ينشر الملف بالتعاون مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والمقالات كاملة على الموقع الإلكتروني

عملان من المعرض: انزال الطاغية عن عرشه

جنة الدكتاتور المرحة

معرض باريسي يترك لطاغية كوريا الشمالية حرية اللعب والمرح

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ يعتبر الطاغية شخصاً ومفهوماً من أقدم أشكال الهيمنة والسيطرة السياسية، إذ يمتد ليشمل كافة جوانب الحياة، ومازال حاضراً بكل أشكاله حتى الآن، فالهيمنة التي يقوم بها الطاغية مرتبطة بشخصه وتقديسه، وجعله أقرب للأسطورة، لتحاك حوله الحكايات والأساطير الشعبيّة مدعومة بأجهزة البروباغاندا والتلاعب، ليأتي الفن كحركة ووسيلة لمواجهة هذا الطغيان سواء عبر الدعوة للثورة أو عبر النقد والسخرية بوصفهما ينزعان القدسية عن هذا الكائن الذي يدّعي المعرفة العليا، وخصوصاً أن الطاغية تحضر أشكاله وتحولاته بصيغة سياسية تحافظ على هيبته بل حتى تجرّم من يتجرأ على انتقاده أو المساس بمكانته.

اشتهر الفنان الإيطالي ماكس بايتشي بكونه مخرجاً مسرحياً وسينمائياً، ومؤخراً تحول للفنون الرقميّة وأقام معارض في عدد من عواصم العالم كطوكيو وبرلين ونيويورك، حالياً تشهد صالة بوانت إيفيمير في باريس معرضاً لبايتشي بعنوان "حَضَر القائد" وفيه يستخدم تقنيات الفوتومونتاج الرقميّة لتكوين عدد من اللوحات التي نرى فيها طاغية كوريا الشماليّة كيم جونغ أون بصورة مختلفة عن تلك التي نعرفها عنه، إذ تتداخل صوره مع صور مستمدة من الثقافة الشعبية والبوب أرت والأعمال الفنية الجماهيرية، لتكسر هيمنة صور البروباغاندا التي تحتكر كيفية ظهوره علناً وتسائل آلية غرسه في وعي الناس.

يستخدم بايتشي التقنية الحديثة لنزع الهالة عن صورة الطاغية ووضعه في سياقات مختلفة، إذ يحافظ على التكوينات الرئيسي لملامح الصورة الأصل ويضيف عليها صورة الطاغية، مثلا نرى لوحة بعنوان "north park" وهي محاكاة ساخرة لشخصيات المسلسل الكرتوني الأميركي الشهير "south park"، إذ استبدل فيها الفنان أوجه الشخصيات الأربع الرئيسية بصورة كيم، إلى جانب لوحة أخرى مشابهة لكن باستخدام شخصيات مسلسل تيليتابيرز، مفعّلاً عناصر الكوميديا التي تختزنها تقنية التلاعب بالسياق هذه، دافعاً مخيلة المشاهد لتكوّن كيم ضمن أشكال مختلفة عن صور الإعلام، فكيم ليس صارماً يشاهد استعراضاً عسكرياً، بل شخصية كارتونية تقفز في المروج الخضراء كتيلي تابيز أو يقوم بمقالب ونكات عنصرية ككارتمان في "south park".

لا تنحصر تقنيات المونتاج الممارسة في المعرض بالبرامج التلفزيونية الجماهيريّة، بل يحوّر بايتشي أيضاً أيقونات البوب أرت، لنرى وجه كيم يحضر عوضاً عن صور مارلين مونرو الملونة في عمل أندي وارهول بعنوان "دقائق من الشهرة"، أو نراه يرمي بصاروخ نووي عوضاً عن باقة من الورود في تحوير لأحد أعمال بانكسي لكن هذه المرة بعنوان "القائد في الهواء"، فالفنان يقحم الفن بمواجهة شديدة الوضوح ضد الطاغية، فتقنيات الباروديا (parody) المستخدمة هنا تؤكد على مهمة الفن في نزع الهالة عن الشخوص، وأهمية الانتهاك الفني الذي تختزنه الباروديا سواء تجاه السياسي أو الفنيّ بحد ذاته، كاللوحة المسمّاة "من أجل حبّ القائد" والتي تحاكي جمجمة الفنان ديمين هيرست المرصّعة بالألماس، لكن الاختلاف أن بايتشي أضاف لها قبعة كيم وصاروخاً بين فكيها.

> يستخدم بايتشي التقنية الحديثة لنزع الهالة عن صورة الطاغية ووضعه في سياقات مختلفة، إذ يحافظ على التكوينات الرئيسي لملامح الصورة الأصل ويضيف عليها صورة الطاغية

تختلف ممارسات بايتشي عن اللعب التقليدي بوصفها نابعة من موقف نقدي، هي لا تدعو لتأسيس قواعد جديدة بل تخلخل الموجودة حالياً، لا تقدم بدائل أو تدعي أنظمة بديلة للـ"طاغية"، بل هي رسالة واضحة ضد الاستبداد بصيغة غروتيسكيّة معاصرة عبر توظيف للمنتج الثقافي والفنّي السياسي أصلاً لمواجهة الأشكال السياسية الأخرى من الصور، وكأننا أمام لعب في عالم مليء بسرديات مكونة من صور تتراكم وكلّ منها يسعى لإغراق الآخر، كمواجهة بين الطاغية بإعلامه وماكينة البروباغاندا التي يمتلكها ضد الفنان وآليات السخرية والتهكم التي يتلاعب بها مفكّكاً التماسك الذي تدّعي البروباغاندا امتلاكه.

فنون المستقبل

تظاهرة فنية باريسية تحتفي بالطباعة ذات الأبعاد الثلاثية

❏ تَرك نص"العمل الفني في عصر إعادة الإنتاج الميكانيكي- 1936" للناقد والكاتب الألماني والتر بينجامين أثراً كبيراً في الدراسات المهتمة بفهم آليات إنتاج العمل الفني في ظل التطور التقني والصناعي، إذ يتناول النص الكاميرا ودورها في تهديم فرادة العمل الفني الذي لم يعد حكراً إنتاجه على شخص أو مؤسسة، حالياً لم تعد إعادة الإنتاج هي المهيمنة، فنحن أمام ثورة تكنولوجية أساسها البلاستيك الذي يغزو الكوكب ويُصنع منه ما حولنا، ليتحول العمل الفنيّ لا إلى مجرد وسيلة للخلاص اليوتوبي بالصورة المفاهيميّة، بل وسيلة لنهضة بشريّة أساسها الطباعة ثلاثية الأبعاد والبلاستيك في سبيل كسر الاحتكار الإنساني ونماذجه، وتنتصر للبلاستيك البدائي الذي يختزن تاريخ البشريّة بوصفه يأتي من النفط القادم من أعماق الأرض ويسعى لاستبدالنا في بعض الأحيان، هذه المقاربة نقرأها ونراها في "مانيفستو العنصر الناشط الإضافي ثلاثي الأبعاد" الذي صممه كل من دانيال روورك وموريشين الأهياري عام 2015.

انطلاقاً من السابق يستضيف مركز جورج بامبيدو في العاصمة الفرنسيّة باريس تظاهرةً بعنوان "الطفرات/المخلوقات" التي يشارك فيه العشرات من الفنانين والنحاتين والمعماريين من مختلف أنحاء العالم لتقديم أعمالهم الفنيّة المنتجة بتقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد، في تحدّ لشكل الفن التقليدي القائم على الصنعة اليدوية ومهارة تكوين المادة، تحوي التظاهرة معرضين الأول بعنوان "طباعة العالم" والثاني بعنوان "الشكل الدوار".

في "طباعة العالم" تحضر أمامنا "الأعمال" بأشكال وأحجام مختلفة، وهي أعمالٌ أوّلا لأن هدف المعرض هو دفعنا للتساؤل حول ماهيتها، هل هي أعمال فنيّة أم أغراض يعاد إنتاجها أم تصميمات رقميّة أم مجرد احتمالات لما يمكن أن يكون عليه الفن مستقبلاً؟ وهذه التساؤلات مرتبطة بطبيعة التكنولوجيا الحديثة وعلاقتها مع الصنعة الفنيّة، ففي هذه الأعمال المهارة "اليدوية" و"الصنعة" لا تحضران، فما هو مهم طبيعة المواد الأولية المستخدمة والتصميم، في حين أن "البناء" يتم عبر الطابعة ثلاثية الأبعاد، ففرادة العمل الفنيّ وأصالته غير موجودتين بوصفه قابلاً للإنتاج في أيّ لحظة، كما أن التفوق للآلة بوصفها قادرة على خلق التفاصيل والتكوينات التي تعجز عنها "البراعة" البشريّة، لتحضر في المعرض آلات الطباعة والتقنيات الصوتية والشاشات والإسقاط الضوئي بوصفها الوسائط الجديدة والأدوات التقنيّة التي تعيد تشكيل الفضاء سواء الواقعي أو الافتراضي عوضاً عمّا هو تقليدي من ريشة وألوان وغيرها.

المواد الأوليّة المستخدمة في الأعمال سواء البلاستيك أو المعادن أو البوليمارات تشكل مقاربة نقديّة لمفهوم التفوق البشري والجوهر البشريّ الذي لا يمكن محاكاته، فهذه المواد المصنعة بشرياً أصبحت قادرة على محاكاة أدق التعقيدات المرتبطة بالكائن البشريّ، فمفهوم تفوق "الشكل الإنساني" أصبح خاضعاً للتساؤل حينما نرى وجوهاً بشرية مطبوعة بتقنية ثلاثية الأبعاد، لتبدو وكأنها فعلاً حقيقية كما في أعمال الفنانة ديوي هاغبورغ، وكأننا أمام سؤال شعريّ "هل من الممكن أن أستبدل وجهي؟"، فهذه التقنية تعيد تكوين الأثر البشريّ بكل تفاصيله سواء على صعيد المنتج البشري أو على صعيد استبدال أطرافه وجسده.

لا تكتفي الصناعة ثلاثية الأبعاد بإنتاج الجسد البشري والمنتجات اليوميّة بل تمتد نحو مساحات الغياب، المرتبطة بالأعمال المتخيّلة أو التي اختفت، كأن تستعيد الأثر الحضاري والمعرفي، إذ قامت الفنانّة الأميركيّة الإيرانية موريشين الأهياري بإعادة طباعة عدد من التماثيل والآثار السورية التي تمّ تدميرها من قبل داعش، وكأن التاريخ في المستقبل والحفاظ على الذاكرة البشرية سيتحوّل إلى شكل لا مادي، تكفي صورة واحدة أو مجموعة من الكودات والبيكسلات من أجل إعادة إنتاج مدن بأكملها، مدن بلاستيكية تستخرج من أعماق التاريخ البَشري نحو السطح وكأنها بنيت الآن، كحالة البلاستيك نفسه حبيس باطن الأرض.

*ع.م

الإقبال على القراءة بالفرنسية

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ هالني حجم الإقبال على الكتب الفرنسية في معرض تونس الدولي الأخير للكتاب، لا سيما من الأطفال واليافعين، ويبدو أن دور النشر الفرنسية أو تلك التي تنشر بالفرنسية إلى جانب العربية، تُدرك مثل هذه الظاهرة منذ الدورات السابقة فصارت تتسابق على حجز مساحات كبيرة لها في المعرض بغية عرض أكبر كمية ممكنة من عناوين الكتب الموجهة للأطفال واليافعين من الفئات العمرية المختلفة، وحيثما تجد أجنحة تلك الدور تجد التزاحم والتدافع واللهفة لاقتناء ما يمكن من تلك الكتب، ولم يقتصر الأمر على الأطفال أنفسهم أو ذويهم وحسب، بل تعداه إلى المدارس الحكومية والخاصة التي نظمت ما يشبه الزيارات العلمية للمعرض لتوجّه التلاميذ إلى أجنحة تلك الدور بالدرجة الأولى.

وبالمقارنة بين كتب الأطفال باللغة الفرنسية والمطبوعة في الغالب في فرنسا وكتب الأطفال باللغة العربية التي تنشرها دور النشر العربية نجد الفارق الهائل في المستوى الفني والطباعي واضحاً بطريقة لا تمكن معها المقارنة بأيّ حال من الأحوال.

وإذا كنا نتفق من حيث المبدأ على ضعف مضامين وإخراج وتصميم كتب الأطفال العربية في السنوات الأخيرة وعجزها عن مواكبة مثيلاتها باللغات الأخرى، لا سيما بعد أن تخلّت الحكومات العربية وبرامج التنمية والتعليم التابعة للجامعة العربية عن دعم دور النشر والمشتغلين في هذا المجال، فإن ظاهرة الإقبال منقطع النظير تلك تعد مؤشراً لافتاً إلى ضعف انتشار القراءة بالعربية في أوساط الأجيال الجديدة في تونس، إذ رافق ذلك الإقبال الكثيف على الكتب الفرنسية قلة إقبال على الكتب العربية إجمالا وكتب الأطفال على وجه التحديد، الأمر الذي ينذر بعواقب وخيمة على مستوى انتشار العربية وتقاليد القراءة بالعربية بعد سنوات قليلة، عندما يكبر هؤلاء الناشئة ويعتادوا القراءة أحادية الجانب، ناهيك عن انعكاسات القراءة بالفرنسية على العمق الثقافي العربي والاستسلام التام للثقافة الفرانكفونية.

وإذا كان البعض يجادل بأن مثل تلك الظاهرة هي دليل صحة وعافية بالنسبة إلى النشء الجديد، لجهة تجاوزهم هزال الموضوعة العربية ولوثة التدين والتطرف الديني المنتشرة كالسموم في كتب الأطفال العربية، وتعودهم على ثقافة رفيعة ومحايدة وخالصة من أدران التلوث الفكري التخريبي للتوجهات الدينية، فإن الأمر بالنسبة إليّ سلاح ذو حدين إن لم يتم توجيهه بالطريقة الصحيحة والدقيقة وتحت إشراف المربين والمختصين سيؤدي إن عاجلاً أو آجلاً إلى كوارث فكرية ونفسية عميقة لدى الأجيال الجديدة.

لقد حضرت الكثير من معارض الكتاب العربية، بما في ذلك في المغرب، ولم ألحظ مثل هذه الظاهرة اللافتة، بل على العكس من ذلك شاهدت إقبالا كبيراً من القرّاء الشباب والتلاميذ على الكتب العربية الموجهة للأطفال واليافعين ذات المضامين الجيدة والصادرة عن دور نشر عربية مرموقة لها سمعتها في هذا المجال.

ولم يقتصر العزوف عن الكتب العربية في معرض تونس على الصغار فقط بل تجاوزه إلى كتب الكبار أيضا، حتّى أن دور النشر العربية قد قرأت مثل هذه الظاهرة على ما يبدو في دورات المعرض السابقة، فلم تتحمس كثيراً للمشاركة الواسعة فيه واقتصرت مشاركتها على اعتماد وكلاء محليين من أصحاب المكتبات ودور النشر التونسيين، الأمر الذي انعكس بدوره على الفعاليات المصاحبة للمعرض وضعف المشاركة العربية الملحوظ فيها، ولا أدري إن كان الأمر مرتبطاً بالقدر الشرائية للقارئ التونسي وضعف الإمكانيات المالية للجهة المنظمة، أم بالعزوف عن اقتناء الكتاب العربي تحديداً وضعف الاهتمام به والإقبال عليه، لكن في جميع الأحوال أعدُّ تلك الظواهر مؤشرات مهمة يجب تأملها ومناقشتها بطريقة واعية، ليس من المثقفين وحسب بل من الجهات المنظمة للمعرض أيضاً.

مأزق أوروبا العجوز والخلاص بالانتحار

مايكل هانيكه يعود إلى الأسرة في «نهاية سعيدة»

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

العائلة مجتمعة في الحفل قبل النهاية بمفاجأة

❏ عاد المخرج النمساوي الكبير مايكل هانيكه مجددا إلى مهرجان كان السينمائي بفيلمه الجديد "نهاية سعيدة" الذي تدور أحداثه في مدينة كاليه الفرنسية الشمالية الواقعة على بحر المانش والمعروفة بوجود معسكر إيواء اللاجئين الذين يريدون الانتقال منها إلى بريطانيا، لكن موضوع الفيلم ليس موضوع الهجرة، بل امتداد للهاجس الشخصي المسيطر على أفلام هانيكه المهموم بمشكلة الانهيار الاجتماعي من خلال ما يحدث داخل العائلة.

الفيلم الجديد يدور داخل عائلة من الطبقة البورجوازية الكبيرة الفرنسية، بشخصيّاتها التي تنتمي إلى ثلاثة أجيال: الجد والأبناء والأحفاد، كيف تنعكس عليها أزمات الواقع، كيف أصبحت تفتقر على نحو مروّع، للحب، للتفاهم، وللفهم المشترك، وكيف أصبحت عاجزة عن إدارة أزماتها الداخلية بعد أن أصبحت خاوية الروح، مهزومة، تبحث عن الخلاص ولو بالانتحار.

"نهاية سعيدة" يمكن اعتباره فنيا مزيجا من الدراما الرمزية والكوميديا السوداء. وفيه يعبر هانيكه -الذي يعمل في إطار السينما الفرنسية- عن فكرة غياب الحبّ والانشغال بالبحث عن الثروة عن طريق تنمية الملكية أو إنقاذها من الضياع، والعجز في الوقت نفسه عن تحقيق السعادة من خلال الثروة. إنه يرى أن عجز العائلة الكبيرة رمز لأوروبا التي فقدت قدرتها على الفعل على تجاوز الأزمات والاكتفاء بتصديرها.

لدينا أولا "جورج لورون" (يقوم بدوره جان لوي ترنتنيان) وهو الأب-الجد وعميد الأسرة ومؤسس شركة الإنشاءات العقارية، لكنه أصبح الآن يستخدم مقعدا من مقاعد المعاقين بعد أن تقدّم به العمر وأصبح يعاني من الوهن الشديد، بل إنه لم يعد يرغب في مواصلة الحياة التي لا يرى فيها بصيص أمل.

العائلة رمز للمجتمع

جورج لم يعد يقدر على التلاؤم مع أفراد عائلته المتصارعين اللاهين عمّا يحدث من حولهم، فهم يستغرقون في صراعاتهم وانشغالاتهم بالأمور الصغيرة، وهو يصارع الحلاق الإيطالي الخاص الذي يحضر إلى منزل العائلة الفخم بأنه قد سئم الحياة، ويطلب منه أن ينهي حياته مقابل مكافأة مالية سخية يعده بها، (طبقا لمفهومه البورجوازي)، ورغم تلويحه مرارا بالإغراء المالي، يرفض الحلاق بإصرار لداوفع أخلاقية.. ثم نرى جورج وهو يتحادث عن بعد مع مجموعة من اللاجئين الأفارقة في شوارع كاليه (لا نسمع الحوار أبدا) لكننا نفهم فيما بعد أنه عرض عليهم ساعة يده القيمة مقابل مساعدته على إنهاء حياته فهو حسب مفهومه السلعي في المبادلة التجارية لكنهم يتركونه ويبتعدون في ازدراء، ثم تأتيه الفرصة أخيرا ولكن هذه المرة من شخص غير متوقع، من حفيدته الصغيرة "إيف" (وهي في الثانية عشرة من عمرها).. فهل تقدم إيف على ارتكاب المحظور؟

الابنة "آن" (التي تقوم بدورها إيزابيل أوبير) التي تولّت مقاليد الأمور في الشركة، تحاول أن تنقذها من السقوط في ظلّ الأزمة الاقتصادية القائمة، تتأهّب لإعلان خطوبتها من مدير البنك الثري الإنكليزي (لورنس) الذي يساعدها في إنقاذ الوضع المالي للشركة، وتضغط على ابنها الشاب "بيير" حتى يرتفع إلى مستوى المسؤولية، تريده أن يتولى تسيير الأمور في الشركة، بينما يبدو بيير نفسه، كونه الأكثر حساسية، عاجزا عن التكيف مع محيطه، رافضا أجواء النفاق والتظاهر الكاذب، وهو رغم اضطرابه النفسي بسبب توتر علاقته مع أمّه، وغياب الحب فيما بينهما، الأكثر إدراكا للوضع المقلوب للعائلة والأكثر قدرة أيضا على التعبير عن الرفض والغضب والازدراء، وعندما يثور خلال حفل خطوبة أمّه يقوم بإحضار مجموعة من اللاجئين الأفارقة البؤساء إلى الحفل بغرض مواجهة العائلة أمام نفسها، وصدمة الجميع بذلك التناقض بين حياة العيش الرغد والثراء، وبين هؤلاء الباحثين عن فرصة للنجاة. إنه يريد أن يجعل العائلة تشعر بالذنب، ويسخر علانية أمام الجميع من تعاملهم العنصري الفظ مع الخادم المغربي الأمين "رشيد"، وزوجته "جميلة" رغم التظاهر باحترامهما وتقديريهما.

هواجس جنسية

هناك أيضا "توماس" ابن جورج أي شقيق آن ووالد إيف الذي جاء بابنته الصغيرة إلى كاليه للإقامة في منزل العائلة بعد أن انتحرت أمّها بتناول جرعة كبيرة من الحبوب المنومة (في أحد المشاهد التي ترتد في ذاكرة إيف نشاهدها أثناء زيارة أمّها في المستشفى). لكن توماس الذي يقيم في منزل العائلة مع زوجته الثانية "أنياس" التي أنجبت له طفلا رضيعا هو "بول"، لا يحب أنياس بل يرتبط بعلاقة سرية خاصة عبر الفيسبوك مع امرأة يتبادل معها كل ليلة "التشات" ويطلب منها التعرّي ويتحدث الاثنان عن هواجسهما الجنسية الصريحة. أما إيف التي تشعر بانعدام الأمان فهي ترى أن والدها يمكن أن ينفصل أيضا عن "أنياس" وتخشى بالتالي أن يضعها في منزل لرعاية الأطفال وهي تتسلل إلى جهاز الكومبيوتر الخاص به تخترق حسابه وتطلع على أسراره، ثم تعترف له بأنها اطلعت على مخاطباته وأحاديثه مع عشيقته عبر موقع التواصل الاجتماعي.

مواقع التواصل واليوتيوب وعالم التليفون المحمول كلّها مجسّدة في الفيلم من خلال نظرة هانيكه الساخرة، فهو يريد أن يصوّر كيف أن الإنسان الأوروبي الذي يتصوّر أن هذه الوسائل الحديثة جعلته أكثر حرية عن ذي قبل، قد أصبح في الحقيقة أسيرا لها يعيش من خلال "وهم الصورة"، رغم واقعيتها. إنه بالتأكيد يدين هذا الإفراط وهذا الإدمان السيبرنطيقي.

يبدأ هانيكه فيلمه بلقطات مأخوذة من على شاشة أحد تلك التليفونات الحديثة "الذكية"، لموقع إنستغرام، حيث نرى شخصا ما (غير واضح) يتلصّص على امرأة تتبوّل ثم تغسل أسنانها في الحمام ويكتب (عبر التشات) لصديق على الطرف الآخر، يصف له الطقوس التي تقوم بها المرأة (التي غالبا هي أمّه) ما قبل النوم، ثم نشاهد لقطة لفأر منزلي صغير يطعمه صاحبه عقاقير مخدرة ليختبر تأثيرها عليه. والمشهد طويل وصامت، ويستغرق عدة دقائق، يريد أن يوصل لنا رسالة حول الميديا الجديدة.

بعد هذا المشهد مباشرة ننتقل في لقطة عامة إلى موقع إنشاءات ثم انهيار جدار فوق رأس أحد العمال (سنعرف فيما بعد أن هذا الموقع تابع لشركة العائلة، عندما تطلب آن من ابنها بيير أن يذهب ليدفع تعويضا ماليا لأسرة الرجل ضحية الحادث، لكن ابنه يعتدي عليه بالضرب المبرح.

طريقة السرد

أسلوب هانيكه في السرد هنا يراهن كثيرا على ذكاء المتفرج. إنه ينثر لقطات متفرقة هنا وهناك.. يعرض جانبا من هذه الشخصية أو تلك، ويتركها مبتورة، فلا يمكننا بسهولة أن نتعرف منذ البداية على العلاقات الملتبسة بين شخصيات الفيلم، وفي النصف الثاني من الفيلم يساعد هانيكه المتفرج قليلا في تجميع هذه النثرات والمشاهد واللقطات المتفرقة، بعد أن يكون المتفرج قد أصبح أكثر وعيا بالصورة العامة للموضوع، فالتفكك الظاهر أو التشظي، هو جزء من عالم العائلة نفسها، ولجوء هانيكه للّقطات الطويلة العامة البعيدة، والكاميرا الثابتة في معظم المشاهد مع ندرة استخدام الموسيقى يمنح الفيلم حساسية ومذاقا خاصا يعتمد على الحدس وعلى الاستنتاج أكثر من ما يعتمد على الشروح والتفسيرات. بل تظل هناك حتى النهاية الكثير من النقاط الغامضة.

إن أسلوب هانيكه أسلوب بارد قاس صارم في بناء المشاهد وتصميم اللقطات، وهو لا يترك أي تفصيلة دون العناية بها داخل المشهد. هناك مشهد واحد طويل تتحرّك فيه الكاميرا عندما يخرج جورج بمقعده المتحرك من منزله تدفعه الحفيدة إلى أسفل، ثم يذرع وحده بمقعده الشارع في وسط المدينة، ويظلّ يسير ويسير إلى الأمام والكاميرا تراقبه من الجانب الأخر، من على الرصيف المقابل، إلى أن يتوقف أمام مجموعة من اللاجئين الأفارقة يساومهم بشكل غامض كما سبقت الإشارة.

في اللقاء الوحيد المباشر بين الجدّ (جورج) والحفيدة (إيف) تعترف إيف لجدها بأنها أرادت ذات مرة أن تقتل زميلة لها في المدرسة لأنها كانت تكرهها.، ثم يعترف لها جورج بأنه قتل زوجته قبل سنوات لإشفاقه عليها من المرض اللعين، في إشارة واضحة إلى الفيلم السابق لهانيكه "حب" (2012) خاصة وأن الممثل واحد وهو جان لوي ترنتنيان، والاسم واحد وهو "جورج"، وأن الابنة تقوم بدورها نفس الممثلة التي كانت في "حب" وهي إيزابيل أوبير، ولكن بعد أن أصبح اسمها هنا هو اسم الأم في "حب" وهو "آن"، بينما أصبح اسم الحفيدة هو "إيف" بعد أن كان هو اسم الابنة (أوبير) في الفيلم السابق. ولكن المشكلة أننا في نهاية فيلم "حب" شاهدنا جورج يغلق نوافذ شقته الباريسية (لم يكن هناك منزل في كاليه) ويلصق شرائط حول حواف النوافذ ثم يفتح أنبوب الغاز. فهل نجا جورج من الموت وأصبح الآن يرغب في أن يلحق بزوجته؟

سنعثر هنا أيضا على "تيمات" هانيكه المفضلة: التشاؤم من المستقبل، فكرة الجهل التام بما يحدث في الخارج، متاهة اللاجئين، العالم الخارجي وكيف يعاد تشكيله (هناك بعض اللقطات لأخبار التلفزيون بينما أفراد العائلة لاهون عنها تماما)، الأطفال ضحايا للكبار لكنهم يختزنون طاقة من الشر في داخلهم (راجع أيضا فيلم "الشريط الأبيض)، الصراع بين الأجيال لن ينتج سوى التفسخ العائلي والتفتت الاجتماعي، والتكنولوجيا الجديدة تزيد من عزلة الفرد والجريمة كامنة وقد تأتي لتفاجئنا في النهاية، وهي قد تكون حلاّ أو خلاصا، وقد تكون وبالا.

جورج يريد أن تساعده "إيف" في الوصول إلى نهايته، وهي تنظر إلى الأمر على أنه لعبة شريرة، تستمتع بها، فتندفع لنصل إلى مشهد سيريالي أقرب إلى الكوميديا الهزلية في النهاية. لكن هنا تحديدا يكون "لغز" هانيكه قد بلغ ذروته. ما هذه النهاية التي لا تأتي لا بالحل ولا بالخلاص، صحيح أن السعادة فكرة نسبية، إلا أن ما نشاهده في الفيلم لا علاقة له بالسعادة، فالعنوان يظل تعليقا ساخرا، تماما كما يظل مصير جميع أفراد العائلة معلقا، ربما في انتظار الفيلم التالي لهانيكه.

من دون الممثل الكبير جان لوي ترنتنيان لم يكن الفيلم يتمتع بما يتمتع به من تأثير رغم اضطراب البناء بعض الشيء، وإهمال متابعة بعض الشخصيات كما كان ينبغي، وصعوبة مسار السرد في النصف الأول من الفيلم، إنه أقل بالتأكيد من أفلام هانيكه السابقة لكنه مازال يعكس مزاجه وهواجسه وأسلوبه. إن ترنتنيان في دور جورج، يثبت مرة أخرى أنه أحد الممثلين العظام في عصرنا بل وفي كل العصور، بقدرته الهائلة على التماهي مع الشخصية والإضافة إليها من خبرته الإنسانية بعد أن أصبح كهلا متمرّسا في التمثيل لم يفقد أبدا شهيته للإبداع.

> أسلوب هانيكه أسلوب بارد قاس صارم في بناء المشاهد وتصميم اللقطات، وهو لا يترك أي تفصيلة دون العناية بها داخل المشهد

وكعادتها تبرع إيزابيل أوبير في دور "آن"، في دور اعتادت عليه كثيرا، دور المرأة العملية الباردة الصارمة التي تخفي مشاعرها أو تعجز عن التعبير عنها، تريد أن تحتد وتصفع بل وتستخدم أيضا العنف، لكنها مقيدة بقيود التظاهر التي تتميز بها الطبقة التي تنتمي إليها، ورغم ذلك فهي تخرج عن وقارها في الحفل وتعتدي على ابنها لتسكته.

ولا شك أن الاكتشاف الحقيقي للفيلم هو الممثلة الطفلة فانتين هارديم في دور "إيف" (سبق قيامها بأدوار عدة في أعمال تلفزيونية)، فهي تجيد التعبير عن الشخصية المسندة إليها، وتصمد بشكل مدهش أمام ترنتنيان العجوز، بل وتبدو الكيمياء بينهما أفضل ما يكون.

جورج في انتظار نهاية لا تأتي

الابنة «آن» مشغولة بالمحافظة على إرث العائلة

جزر ثلاث.. الواحدة تنسيك الأخرى

مالطا وجهة مثالية للاستمتاع بالبحر

في موسم الصيف تزدحم الشواطئ بالمصطافين لتتعكر صفوة الاستجمام والراحة، لذلك يختار الباحثون عن الهدوء الجزر والشواطئ القصية بحثا عن الاسترخاء والمتعة، ومالطا بجزرها الثلاث تحقق رغبة الباحثين.

رؤية بانورامية لتاريخ الجزيرة

❑ **فاليتا** – مع حلول فصل الصيف يبحث المسافرون عن وجهة شاطئية مثالية للاستمتاع بالبحر، ومالطا هي أحد تلك الوجهات الجميلة التي تمنح زائريها فرصا عدة في الشواطئ الجميلة والمدن الرائعة والرحلات اليومية.

وتتكون مالطا من ثلاث جزر، الكبيرة تدعى مالطا وجزيرة غوزو، وأصغر جزرها تسمّى كومينو التي يسكنها ثلاثة أشخاص فقط من عائلة واحدة، وبها من السلام والهدوء ما يجذب المخرجين والسياح أيضا.

وتقع مالطا في البحر المتوسط على طول الجزء الجنوبي من جزيرة صقلية الإيطالية، وتفتخر هذه الجزيرة بأنماطها المعمارية المختلفة والمزيج من الثقافات والتقاليد المتنوعة علاوة على معابد ما قبل التاريخ والخلجان السرية والأنشطة المائية المثيرة مع العديد من المعالم السياحية التي تستحق الاستكشاف. وما يغذي متعة السائح في مالطا تاريخ هذه الجزر التليد المغرق في القدم والغموض والألغاز.

ويصف خبراء السياحة مالطا بأنها تنسجم مع مزاج الزوار القادمين من أعالي البحار لزيارتها، وأكثر ما يمتع السائح دفء المناخ، فالشمس هناك تطل على السائح على مدار العام، ولذلك فإن المتع التي يكتشفها السائح في الجزر المالطية كثيرة وهي أفضل مثال لموسم سياحي متميز.

> «النافذة الزرقاء» تنهار وتحرم محبي رحلات القوارب والغواصين في خليج دويرجا على الساحل الغربي لمدينة غوزو

وتشتهر مالطا بتاريخ غنيّ ينعكس على معالمها الثقافية التي تعد بلا شك ضمن الأفضل في أوروبا، إذ تحتضن البلاد مجموعة من أقدم المباني في العالم التي تجذب الملايين من الزوار كل عام، ولا يفوّت الزائر إلى هذا البلد زيارة العاصمة فاليتا، والتي وإن كانت صغيرة نسبيا بالنسبة إلى العواصم العالمية الأخرى، فهي مصممة بشكل رائع ما يسهّل على السائح اكتشافها.

وتضم فاليتا الصاخبة النابضة بالحياة العديد من الأبنية ذات الطراز القديم ، كما أنها تزخر بالكاتدرائيات والقصور والحصون.

وتقع المدينة على شبه جزيرة جبلية بين اثنين من أفضل الموانئ الطبيعية في البحر المتوسط، ومن باب المدينة يمكن التوجه مباشرة إلى شارع الجمهورية الذي يؤدي إلى فورت سانت إلمو على شكل نجمة، كما يختار معظم السياح التوجه مباشرة إلى حدائق باراكا العليا، والتي تطل على مناظر رائعة على الميناء الكبير "غراند هاربور" الرائع الذي يبهر الزائرين منذ لحظة وصولهم الأولى.

وتعتبر أطلال المعبد الأرضي من أكثر المواقع الأثرية جذبا للزوار في جزيرة مالطا، وقد أدرج في قائمة التراث العالمي التابعة لمنظمة اليونسكو، وهو عبارة عن مقبرة كبيرة تمتد على مساحة 5400 قدم مربعة تحت سطح الأرض، وهذا هو المعبد الوحيد في العالم الموجود تحت الأرض ويعود إلى حقبة ما قبل التاريخ.

ويتميز مشهد البحر المتوسط في هذه الجزيرة بروعة تفوق الخيال، لا سيما عند الحديث عن جمال البحر الأزرق في كل نقطة بالجزء الشمالي من البلاد، فالشواطئ مذهلة وجميع أنواع الأنشطة المائية موضع ترحيب للجميع، كما أن خلجان ميليها وغاجن وغولدن باي ليست إلا بعض من المنتجعات الشاطئية الأكثر شعبية في مالطا.

ولا يقتصر الأمر على هذا الحدّ فحسب في هذه الوجهة الجميلة، بل يمتد إلى السباحة والاسترخاء على الشاطئ، فضلا عن الغوص والاستمتاع بالطقس الرائع على مدار العام، حيث يمكن للزوار الاختيار من بين مجموعة متنوعة من الأنشطة بما في ذلك الطيران الشراعي وركوب الأمواج والتزلج على الماء، ويمكن استئجار المعدات من معظم الشواطئ الرئيسية.

ولعل استكشاف الساحل وشواطئه الرملية والمنحدرات المثيرة للإعجاب في شمال الجزيرة على ظهر الخيل في وقت غروب الشمس مع خلفية من المناظر الطبيعية سيضيف إلى العطلة في مالطا متعة جديدة خلال الصيف.

وخسرت جزيرة مالطا الهيكل المعروف باسم "النافذة الزرقاء" الذي انهار مؤخرا لكونه واحدة من أشهر المعالم السياحية في مالطا، وهو عبارة عن قوس ضخم من الحجر الجيري بالقرب من خليج دويرجا على الساحل الغربي لمدينة غوزو، وهي بقعة شعبية بالنسبة إلى محبي رحلات القوارب والغواصين.

وحذر علماء الجيولوجيا منذ فترة طويلة من أن التشكيل الصخري الذي يقع على الساحل الشمالي الغربي لجزيرة جوزو يتآكل بسرعة، فيما منعت السلطات الزوار من السير فوقه.

مدينة مدينا هي العاصمة القديمة لمالطا، وتقع على قمة تلّ في وسط الجزيرة وتحيط بها العديد من التحصينات المثيرة للإعجاب. وتعد زيارتها فرصة مذهلة لمحبي التاريخ، إذ يشبه السير بين شوارعها رحلة إلى عالم القرون الوسطى، حيث الهندسة المعمارية المذهلة والكنائس القديمة ومجموعة من أفضل المطاعم في مالطا.

وتحلو زيارة هذه المدينة في الليل عندما تصبح أكثر هدوءا بعد رحيل الحشود السياحية، وتضاء المصابيح بين الممرات الضيقة القديمة التي تشكّل الشوارع الجانبية الجميلة، ولعل هذا هو الوقت الأمثل لاكتشاف هذه المتاهة من الأزقة وسط جو تاريخي لا يقارن.

وتمزج سانت جوليان بين نجاح سحرها كقرية للصيد وكونها مركزا سياحيا تستقبل الآلاف من الزوار يوميا خصوصا في الصيف، وتعد كنيسة الأبرشية القديمة من المواقع التاريخية الشعبية فيها. كما يمضي الغواصون أيضا رحلة مليئة بالتشويق في استكشاف حطام السفن في مركز "دايف وايز".

وتعتبر منطقة "باسيفي" محور الحياة الليلية لسانت جوليان حيث تضم مجموعة من المطاعم والحانات والنوادي لقضاء أفضل الأوقات .

وعلى الرغم من الحجم الصغير لجزيرة مالطا فإن التجول بين جميع معالمها الجذابة يحتاج لأكثر من يوم واحد، لذا يحتاج الزائر إلى اختيار مكان الإقامة المناسب هناك، حيث سيجد تنوعا في الفنادق من الفاخرة إلى المتوسطة والمناسبة للجميع.

ولعل الشيء المثير للاهتمام في مالطا هو أن السائح يمكنه التواصل بجميع اللغات؛ الفرنسية والفنلندية والسويدية والإسبانية والروسية وحتى البلغارية، حيث استقطبت الجزيرة الكثير من المغتربين من جميع أنحاء أوروبا جنبا إلى جنب مع آسيا والأميركيتين، لذلك فهي بوتقة ثقافية مثيرة للاهتمام.

ومثل لغتها اللاتينية المتأثرة بالإيطالية والفرنسية والإسبانية والعربية بشكل كبير، يتشكل الغذاء المالطي من مطبخ البحر المتوسط والمطبخ العربي، وتوجد مجموعة من المطاعم والمقاهي والحانات التي تقدم مختلف أنواع المأكولات المحلية التي تأثرت بتاريخ الحضارات التي مرت عليها.

ريميني أو روما الصغيرة تعود إلى منصة السياحة العالمية

❑ **ريميني (إيطاليا)** – تشتهر ريميني الإيطالية بشواطئها الرملية الناعمة على البحر الأدرياتيكي بطول 15 كيلومترا، وقد بدأ الإقبال السياحي يعود من جديد إلى أقدم منتجع سياحي في أوروبا، وبدأت هذه المدينة تعيد اكتشاف نفسها على خريطة السياحة العالمية.

ويعمل فرانكو روسو مع شقيقيه في مطعم "لا بوتيه" في شارع أميرجو فيسبوتشي الفاخر، وأوضح روسو قائلا "منذ عدة سنوات بدأ النشاط السياحي يزدهر مرة أخرى، وعاد السياح إلى المدينة مثل الفترات السابقة"، ولكن الوضع قد تغير كثيرا؛ حيث تنتشر في الشاطئ الرئيسي مارينا سنترو العديد من الفنادق فئة أربع نجوم والحانات الأنيقة والنوادي الليلية والمحلات الراقية، ولا توجد أماكن الإقامة البسيطة إلا في الشوارع الجانبية.

ويعمل أندريا جناسي، عمدة مدينة ريميني، الذي لا يهدأ، على نشر روح التفاؤل في المدينة، وقد تمّ خلال يونيو 2016 إعادة تعيين عمدة المدينة، الذي يبلغ من العمر 46 عاما، في منصبه بعد خمس سنوات، وهو أمر نادر الحدوث في إيطاليا، ومن مقر إقامته الرسمية في قصر بلاسيو جارامبي ينطلق على دراجته ليجوب جميع أرجاء المدينة، ودائما ما يرفع شعار "التوقف عن إنشاء المباني الخرسانية وتشجيع المزيد من الثقافة".

ومن شرفة مكتبه يشير عمدة المدينة جناسي إلى مسرح جالي، الذي يقع على الطرف الآخر من الميدان، وقد تمّ افتتاح هذا المسرح في عام 1857 على يد الفنان العالمي جوزيبي فيردي نفسه، ولم يتم استخدامه منذ 70 عاما؛ نظرا لتعرضه للقصف خلال الحرب، ومن المقرر أن تتم إعادة بنائه بالكامل خلال العام 2018، ومن المقرر أن يبدو من الداخل مثل مسرح "لا سكالا" في ميلانو.

وتشتهر مدينة ريميني باسم "روما الصغيرة" نظرا لما تزخر به من الآثار القديمة، وللحفاظ على الكنوز التاريخية بالمدينة القديمة يرغب عمدة المدينة في حظر سير السيارات بها أو العبور على جسر تيبريوس الروماني القديم، الذي تم إنشاؤه منذ أكثر من 2000 عام.

وبالطبع يحظى فيديريكو فيليني مخرج فيلم "الحياة حلوة" بشهرة كبيرة؛ حيث أنه ولد بمدينة ريميني عام 1920، وبالتالي فإنه يعمل على زيادة السياحة الثقافية إلى المدينة، وينصبّ اهتمام المخرج العالمي على مجمّع المتاحف بالمدينة، وعلى مقربة من زاوية ميدان كافور يتم تجديد سينما فولجور، والتي كانت سببا في تعرف فيليني على السينما والتعلق بها، وبداخلها يتم عرض الرسومات والصور والملصقات الخاصة بمشاريع الأفلام، التي تم تنفيذها، والتي لم يتم تنفيذها.

معالم تاريخية تحاكي روما

وإذا رغب السياح في السير على خطى فيليني في المدينة، فمن الأفضل التوجه إلى فندق جراند أوتيل الذي يمتاز بواجهته البيضاء، والذي يعتبر الوجهة الأكثر سحرا على البحر الأدرياتيكي. وأوضح مدير الفندق فابيو أنجيليني أنه دائما ما يُقال إن فيليني هو سبب شهرة هذا الفندق، ولكنني أعتقد أن العكس هو الصحيح؛ حيث شاهد فيليني في عمر الثماني سنوات الاحتفالات المتألقة من بين سياج الفندق.

وعلى طاولة من الرخام تظهر رسالة بالفاكس من "كتاب الأحلام" الخاص بفيليني، وهو عبارة عن كراسة رسومات بها الكثير من الرسومات المثيرة في كثير من الأحيان، وتوجد النسخة الأصلية في متحف البلدية، ولم يتمكن فيليني من المبيت في الفندق، إلا بعدما أصبح مخرجا شهيرا، وكان دائما ما يستأجر الجناح الفندقي 315 المزود بأثاث فرنسي والستائر المزركشة.

ويبدو أن عمدة المدينة قد تمكّن من جعل أسطورة ريميني وأفكار فيلم "الحياة حلوة" مثيرة لاهتمام الجيل الأصغر سنا، من خلال مهرجان طعام الشارع والأنشطة والفعاليات الرياضية ومهرجان الليلة الوردية "لا نوتا روزا"، والذي يقام يوم 7 يوليو من كل عام.

أخبار سياحية

فنادق جنة في أبوظبي توظف القطط

❑ ضمت مجموعة فنادق ومنتجعات جنة ثمانية قطط أنيقة إلى مكتبها الرئيسي بمدينة خليفة في أبوظبي، لتهيئ جوا وديا يسهم في زيادة إنتاجية العاملين.

وصرح نعمة عماد درويش، الرئيس التنفيذي لمجموعة فنادق ومنتجعات جنة، "تعكس الدراسات العلمية الحديثة إيجابية تربية الحيوانات الأليفة في المكاتب حيث تؤثر بشكل إيجابي في الجو العام و تقلل من التوتر بشكل ملحوظ خاصة عند العمل لساعات طويلة".

قرية بيرجون تمنع التقاط الصور

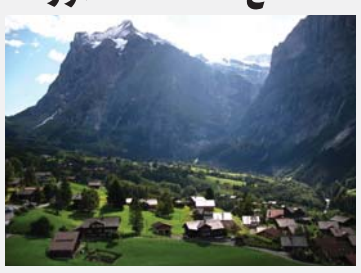

❑ تقع بيرجون بين سانت موريتس ودافوس الشهيرتين في سويسرا، باحتوائها على منحدرات للتزلج تمتد لأكثر من 25 كيلو مترا بالإضافة إلى المناظر الطبيعية الساحرة وأشجار الصنوبر الكثيفة.

وبسبب جمالية هذه المناظر الطبيعية اللافتة للنظر، يسعى السياح إلى التقاط الصور في ربوعها ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي. إلا أن القوانين في هذه القرية تمنع التقاط الصور ونشرها على الشبكة العنكبوتية لسبب يمكن أن يعتبره الكثيرون غريباً وخارجاً عن المألوف.

إزمير تستعد لاستقبال مليون سائح

❑ تستعد فنادق ومنتجعات منطقة جشمة بولاية إزمير غربي تركيا، لاستقبال قرابة مليون سائح في عطلة عيد الفطر السعيد الذي يصادف أواخر شهر حزيران الحالي.

وبلغت نسبة امتلاء الفنادق في المنطقة المذكورة، مئة بالمئة، لقيام السياح بحجز أماكنهم قبل حلول موعد عطلة العيد. وزادت نسبة الحجوزات المبكرة هذا العام بـ15 بالمئة، مقارنة مع العام الماضي.

الرياض تحتضن 12 مهرجانا سياحيا

❑ تقام في الرياض خلال موسم الصيف والإجازة المدرسية ورمضان والأعياد هذا العام 12 مهرجاناً وفعالية سياحية في مختلف مدن ومحافظات المنطقة، وتتضمن فعاليات متنوعة من برامج ترفيهية وتراثية وسياحية وثقافية واجتماعية ورياضية، إضافة إلى ترويج المنتجات الشعبية والزراعية، والحرف اليدوية، وتتوجه لجميع فئات المجتمع لتناسب كافة الشرائح وبخاصة الشباب والعائلات.

أبل تحكم سيطرتها على سوق التكنولوجيا

العملاق الأميركي يكشف مخططاته للمستقبل خلال أكبر نسخة لمؤتمر المطورين

كشفت شركة أبل خلال مؤتمرها السنوي للمطوّرين الذي اختتمت فعالياته الجمعة الماضي، عن مخططاتها المستقبلية وأجهزتها الجديدة وبرمجياتها ومزاياها الحديثة. وهو ما شكل خطوة إضافية نحو مزيد إحكام سيطرتها على سوق التكنولوجيا، لا سيما وأن تقريرا لشركة التحليلات الاستراتيجية أكد مؤخرا استحواذ شركة أبل على 83.4 بالمئة من الأرباح التشغيلية المجمعة لسوق الهواتف الذكية العالمية في الربع الأول من عام 2017.

نظرة ثاقبة على تكنولوجيا جديدة

❑ **سان خوسيه (أميركا)** – أعلنت شركة أبل خلال مؤتمرها السنوي للمطورين "دبليو دبليو دي سي 2017" الذي احتضن فعالياته، مؤخرا، مركز مؤتمرات ماكنري في سان خوسيه بولاية كاليفورنيا الأميركية، عن العديد من المنتجات المميزة والتحديثات الجديدة.

وتحدث تيم كوك الرئيس التنفيذي لشركة أبل عن أهمّية المؤتمر وعن كون النسخة الحالية أكبر وأفضل نسخة على الإطلاق. كما ذكر أن عدد المُشتركين في مركز مُطوّري أبل تجاوز 16 مليون مُطوّر، مع حضور أصغر مطوّر بعمر العشر سنوات، وأكبر مُطوّرة تطبيقات بعمر 82 عاما.

وبدأت الشركة الأميركية مؤتمرها بفيديو جديد يستعرض أهمّية متجر التطبيقات أبل ستور وتخيّل حياة البشر دونه، ويعد هذا الفيديو جزءا من مسلسل "بلانت أوف ذي آبس" المؤلف من عشر حلقات، وطرحت أبل الحلقة الأولى مجانا على آيتونز وعلى الموقع الإلكتروني على أن تبث الحلقات التالية كل ثلاثاء على أبل ميوزيك وستكون متاحة للمشتركين فقط.

وتدور قصة المسلسل الذي يعد جزءا من جهد يهدف لإضافة برامج فيديو حصرية على خدمة بث الموسيقى في أبل للمساعدة على جذب مشتركين جدد، حول التطبيقات ومطوّريها ويشبه عروض تلفزيونية أخرى مثل ذا فويس وشارك تانك.

وقامت أبل بتقسيم المؤتمر إلى ستّة محاور رئيسية كبرى وهي:

تعديل الساعة الذكية

انطلقت أبل خلال فعاليات المؤتمر بالكشف عن الإصدار الرابع من نظام "ووتش أو إس" الخاص بساعات أبل الذكية، حيث أضافت الشركة مجموعة كبيرة من الميزات أهمّها واجهات جديدة إحداها ذكيّة بفضل سيري، وهي واجهة تقوم بدراسة عادات المستخدم اليومية، لتقوم فيما بعد بتجميع التنبيهات من جميع التطبيقات في مكان واحد، مع عرض بعض الاقتراحات على المُستخدم بناء على العادات اليومية التي يقوم بها.

وقدمت أبل حزمة جديدة تحمل اسم "GymKit"، وهي حزمة تسمح بمزامنة الساعة مع الأجهزة الرياضية داخل النوادي بحيث تظهر البيانات على شاشة الجهاز، وليس على شاشة الساعة للتركيز بصورة أكبر على التمارين.

ويُمكن من خلال خدمة أبل بلاي تحويل الأموال بين المُستخدمين بسهولة تامّة. كما تمكن الاستفادة من المُستشعرات الموجودة داخل الساعة لتقديم برامج رياضية مُفيدة للمُستخدم وتُساعده في تحقيق الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه.

وأكّدت أبل أن النسخة الأولى للمطوّرين متوفرة الآن، على أن تصل النسخة الاستعراضية للراغبين بتجربتها مع نهاية الشهر الجاري. ومن المنتظر أن يصل نظام التشغيل الجديد "ووتش أو إس4" في وقت لاحق خلال هذا الخريف.

ماك أو إس

أزاحت أبل الستار عن الإصدار الجديد من نظام "ماك أو إس" والذي سيحمل اسم "هاي سييرا"، وهو يأتي خلفا للإصدار السابق المعروف باسم "سييرا"، ولم تأت الأسماء مُصادفة، بل ترغب أبل في الإشارة إلى أن "ماك أو إس هاي سييرا" هو تحديث للإصدار الحالي مع بعض الميّزات الجديدة.

وذكرت الشركة أن "ماك أو إس 10.13" الجديد سيعتمد على نظام أبل للملفات أبل فيل سيستم الذي ظهر للمرّة الأولى في "آي أو إس 10.3"، وهو نظام يُقدّم سرعة قراءة وكتابة للملفات عالية جدا، مع نظام تشفير أكثر حماية، ودعم لمعمارية –64بت، لأن نظام الملفات القديم مبنيّ منذ أكثر من 25 عاما.

وأعلنت الشركة كذلك عن دعم لـ"تراميز اتش أي في سي" في تشغيل الفيديو، وهذا بدوره سيُقدّم أداء أفضل بنسبة 30 بالمئة مقارنة بالإصدارات السابقة، وهو ما يعتبر خبرا جيدا للمُتخصّصين في مجال تحرير وإخراج الفيديو على كمبيوترات الشركة. وكشفت الشركة عن الجيل الثاني من واجهات ميتال لمعالجة الرسوميات، وهو جيل يُقدّم أداء عاليا جدا، مع دعم للواقع الافتراضي "في آر" للمرّة الأولى، حيث يُمكن الآن تعديل الفيديو الخاص بالمواقع الافتراضي على نظام "ماك أو إس" دون مشاكل.

أما تطبيق الصور، فحصل على تحديث كبير جدا في الإصدار الجديد إذ يُمكنه الآن التعرّف على الوجوه ومزامنتها على جميع أجهزة المُستخدم الأخرى. مع مجموعة من الأدوات الاحترافية للتعديل على الصور. كما طوّرت أبل أداة لمنع تعقّب نشاط المُستخدم أثناء تصفّح الإنترنت.

أي أو إس 11

كشفت الشركة الأميركية عن نظام "آي أو إس 11" الذي تعمل به أجهزة بل الذكية المُختلفة، وهو إصدار جاء بتحسينات مُختلفة على صعيد الأداء والواجهات كذلك.

وللمرّة الأولى منذ إطلاق "آي أو إس" قدّمت أبل تحديثات موجّهة لكمبيوترات آيباد اللوحية، فهي أضافت شريط التطبيقات "دوك" الموجود في "ماك أو إس" إلى "آي أو إس" على آيباد. كما وفّرت ميزات مثل السحب والإفلات التي يُمكن للمستخدم بموجبها سحب أي نص أو صورة من تطبيق وإفلاتها في نافذة تطبيق آخر.

ويُمكن أيضا وبمجرد سحب أيّ تطبيق للأعلى رفعه إلى مركز تعدّد المهام الذي أصبح يعرض التطبيقات بصورة مُرتّبة. مع مركز التحكّم الجديد كُليًا أيضًا.

وقدّمت أبل لكمبيوترات آيباد تطبيق فايلز وهو تطبيق يسمح بتنظيم الملفات على الكمبيوترات اللوحية ومزامنتها على السحاب كذلك، مع دعم لمُعظم مُخدّمات التخزين الحسابي الكُبرى على غرار دروب بوكس.

وحصل تطبيق الرسائل على تحسينات بسيطة مثل إعادة ترتيب مكان التطبيقات، إضافة إلى خاصيّة تحويل الأموال من مُستخدم للآخر عن طريق خدمة آبل للدفع الإلكتروني أبل بلاي.

ولحماية المُستخدمين أثناء القيادة، قدّمت أبل خاصيّة عدم الإزعاج القادرة على منع ظهور أي رسائل أثناء قيادة السيّارة تجنّبا للحوادث.

كما أعلنت أنها تعتزم تسهيل عملية البحث عن التطبيقات الجديدة واكتشافها من خلال تعديل متجر التطبيقات بالكامل، وإضافة فئات جديدة، حيث حصل متجر التطبيقات أبل ستور بدوره على تحديث جديد وواجهات مُختلفة تماما عن السابق، إذ قسّمته أبل إلى مجموعة من الأقسام تبدأ بتبويب اليوم الذي يسمح باستكشاف تطبيقات جديدة. بالإضافة إلى تبويب الألعاب، وآخر للتطبيقات. وقد تم الإبقاء على علامات التبويب "التحديثات" و"البحث"، التي توفّر للمستخدم نتائج أفضل حاليا، بالإضافة إلى أن المشتريات داخل التطبيقات تظهر بشكل أكثر وضوحا على صفحات المنتج الخاصة بالتطبيقات.

وأكّدت الشركة أن هناك أكثر من 500 مليون زائر أسبوعي لمتجر تطبيقات أبل ستور التابع لها، موضحة أنها دفعت أكثر من 70 مليار دولار أميركي للمطورين منذ إطلاق متجر التطبيقات.

أقوى أجهزة ماك

أماطت أبل أيضا النقاب عن جهازها الجديد "آي ماك برو"، المنتج الجديد كليا من فئة محطات العمل والمصمم لأعمال المحترفين الأكثر تطلبا، عبر شاشة "ريتينا كيو 5" من قياس 27 إنشا ومعالجات زيون بما يصل لغاية 18 نواة معالجة وأداء غرافيك يصل لغاية 22 تيرافلوب، إلى جانب التحديثات التي طالت كمبيوترات آي ماك.

وعمدت الشركة إلى تحديث خط إنتاج كمبيوتراتها فيما يعتبر مفاجأة حيث كان آخر تحديث لخط كمبيوترات آي ماك قد تم في خريف عام 2015، ووفقا لأبل فإن الكمبيوتر الجديد يعتبر أقوى ماك على الإطلاق.

ويدعم "آي ماك برو" مساحات تخزين داخلية من نوع "إس إس دي" بسعات تصل لغاية 4 تيرابايت وذاكرة "أي سي سي" تصل لغاية 128 غيغابايت، ويمكن توصيل ما يصل لغاية مصفوفتين ريد عاليتي الأداء وشاشتين كيو 5 في الوقت ذاته بفضل 4 منافذ ثاندربولت 3، ويتميز "آي ماك برو" لأول مرة في أجهزة ماك، بشبكة إيثرنت بسرعة 10 غيغابايت لسرعات أكبر لغاية عشر مرات.

وجرى تصميم "آي ماك برو" ليعمل بواسطة معالجات إنتل زيون من الجيل الجديد تصل لغاية 18 نواة لمعالجة أكثر أعمال المحترفين تطلبا، ويقدم "آي ماك برو" مع بنية فلاش وتصميم حراري جديدين كليا قدرات تبريد أفضل لغاية 80 بالمئة في تصميم "آي ماك" النحيف والسلس ذاته، مع هيكل رمادي فلكي جديد.

ويأتي "آي ماك برو" مع وحدة معالجة الرسومات "رادون فيغا برو" الجديدة، أكثر بطاقات الرسوميات تطورا في جهاز ماك على الإطلاق، ومع معالج يضم الجيل الجديد من نوى الحوسبة وذاكرة تردد عال "إتش بي إم 2" تصل لغاية 16 غيغابايت، ويقدم آي ماك برو عبر وحدة معالجة الرسوميات فيغا قدرة حاسوبية مدهشة تصل لغاية 11 تيرافلوب في الدقة الفردية لتصيير 3 دي أسرع ومعدل إطارات عال للواقع الافتراضي.

وأضافت أبل أن أجهزة آي ماك الجديدة سوف تعتمد على أحدث معالجات شركة إنتل كابي لاك، وشاشات عرض أكثر إشراقا بنسبة 43 بالمئة، وما يصل إلى 64 غيغابايت من ذاكرة الوصول العشوائي، ورسوميات أسرع بنسبة تصل إلى 80 بالمئة، ومساحات تخزين داخلية جديدة تصل إلى 2 تيرابايت.

وأدخلت الشركة المصنعة لهواتف آيفون أحدث جيل من معالجات شركة إنتل ضمن تشكيلة كمبيوتراتها آي ماك الجديدة، إلى جانب ما تسمّيه أبل أفضل شاشة عرض لأجهزة ماك منذ آيّ وقت مضى، حيث تقدم 500 شمعة من السطوع.

كما حصلت الكمبيوترات الجديدة على منفذ "ثندربولت 3 يو إس بي-سي"، ممّا يجعلها أول كمبيوترات الشركة من فئة سطح المكتب التي تحصل على هذا المنفذ.

وحافظت الكمبيوترات بشكل كبير على تصميمها السابق دون تغيير إلا أن التحديث الذي طال العتاد كان كبيرا، حيث يتميز جهاز "آي ماك برو" بهيكل رمادي يجمع بين الأداء المذهل لتعديل الغرافيك المتقدم وإنشاء محتوى الواقع الافتراضي وتصييره ثلاثي الأبعاد وأسرع، وكان آخر تحديث حصلت عليه كمبيوترات آي ماك في شهر أكتوبر 2015، ويبدأ شحن كمبيوترات "آي ماك برو" في شهر ديسمبر 2017.

منتج منافس

وأزاحت الشركة النقاب عن منتج جديد اعتبرته وسائل الإعلام بأنه ينافس بقوة شركتي غوغل وأمازون الأميركيتين، حيث أطلقت أبل مساعدا ذكيا جديدا وجهازا متحدثا منزليا أطلقت عليه اسم "هوم بود" وهو بذلك يعتبر منافسا لجهازي أمازون إيكو وغوغل هوم.

وعرضت الشركة نظرة مسبقة على مكبر الصوت المنزلي اللاسلكي خاصتها هوم بود الذي يمنح مستخدميه جودة صوت رائعة باستخدام إمكانيات الإدراك الفراغي للتعرف على موقعه في الغرفة ومن ثم ضبط الصوت تلقائيا.

وصمم جهاز "هوم بود" ليعمل مع اشتراك أبل ميوزيك بحيث يمكن للمستخدمين الوصول إلى 40 مليون أغنية، كما أنه قادر على معرفة أدق تفاصيل التفضيلات الموسيقية والذوق الشخصي ويساعد المستخدمين على اكتشاف الموسيقى الجديدة.

ويتميز "هوم بود" بمكبر صوت من تصميم الشركة من أجل مستوى أعمق وأنقى، علاوة على مجموعة مخصصة من سبعة مكبرات صوت مكونة لحزم صوتية ليستمتع المستخدم بتجربة صوتية نقية عالية التردد مع إمكانية التحكم في الاتجاهات وتكنولوجيا قوية صممت خصيصا لتحتفظ بثراء التسجيلات الأصلية وتحقق الغرض المقصود منها.

وأشارت أبل إلى أن مساعدها الذكي الجديد، يعتمد على تقنية جديدة من الذكاء الاصطناعي، والتي يطلق عليها "آلة التعلم" التي يتعلم من خلالها الجهاز من أخطائه.

وأوضحت الشركة أن وظائف السماعة "هوم بود" لا تقتصر على وظائف المساعدة، مثل إرسال الرسائل أو استدعاء التحديثات أو التحكم في وظائف المنزل الذكي "هومكيت" فحسب، بل إنها تعمل أيضا كجهاز "هاي فاي" شبكي وتوفر دعما كاملا لخدمة الموسيقى أبل ميوزيك.

> أبل تعرض مكبر صوت منزليا لاسلكيا هو «هوم بود» القادر على معرفة أدق تفاصيل التفضيلات الموسيقية والذوق الشخصي لمستخدميه ومساعدتهم على اكتشاف الموسيقى الجديدة

وتتضمن التجهيزات التقنية بالسماعة "هوم بود" سبعة من مكبرات الصوت المستديرة والمركبة في جسم السماعة، الذي يبلغ ارتفاعه 18 سم، وتروّج شركة أبل لسماعتها الجديدة من خلال مواءمة النغمات في الزمن الحقيقي حسب الظروف المكانية، بالإضافة إلى إمكانية التعرف على سماعات "هوم بود" الأخرى في الغرفة وإجراء عمليات الموازنة الخاصة بها تلقائيا، وتعتمد السماعة على معالج "إيه 8" لإجراء عمليات الحوسبة الخاصة بالصوت.

ولكي يتمكن المستخدم من استعمال سماعة "هوم بود" عن طريق الأوامر الصوتية مع تشغيل الموسيقى الصاخبة أو مع وجود مسافة كبيرة، قامت الشركة الأميركية بتركيب ستة ميكروفونات موزّعة بشكل مستدير أيضا، ومزودة بوظيفة معادلة صدى الصوت، وعلى الجانب العلوي من السماعة توجد نطاقات لمسية مختلفة من أجل عمليات الاستعمال، كما يظهر في المنتصف أيضا تصوير لنطاق موجات، يوضح أن المساعد الرقمي فعال.

وأكدت الشركة أن جهاز "هوم بود" سيتوفر ابتداء من شهر ديسمبر المقبل باللونين الأبيض والرمادي الفلكي، على أن ينحصر توفره في بادئ الأمر داخل أستراليا والمملكة المتحدة وأميركا، ويتوافق هوم بود" مع "آيفون إس 5" وما بعده من الأجهزة التي تعمل بنظام "آي أو إس 11".

وكشفت الشركة عن الكمبيوتر اللوحي "آيباد برو" والذي يمتاز بشاشة قياس 10.5 بوصة تعمل بدقة وضوح 2224 1668 x بيكسل، ولا يزيد سُمك الجهاز الجديد على 6 مم ويبلغ وزنه 470 غراما.

الرياضة هي الطريقة الأكثر فاعلية لتنشيط الأيض وحماية العضلات

الحمية الغذائية الصارمة تضر بعملية الأيض وتبطئها

ممارسة التمارين الرياضية هي الطريق الأسلم لزيادة التمثيل الغذائي. لذلك يوصي مدربو اللياقة بالتدرب بانتظام يوميا لمدة 30 دقيقة للحفاظ على مستويات عالية من الأيض وحماية العضلات من الهدم. وليس المطلوب هنا القيام بأنواع معينة من الرياضات أكثر من سواها ولكن يفضّل تعويد الجسم على الحركة حتى وإن كانت بسيطة.

❑ **هامبورغ (ألمانيا) – يحلم الجميع بالتمتع بالصحة والعافية وبقوام رشيق ومفعم بالنشاط والحيوية. ولتحقيق هذا الحلم ينبغي تنشيط عملية الأيض المعروفة أيضا باسم "التمثيل الغذائي"، وهو ما يمكن تحقيقه من خلال المواظبة على ممارسة الرياضة بصفة خاصة، نظرا لأن العضلات هي أكبر عضو من أعضاء الأيض.**

وقال البروفيسور ماتياس فيبر، رئيس الجمعية الألمانية للغدد الصماء، إن كل خلية بالجسم لها نظامها الخاص في عملية الأيض، مشيرا إلى أن الأيض يحتاج إلى عمل لكي ينشط. وأوضح الطبيب الألماني أنه يتم نقل المواد إلى الخلايا في الجسم، وتتم الاستفادة منها، ثم يتم تصريفها مرة أخرى وبذلك يحدث في الجسم العديد من العمليات الكيميائية الحيوية.

ومن جانبه، قال البروفيسور إنغو فروبوزه، الأستاذ بالجامعة الألمانية لعلوم الرياضة بمدينة كولن، إن الأيض يحتاج إلى عمل وكلما قلّ تنشيطه قلّ عمله. ويشبه هذا إلى حدّ بسيط ما يحدث في السيارة؛ فالسيارة إن ظلّت حبيسة المرآب أصابها الصدأ والتآكل.

وتعدّ الرياضة الطريقة الأكثر فاعلية لتنشيط الأيض؛ نظرا لأن العضلات هي أكبر عضو من أعضاء الأيض. وفي الوقت نفس هناك عدوّ للأيض، ألا وهي الحمية الغذائية الصارمة، والتي تضرّ بعملية الأيض على المدى الطويل؛ حيث أنها تضع الجسم في حالة طوارئ ومن ثم تتراجع عملية الأيض.

وبين أخصائيون أن اتّباع الحميات الغذائية القاسية قليلة السعرات والتي تمتاز بالصوم والحرمان وقلة عدد الوجبات يقلل من معدلات الأيض، حيث أن اتّباع هكذا نوع من الأنظمة ستنتج عنه زيادة الأيض البروتيني والهدم للعضلات من أجل توفير الطاقة للجسم. وانخفاض كتلة العضلات يعني بالتأكيد عمليات تمثيل غذائي أبطأ.

> الأشخاص الذين لديهم معدل أيض أساسي جيد هم من يأكلون بشكل جيد وفي نفس الوقت يظللون نحيفين ولائقين

وبعد الحصول على نسبة عضلات أقل وعمليات أيض أبطأ بالتأكيد ستكون النتيجة سهولة تخزين الدهون في الجسم وتراكمها وزيادة الوزن عمّا كان عليه سابقا.

وأشار فروبوزه إلى أنه في المعتاد يتراوح معدل الأيض الأساسي من 1600 إلى 2500 سعرة حرارية. والمنتفع بالطعام هو الذي يأكل بشكل جيد وفي نفس الوقت يظل نحيفا ولائقا. هؤلاء الأشخاص لديهم على ما يبدو معدل أيض أساسي جيد؛ فهم يتغذون بشكل متوازن ولا يضعون أجسامهم في حالة جوع. ويمكن تنشيط الأيض من خلال الأعمال اليومية عن طريق صعود الدرج أو ممارسة التمارين الرياضية بانتظام.

وينصح فروبوزه بالانتباه إلى أوقات اليوم؛ ففي الصباح يتم شحن الطاقة، أو بمعنى آخر تناول الدهون والكربوهيدرات، وفي الظهيرة يتم تناول الأطعمة الغنية بالعناصر المغذية، وفي المساء يتم تناول الأطعمة الغنية بالبروتين. ولا يحتاج الجسم إلى الطاقة قبل النوم.

وينصح فوربوزه بمنح عملية الأيض فترة راحة بين الوجبات؛ لذا يتعين أن يظل الجسم دون طعام لمدة تتراوح ما بين 4 و5 ساعات.

وبدورها، أشارت زيلكه ريستماير، عضو الجمعية الألمانية للتغذية، إلى أن تفاعل الجسم مع هذا يختلف من شخص إلى آخر، وأن العامل الحاسم في هذا هو توازن الطاقة.

وممّا لا شك فيه أن شرب كميات كافية من الماء يعد أمرا مهما مفيدا للصحة، ولكن من الناحية العلمية لم يثبت تأثير ذلك على تنشيط الأيض أو وزن الجسم.

وأظهرت دراسة جديدة أن الأشخاص الذين يعانون من الشعور بالخجل من فرط سمنتهم تزداد لديهم فرص إصابتهم بأمراض القلب واضطرابات الأيض.

وركز الباحثون في هذه الدراسة على ما يعرف باسم متلازمة الأيض، وهي مجموعة مخاطر تتعلق بأمراض القلب والجلطات والسكري. ومن يعاني من تلك المتلازمة يعاني كذلك من ثلاث على الأقل من المشكلات الخمس التالية: زيادة الدهون في منطقة الخصر والزيادة في مستوى الدهون الثلاثية وانخفاض مستويات الكوليسترول "الجيد" وارتفاع ضغط الدم وزيادة مستوى السكر في الدم. وتوصلت الدراسة إلى أن الذين يعانون من الخجل بسبب سمنتهم زاد احتمال تعرضهم لمتلازمة الأيض على الأرجح بنسبة 41 بالمئة، مقارنة بمن لا يعانون من ذلك الخجل بعد وضع مدى الإحباط ودرجة السمنة في الاعتبار.

وقالت رئيسة فريق البحث ريبيكا بيرل الباحثة في علم النفس بجامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا "إن الشعور بالخجل من السمنة يولد ضغطا نفسيا يصاحبه ارتفاع ضغط الدم والإصابة بنوع من الالتهابات وربما يتحول هذا الخجل إلى نوع من القلق المزمن".

وأضافت أن مثل هؤلاء الأشخاص ربما "ينخرطون في سلوكيات غير صحية للتغلب على هذا القلق مثل الإفراط في تناول أطعمة معينة تشعرهم بالراحة لكنها تحتوي على مستويات مرتفعة من السعرات الحرارية".

الأيض يحتاج إلى عمل وحركة لكي ينشط

وخلال الدراسة فحصت بيرل وزملاؤها بيانات من مختبرات لدراسة مخاطر متلازمة الأيض، كما حللت استبيانات بشأن الخجل من السمنة لنحو 178 من البالغين الذين يعانون من السمنة، وإجمالا أظهرت الدراسة أن 51 شخصا أو 32 بالمئة ممّن شملتهم الدراسة يعانون من متلازمة الأيض.

وأظهرت الدراسات أن قلة النوم يمكن أن تبطئ عملية التمثيل الغذائي وزيادة الشهية. وهذا يزيد من خطر البدانة وزيادة الوزن. كما أن قلة النوم تقلل أيضا من مستويات هرمون الليبتين والغريلين والهرمونات التي تنظم استخدام الطاقة والشهية. فالنوم لمدة خمس ساعات دون أيّ اضطراب يقلل مستويات هرمون الليبتين بنسبة 15 بالمئة ويزيد من مستويات هرمون غريلين بنسبة 15 بالمئة.

جدير بالذكر أن عملية التمثيل الغذائي هي مجموعة من التفاعلات الكيميائية التي تحدث في الكائنات الحية على المواد الغذائية المختلفة بواسطة العوامل الإنزيمية بغرض الحصول على الطاقة أو بناء الأنسجة. يستخدم العلماء مصطلح "التمثيل الغذائي" للإشارة إلى العمليات الكيميائية التي تحدث داخل الجسم وتمكّنه من البقاء والنمو والتكاثر.

ويعتقد المصابون بزيادة في الوزن أنهم ربما يعانون من مشكلة في الكيمياء الحيوية الخاصّة بأجسامهم تسبّب لهم اضطرابات في معدّل التمثيل الغذائي، وبالتالي في بطء معدّل الأيض لديهم.

تمارين البيلاتس تعزز توازن الجسم وقوته

❑ **برلين – تعمل تمارين البيلاتس على تقوية الجسم بهدف تحسين توازن الجسم وزيادة مرونته وتقوية العضلات؛ حيث أنها تمارين شاملة تعمل على إعادة تأهيل الجسم من كافة الجوانب.**

وتعتمد هذه التمارين على القوة الأساسية أو ما يسمّى بالقوة الجوهرية لتنمية التوازن في الجسم للوصول إلى العضلات العميقة المتمثلة في عضلات البطن والظهر الداخلية وتدريبها بحيث تركز على القوة الأساسية والوعي والمرونة. وأشارت فرانشيسكا ريسكا، مدربة البيلاتس، إلى أن هناك 23 من التمارين الأساسية لتدريب الجسم بالكامل، ولكن ينبغي على المرء مراعاة أن تكون الحركة متماشية مع إيقاع النفس عند أداء هذه التمارين، بالإضافة إلى أنه يجب التحكم في عضلات البطن باستمرار، كما يجب أن تكون الأكتاف مرتخية. وفيما يلي شرح لخمسة تمارين بيلاتس للمبتدئين:

تمرين المفصلة: اجلس على حصيرة التمرين، مع مدّ الساقين إلى الأمام بجانب بعضهما البعض، ومدّ الذراعين أيضا إلى الأمام، وبعد ذلك تتم إمالة الظهر إلى الخلف والاحتفاظ بهذا الوضع. ويمكن أداء هذا التمرين أيضا في وضع V، وهذا يعني أن يتم رفع الساقين بشكل قطري باتجاه السقف.

تمرين المئة: استلق على ظهرك، مدد يديك بجانب الجسم. وبعد ذلك يتم رفع الجزء العلوي من الجسم والساقين لأعلى تباعا. وفي تلك الأثناء تظلّ الساقان في وضع مستقيم مع ضغطهما معا. ويتم مدّ الذراعين إلى الأمام مع رفعهما وخفضهما في حركات صغيرة من هذا الوضع عشر مرات. وفي نفس الوقت يتم الشهيق والزفير لخمس مرات. وبالنسبة إلى المتقدمين في التمرين فإنه من المستهدف تكرار هذا التمرين عشر مرات.

تمرين مد الساق المستقيم المضاعف: استلق على ظهرك، وضع يديك فوق بعضهما تحت رأسك، ثم ارفع ساقيك الممدودتين إلى وضع رأسي. وبعد ذلك يتم رفع الساقين ببطء وإنزالهما مرة أخرى.

ويمكن زيادة صعوبة هذا التمرين من خلال استعمال حلقة البيلاتس؛ حيث يتم الضغط على الحلقة بواسطة الساقين.

تمرين الكوبرا: استلق على بطنك وافرد الساقين بجانب بعضهما البعض. ويتم وضع اليدين بجانب الرأس بحيث تكون بعرض الكتف.

وبعد ذلك حرك كرة التنس غير المرئية للأمام وارفع الجزء العلوي من الجسم، وثبته على هذا الوضع، ثم يتم الرجوع إلى الوضع الأصلي. ويتحرك الساعدان في تلك الأثناء إلى الخارج بعض الشيء ويتم تكرار هذا التمرين أربع مرات.

تمرين رفع الساق الجانبي: يتم مدّ الجسم على الوضع الجانبي، مع سند الرأس بواسطة اليد، مع تحريك الساق العلوي للأمام والخلف، وبعد ذلك يتم تحريك الساق لأعلى ولأسفل. وأفادت دراسة إسبانية أن النساء المسنات المصابات بآلام أسفل الظهر قد يلاحظن تحسنا في مستوى التوازن وعدم الخوف من السقوط بعد ممارسة رياضة البيلاتس.

وتتبّع الباحثون حوالي 100 امرأة تزيد أعمارهن عن 65 عاما، وخضعن للعلاج الطبيعي مرتين في الأسبوع مع جلسات البيلاتس لمدة ساعة مرّتين في الأسبوع.

بعد ستة أسابيع، ذكرت النساء أن البيلاتس ساهم في تقليل الخوف من الوقوع لديهن حيث أدى إلى تحسن كبير في التوازن وتخفيض آلام الظهر نقلاً عن فوكس نيوز.

وقال الباحث الرئيسي الدكتور فيدل هيتا-كونتريراس "تركز تمارين البيلاتس ليس فقط على الناحية الجسدية ولكن أيضا على النموّ النفسي، والتفاعل بين العقل والجسد".

وبعد مرور بضع سنوات، انتقل بلاتس وأصبح ممرضاً يهتم بالمصابين بالأمراض أو بالإعاقات البدينة، أثناء الحرب، ما جعله يتجه إلى تصميم معدات إعادة تأهيل المرضى عن طريق إعداد أجهزة بسيطة من السرائر لتوفير الراحة وإتاحة قدر من الحركة للأشخاص طريحي الفراش.

وإلى حد ما لا تختلف معدات البلاتس التي اخترعها في الماضي عن الحالية، حيث تعتبر المعدات التي تستخدم لشد الأقدام واليدين ومساند الظهر والرقبة والأكتاف مهمة بقدر أهميتها في ذلك الوقت. وقد قامت زوجته كلارا وهي ممرضة متخرجة في مدرسة التمريض بتوظيف أفكاره بطرق أكثر نفعاً للجرحى والمرضى ذوي الحالات الخطرة. وقد أدى أسلوبها السهل والعملي وطرائقها الخاصة إلى تخرج سلسلة كبيرة من المعلمين المهتمين بتدريبات البلاتس. وأصبح تدريب بلاتس معترفاً به بشكل متميز كصيغة إيجابية للتمارين المبنية على الحركة التي يمكن تحقق الرشاقة والصحة أيضاً.

> تمارين البيلاتس تعتمد على القوة الأساسية أو ما يسمى بالقوة الجوهرية لتنمية التوازن في الجسم للوصول إلى العضلات العميقة

وفي عام 1965، قال جوزيف بلاتس "لا بد أنني على صواب، فأنا في حياتي لم أتناول أي علاج، حتى أقراص الأسبرين، ولم أصب بجروح، فلماذا لا يسير الإنسان في بلادي وفي العالم أجمع على الأسلوب نفسه، الذي اتبعه في حياتي لينعموا بالمزيد من السعادة".

وخلال الدراسة فحصت بيرل وزملاؤها بيانات من مختبرات لدراسة مخاطر متلازمة الأيض، كما حللت استبيانات بشأن الخجل من السمنة لنحو 178 من البالغين الذين يعانون من السمنة، وإجمالا أظهرت الدراسة أن 51 شخصا أو 32 بالمئة ممّن شملتهم الدراسة يعانون من متلازمة الأيض.

وأظهرت الدراسات أن قلة النوم يمكن أن تبطئ عملية التمثيل الغذائي وزيادة الشهية. وهذا يزيد من خطر البدانة وزيادة الوزن. كما أن قلة النوم تقلل أيضا من مستويات هرمون الليبتين والغريلين والهرمونات التي تنظم استخدام الطاقة والشهية. فالنوم لمدة خمس ساعات دون أيّ اضطراب يقلل مستويات هرمون الليبتين بنسبة 15 بالمئة ويزيد من مستويات هرمون غريلين بنسبة 15 بالمئة.

جدير بالذكر أن عملية التمثيل الغذائي هي مجموعة من التفاعلات الكيميائية التي تحدث في الكائنات الحية على المواد الغذائية المختلفة بواسطة العوامل الإنزيمية بغرض الحصول على الطاقة أو بناء الأنسجة. يستخدم العلماء مصطلح "التمثيل الغذائي" للإشارة إلى العمليات الكيميائية التي تحدث داخل الجسم وتمكّنه من البقاء والنمو والتكاثر.

ويعتقد المصابون بزيادة في الوزن أنهم ربما يعانون من مشكلة في الكيمياء الحيوية الخاصّة بأجسامهم تسبّب لهم اضطرابات في معدّل التمثيل الغذائي، وبالتالي في بطء معدّل الأيض لديهم.

مجتمعات الرجال ترفض دور المرأة في ساحات القتال

النساء في الجبهات الأمامية: خطوة لمواكبة التغيرات الاجتماعية

طمـوح بعض النسـاء العربيات في الالتحـاق بالقوات المسـلحة كان يعتبر في بعض المجتمعات الذكورية حلما صعب المنال، إلا أن النساء القويات أثبتن جدارتهن في تولي جميع المناصب أسوة بالرجال.

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❏ يسـود في العديد مـن المجتمعات اعتقاد راسخ بأن النساء أقل رباطة جأش من الرجال وأنّهـن أقل قـدرة على تحمل المهام الشـاقة وأنهـن أقل كفـاءة في مراكز القيـادة، ولذلك ما زال الرفض سـيد الموقف لتولي النسـاء المهام القتالية ذاتها التي يتولاها الرجال في القوات المسلّحة.

إلا أن الـذّود عن حِيـاض الأوطان لم يكن يوما حكرا على الرجال فصوَرة المرأة الثائرة والقائـدة والمحاربة تحضر فـي العديد من الحضارات القديمة.

ويكشـف التاريـخ عـن أدوار بطوليـة متعدّدة خاضتها النسـاء جنبا إلى جنب مع الرجـال في السـاحات القتاليـة وتقدمن في أحيان كثيـرة الصفوف الأماميـة للجيوش، مثل "زنوبيا" ملكة تدمر التي شـنت حملات عسكرية على الإمبراطورية الرومانية وقادت جيوشها بنفسـها، وحققت انتصارات كثيرة علـى الإمبراطـور الرومانـي أورليانـوس، وملكة العرب "ماويـة" التي هزمت الجيوش الرومانيـة شـرّ هزيمـة بفضل القـوة التي كانت تتمتع بها، والفرنسـية جان دارك بطلة حـرب المئة عام التي دارت بين الفرنسـيين والإنكليـز، وهنـاك الكثيـرات غيرهـن ممّن أعطيـن صورة مختلفة عن المـرأة الضعيفة التي تحتاج لحماية الرجل.

سليمان شيخو

التفسيرات الدينية الخاطئة كرست انعدام المساواة بين الجنسين في المجتمعات الإسلامية

ولعبـت النسـاء أدوارا بطوليـة خـلال الحروب المختلفة التي شهدتها بلدان العالم، ووجدت زوجات وصديقات وأمهات وشقيقات أنفسـهن في وظائف محفوفة بمخاطر هائلة وعرضة لحوادث مميتة.

وفي الحرب العالمية الأولى قدّم الآلاف من النساء جهودا تطوعية لدعم المقاتلين، فدعمن الجنود بالمراسلات، وعملن كممرضات لعلاج الجرحى على غرار الإنكليزية فيرا بريتن التي وصفت تجربتها في مذكرات.

وقـال وقتها جورج لويد الذي تولى لاحقا منصب رئاسـة الوزراء في بريطانيا في أحد تصريحاتـه "دون النسـاء ليـس مـن نصر سريع"، ليؤكد على المشاركة الحاسمة للمرأة في المجهود الحربـي لجميع الدول الضالعة في الحرب.

أما النسـاء بالنسـبة إلى المقاتلات فكنّ أقليـة، وقـد شـوهدن خاصة علـى الجبهة الروسـية، حيـث أنشـئت فـي ربيـع 1917 "كتائب الموت النسـائية" بمبـادرة من ماريا بوشـكاريفا المزارعـة التـي انخرطـت في الجيش.

وكشـف المؤرخ يوغين روجان، في كتابه "سـقوط العثمانييـن: الحـرب العظمى في الشرق الأوسط" إلى اعتماد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى على قناصة من النسـاء، لم تكـن قوات الحلفـاء البريطانية والفرنسـية والروسـية تتوقع أنهـن إناثا لدقتهـن وقدرتهـن الفائقة علـى التصويب والقنص.

النساء القويات

وأدت النسـاء أثنـاء الحـرب العالميـة الثانية أدورا أكثر اتساعا مما كانت عليه في الحـرب العالمية الأولـى، فقد عملن بمصانع الذخيرة وفي الصناعـات الحربية وفي بناء السفن وصناعة الطائرات والسيارات، وقدمن الدعـم اللوجسـتي للجنـود، وانضم الآلاف للسلك العسكري ولا سيما في الجيش الأحمر بالاتحاد السوفييتي.

وبعـد الحـرب العالمية الثانيـة اتخذت البعـض من الـدول قـرارات بتحجيـم دور مشـاركة المـرأة فـي القتـال، وانحصـرت أدوارهن في الأعمـال الإدارية والطبية، فيما شـهد النصف الثانـي من القرن العشـرين انضمام الآلاف من النسـاء للقوات المسلحة بعد أن فتح باب التطوع أمامهن.

وتُعتبر إسـرائيل واحدة مـن بين الدول القلائـل فـي العالم التـي فرضـت الخدمة العسـكرية الإجباريـة علـى المرأة أسـوة بالرجـل، فيمـا أقـرّ البرلمـان النرويجـي عـام 2014 إلزاميـة التجنيد العسـكري على النساء.

وقامت النساء العربيات بمهمات بطولية فـي الحـروب وأعمـال المقاومة المسـلّحة ضـد الاسـتعمار وبـرزن كمناضـلات فـي تونس والمغرب ومصـر والجزائر والعراق وسوريا وفلسطين، وضحت الكثيرات منهن بأرواحهن في سـبيل الواجـب الوطني ومن أجل رفع راية بلدانهن عاليا.

وشـهدت الحرب العراقية الإيرانية دورا مهما للمرأة العراقية، وارتقت بعضهن لرتب عسكرية وصلت إلى العقيد والعميد.

وفي العقود الأخيـرة أدمجت العديد من الدول العربية المرأة بمؤسساتها العسكرية، وأصبح النسـاء يعملن فـي مجالات مختلفة بالجيش، وعكسـت الكثيرات منهن الأضواء على تجاربهن في حمل الأسلحة والقتال على أرض المعركة.

ولفتـت الإماراتيـة مريـم المنصـوري الأنظار في الشرق الأوسط وخارجه حين بزغ نجمها كقائـدة لإحدى القاذفـات الإماراتية التي شـاركت في قصف مواقع تنظيم داعش في سوريا عام 2014.

ولكنّ ذلـك لا يعني أن كلّ مكان في العالم يرحّـب بانتقال المرأة مـن عالمها التقليدي الـذي يتمتع بخصوصية كبيرة ليصبح أكثر حداثة وعمومية.

وبالرغم من أن العديد من الدول بدأت في العقود الأخيرة في توسـيع الفرص المهنية المتاحة للمـرأة وإعطائها أدوارا أكثر بروزا فـي القوات المسـلحة المعاصرة، إلا أن ذلك لن يغيّر حقيقة الاختلاف النفسي والجسدي القائمة بين المرأة والرجـل، والتي ما زالت تثير الجدل السياسي والديني وتفرض على النسـاء أدوارا ثانوية في الجيش كالخدمات الإداريـة والطـب والتمريـض، فيمـا تبقى الأدوار القتالية محظورة عليهن وفي الغالب من اختصاص الرجال وحدهم.

أدوار ثانوية

وكشـفت النقيبة المصريـة (س. م) التي اكتفت بحرفين من اسـمها –نظرا لحساسية مهنتها التي تفرض عليها الالتزام بالسرية– عن الصعوبات التي واجهتها كامرأة عندما باشرت عملها بأحد المستشفيات العسكرية بمصر.

وقالـت لـ"العـرب" إن التحاقهـا بمعهد التمريـض العالـي للقوات المسـلحة جعل حياتها لا تشـبه حياة النسـاء، مشيرة إلى أنهـا عانـت الكثير من أجـل الحصول على الشهادة العليا من ذلك المعهد.

وأوضحـت النقيبة المصريـة أن طبيعة الحيـاة العسـكرية بالمعهـد حرمتهـا في بعض الأحيان من رؤية أهلها، إضافة إلى ما عانته من صعوبات جراء التمرينات البدنية والرياضية القاسية التي كانت تقوم بها في الصباح الباكر والمساء.

إلا أنها أكدت أن الحياة العسكرية علمتها الدقة والنظام في أدق تفاصيل حياتها، مشيرة إلـى أنها وبعد ما واجهته خلال سـنوات من تحديات كبيرة لم تحظ سـوى برتبة عسكرية صغيرة، ولكن ذلك لـم يثنها عن المثابرة من أجل الوصول إلى رتبة نقيب.

وتحـول ثقافـة السـرية المفروضة على العامليـن في الجيوش العربية دون الكشـف عن التمييز الممنهج والمسـتمر ضد النساء والمضايقـات التي يتعرضن لها من الأعضاء الذكور وخاصة أثناء التدريبات العسكرية.

كمـا تخيّر الكثيـرات الصمـت خوفا من خسارة وظائفهن في حالة عدم تصديقهن من القيادات أو في حالة وجود حلقة لا تستجيب للتحقيق في الأمر.

وعبر عالـم الاجتماع جويس عن الفوارق الخفية بين الجنسين داخل المؤسسات بقولة أكثر بلاغة "النزعة العسـكرية الثقافية وروح المشـاركة القوية في الدول التي تتعامل بلغة السـلاح لا تقلّل الفوارق بين الرجل والمرأة، بل تخفيها لأهداف حربية".

ولا يبدو أن الحياة العسـكرية رومانسية أو هيّنـة لتعـدّل النسـاء أنظارهـن عليها، فالعاملون في سـلك الجيش يعملون كل يوم بجد وكد ويواجهون الكثير من المخاطر التي تهـدد حياتهم، وخاصة في بلـدان النزاعات، ومع ذلك فالخدمة العسـكرية لها بريق يجذب الكثير من الفتيات.

وأطلقت مجموعة من الشابات المصريات الناشـطات على مواقع التواصل الاجتماعي فـي السـنوات الأخيرة دعوات متكـرّرة على الإنترنت يطالبن فيها سلطات بلادهن بقبول الفتيـات ضمـن صفـوف القوات المسـلحة وأجهزة الشرطة.

وتأتـي مطالبتهن باشـتراك المـرأة في القوات المسـلحة ضمن المطالب التي تنادي بالمسـاواة بين الجنسين ومشـاركة نصفي المجتمـع في بناء البلد، ولكن المناشـدات لا تترجم بالضرورة إلى أفعال على أرض الواقع من قبل السلطات.

ويمثّـل حصـول المـرأة الجزائرية على أعلى الرتب في مؤسسـة الجيش عامل جذب للنسـاء نحو المهن العسكرية، وخاصة بعد أن فتحـت مدرسـة أشـبال الأمة عـام 2016 أبوابها أمـام تلميذات الإعـدادي والثانوي للتكوين فيها والتخـرج منها كضابطات في الجيـش، ممـا جعـل التلميذة سـهام أحمد قويـدر من إعدادية عائشـة باكلي بالعاصمة الجزائر تفكر في التسـجيل خلال الموسـم القادم بمدرسـة أشبال الأمة، أملا في تحقيق طموحهـا في أن تصبـح ضابطة في صفوف جيش بلادها.

وقالت قويـدر في تصريـح لـ"العرب" إن فتاتيـن من جيرانها التحقا بالمدرسـة خلال الموسم الماضي، وحملا لها انطباعات جيدة عن ظروف التدريس والتكوين بالمدرسة.

الصورة المشرقة للمرأة العراقية قبل أن يكسوها السواد

وأضافت "الحديث المتداول داخل الأسرة وفي وسـائل الإعـلام عـن انفتـاح الجيش الجزائري علـى المرأة الجزائريـة حفّز لديّ الرغبة في الالتحاق بمدرسة أشبال الأمة".

أحلام مشروعة

ورغـم أن طمـوح الفتيـات العربيات في الالتحاق بصفوف جيوش بلدانهن مشـروعة وكفلتهـا لهن قوانيـن بلدانهـن عندما أقرت مبدأ المساواة بين الجنسين في التعليم وفي العمل وفـي تولّي أيّ مهـام يخترنها إذا كن مؤهـلات لها، فإن بعض القـوى الذكورية ما زالـت تنظر إلى عمل المـرأة في الجيش على أنه من المحرّمات لأنه يفرض عليها الاختلاط بالرجال.

وردا على ذلك قال محمد الشحات الجندي أسـتاذ الشـريعة الإسـلامية بجامعة الأزهر لـ"العرب" إن مشاركة المرأة في أعمال تتعلق بالدفاع عن الوطن أو الأمن أو المرافق العامة، أمـر لا يمنعـه الشـرع، ولا يوجـد دليل على حظر ذلك، بـل بالعكس فالنسـاء في العصر الإسلامي الأول شـاركن في أعمال الدفاع عن الوطن الإسلامي وهو المدينة المنورة.

وأشار إلى أن السيدة أسماء بنت أبي بكر كانت تحمل المؤن والغذاء للرسـول صل الله عليه وسـلم وأبيها، وذلك أثناء رحلة الهجرة في ظـروف صعبة بـكل المقاييس، حيث كان هناك ترصد للرسـول، وتربّص لأصحابه عند الهجرة من مكة إلى المدينة.

وأشار الشـحات إلى أن هناك البعض من النساء وقف خلف صفوف الرجال في معركتي بدر وأحد وغيرهما، حيث كن يساعدن الرجال في قتـال الأعـداء ويقمـن بإغاثـة الجرحى وإسعاف المصابين في الحرب.

وأوضـح ألاّ فرق بين الديـن والوطن كما يزعم البعض، فرسـالة الإسـلام لا تفرّق بين الديـن والوطن في الوجود وأهمية مشـاركة الرجال وكذلك النساء في خدمة الدين والوطن.

فيمـا يرى أسـتاذ علـم النفـس التربوي العراقـي سـليمان شـيخو أن المـرأة أكثـر تسامحا وعاطفة من الرجل، إلا أن ذلك لا يعني أنها أقل عقلانية منه، فكلاهما لديه تماثل في العقل والقلب، ولكن سبب الاختلاف من وجهة نظره يكمـن في الدور الـذي فرضه المجتمع على الجنسين.

وأشار إلى أن التفسيرات الدينية وخاصة فـي المجتمعـات الإسـلامية كرسـت انعدام المسـاواة بين الجنسـين، وأدت إلى ظاهرة التمييـز بيـن الذكـور والإناث فـي مجالات مختلفـة بمـا فيها مسـألة العمل في سـلك الجيش.

وقـال شـيخو في حديـث لـ"العـرب" إن "المرأة في البلدان المتقدمة تستطيع الدخول فـي معتـرك الحيـاة العامة وفـق اختيارها وقراراتها الشـخصية ولكن في الدول العربية والإسـلامية مـا زالـت العـادات والتقاليـد والتفسـيرات الخاطئة للديـن تكبّلها وتحرّم عليها الدخول في السـلك العسـكري وتنظر إلـى مثل هـذا العمل على أنه لا يتناسـب مع القيـم الاجتماعية السـائدة، وهـذا كله لأنها مجتمعـات منغلقـة وترفض تقبـل التغيرات الاجتماعية التي أصبحت في عدة دول غربية من الأمور الطبيعية".

وأضـاف "الكثير من النسـاء ضرب بتلك التقاليد عرض الحائط وتمردت النسـاء على أنوثتهن ودخلن المجالات العسكرية وأحرزن مناصـب هامة، وهـذا من حقهن المشـروع، فالمـرأة نصف المجتمع، وهي مصنع الرجال والعلـم، وأعتقد أنه لو راعى كل فرد مهما كان جنسـه أو عرقه أو دينه حقوقه وواجباته من دون التعـدي على حقوق غيـره لعاش الناس جميعا في سلام ووئام".

مريم المنصوري: المرأة التي حيرت الرجال وقهرت الأعداء

شارك في إعداد التقرير:
* محمد محمود من مصر
* صابر بليدي من الجزائر

رمضان موسم الهوس الاستهلاكي لدى جزء هام من الأسر

شهر الصيام أصبح مناسبة للإسراف في المأكل والمشرب والملبس

شرّع صيام رمضان للارتقاء بروح الإنسان عبر التقليص والزهد في الماديات بجميع أنواعها، إلا أن هذا الشهر تحوّل إلى موسم لـ"الهوس الاستهلاكي" لدى جزء هام من الأسر المغربية بفعل انتشار عادات خاطئة تفرغ الصيام من مقاصده وتضيع أجر هذه العبادة.

ارتفاع ملحوظ لنسب استهلاك الأسر في رمضان

❏ **الرباط** – السائد اليوم إفراغ شهر رمضان من جوهره كعبادة وجعله عادة يطغى فيها الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب والملبس، بل إن حلول هذا الضيف الكريم تحسب له الكثير من الأسر ألف حساب من الجانب المادي أكثر من استعدادها القلبي والروحي لتلقي النفحات الإلهية ولاغتنام موسم الخير، شهر أمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشهر "المطهر" روحيا ونفسيا واجتماعيا وصحيا وتربويا.

شرّع رمضان بالأساس لتحقيق غاية التقوى وتذكير الأغنياء بحقوق المحرومين والفقراء والمساكين، وهو مدرسة للصبر على مشاق الصيام والاجتهاد في الطاعات وأبواب الخير وتربية الإرادة القوية وإمساك النفس والجسم عن مبتغاهما. وتهذيب النفس وتزكيتها.

ويذهب مختصون إلى أن رمضان شهر التربية على السموّ عن الماديات والانصراف بالأحرى إلى تغذية الروح بالصيام وتلاوة القرآن والدعاء والصلاة بدل تغذية الجسد، بل إن الصوم، إن تكاملت عناصر صحته شرعا وقلبا لدى المسلم، يجعل النفس ترتفع عن طينتها الأرضية التي تتحكم فيها الرغبات والغرائز، فتحلّق في مدارج السمو الروحاني.

وممارسات الناس في رمضان اليوم هي أبعد ما يكون عن هذه المعاني والمقاصد، بفعل مظاهر الإسراف والتفنن في موائد الإفطار والمأكولات وتحويل ليل رمضان مناسبة للتخمة والسهر ونهاره للنوم، فضلا عن العدد الكبير للصائمين الذين ليس لهم من صومهم إلا الجوع والعطش ما لم يصم اللسان والقلب عن الغيبة والنميمة والكلام الفاحش والتشاحن والعراك الذي أضحى لازمة في الشوارع والأسواق طيلة أيام الشهر الفضيل.

> السلوكيات الخاطئة تفرغ الصيام من مقاصده الصحية باعتبار صيام رمضان حمية سنوية لتطهير الجسم من السموم وتنشيطه وتجديد الخلايا، وفرصة للتخلص من العادات السيئة كإدمان التدخين والمخدرات

وتؤكد ذلك لغة الأرقام الرسمية، إذ أشارت المندوبية السامية للتخطيط، في أرقامها للسنة الماضية إلى ارتفاع نسب استهلاك الأسر المغربية في رمضان، حيث سجلت ارتفاعا بنسبة 37 بالمئة من الإنفاق على التغذية خلال بداية الشهر الكريم مقارنة مع باقي السنة لدى جميع فئات المجتمع، وزيادة الطلب على المنتوجات المعروضة، مؤكدة أن "نمط العيش في رمضان يتغير من حيث العادات والمصاريف والإنفاق"، إذ ينتقل الاستهلاك من 22,5 بالمئة إلى 40 بالمئة.

وفي هذا الصدد، تقول الواعظة بالمجلس العلمي المحلي بالرباط أمينة آيت هلال إن المتأمل في الواقع يرى الإسراف والتبذير وسوء تدبير الوقت وكذلك طغيان المادية والشهوانية، فترتفع أسعار المبيعات ويزداد العرض والطلب، ويقل إنتاج الفرد وعطاؤه داخل المجتمع، ويزداد شعور الإنسان بالكسل وتزداد رغبته في النوم والراحة وغير ذلك من المتناقضات العجيبة التي تعكس تماما المقاصد النبيلة لشهر رمضان.

وهذه السلوكيات الخاطئة تفرغ الصيام أيضا من مقاصده الصحية باعتبار صيام رمضان حمية سنوية لتطهير الجسم من السموم وتنشيطه وتجديد الخلايا، وفرصة للتخلص من العادات السيئة كإدمان التدخين والمخدّرات وللتخلص من البدانة والعادات الغذائية الخاطئة وعدم التوازن الكمّي والكيفي في الأكل.

وتقول هلال، في هذا الإطار، إن بعض الدول الغربية الآن أصبحت تعتمد طريقة الصوم عند المسلمين لمعالجة الأمراض النفسية والجهاز الهضمي وغيره في بعض المصحات، مما يدل على أهمية هذا النظام وفائدته للفرد والمجتمع ككل.

وحول سبب التناقض القائم بين رمضان كمقاصد وكممارسة فإن الخلل، يكمن بحسب رأي الواعظة في المجلس العلمي المحلي بالرباط، في قلة الوعي، خاصة الوعي الديني، معتبرة أن المواطن يجهل تماما فضائل الصوم وغاياته ويجهل أكثر طرق تحصيل هذه الفضائل.

وتوضح أن من مقاصد الصوم أن يرجع العبد إلى سياق التوسط الذي تتميز به هذه الأمة عن غيرها، وبالتالي الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس وغيره.

كما أبرزت هلال أنه في رمضان يستوي الغني والفقير في الصوم، مما يجعله "علاجا للتكبّر والطغيان والتّعالي على الناس، لأن الكل صائم، والكل يعاني ألم الجوع، والكل يمسك ويفطر دون تفريق أو تمييز، لا يستثنى من ذلك أحد لغناه، أو لمنصبه أو جاهه".

من جهة أخرى يعطي رمضان، حسب هلال، درسا عجيبا في إدراك نعمة وبركة الوقت والالتزام بالمواعيد والنظام في المعيشة، قائلة إن "جميع الصائمين يمسكون ويفطرون في وقت واحد، بلا تقديم ولا تأخير، وإن الأوامر والنواهي إن لم تتحول إلى واقع عملي، فقدت قيمتها وضاع جوهرها".

وتشير هلال إلى أن الصوم يحدّ من طغيان الجسم على الروح، والمادية على الإنسانية، والعبودية على الحرية، وترويض للإنسان على أن يقول "لا" عندما تداهمه شهوته إلى الأكل أو الشرب، أو الاستمتاع.

وقالت إن الناظر في الأمور التي حرّمها الله على الصائم وشدة علاقتها بحياته اليومية ومدى هيمنة العادة عليها ليدرك القوة العملية للصوم وأثرها في تربية الإرادة، إذ أن "رياضة النفس بما هي من ضروريات الحياة تجعل الإنسان أقوى على ترويض نفسه، للكف عمّا دونها".

كما يعتبر هذا الشهر مناسبة ملائمة للتعبير، بشكل أفضل، عن التضامن الاجتماعي والكرم الذي يميز الأسر تجاه الفئات الفقيرة، حيث تكثر في هذا الشهر الأنشطة ذات الطابع الخيري والتضامني لفائدة الفئات المعوزة. وتعمل الأسر على إعداد وجبات إفطار بكميات زائدة بغرض إطعام ذوي السبيل الذين يطرقون أبوابها وحراس سيارات الحي وعابري السبيل وأي شخص لا يتوفر على إمكانيات لإعداد الفطور.

طبق اليوم

أفخاذ الدجاج المحشوة بالفطر والديك الرومي

*** المقادير:**

- 4 أفخاذ دجاج منزوعة العظام.
- 2 ملاعق كبيرة زيت الزيتون.
- فص ثوم مفروم.
- 2 ملاعق كبيرة بصل مفروم.
- 8 حبات فطر أبيض.
- 100 غرام فخذ الديك الرومي المدخن مفروم.
- 2 ملاعق كبيرة صلصة الصويا.
- 3 ملاعق كبيرة قشدة طرية.
- فلفل أسود.
- للتقديم :صلصة الخيار المخلل.

*** طريقة الإعداد:**

- يحمّر البصل المفروم مع الثوم في زيت الزيتون في مقلاة على نار هادئة، حتى يصبحا شفافين. ثم يضاف إليهما الفطر المفروم ويستكمل الطهي لمدة 5 دقائق.
- تضاف صلصة الصويا والقشدة الطرية والفلفل الأسود، وتترك الصلصة تتخثّر ثم يضاف الديك الرومي المدخّن، تخلط جميع المكونات ثم تتم إزالة الخليط من فوق النار. تحشى أفخاذ الدجاج بالخليط وتخاط بخيط المطبخ.
- توضع الأفخاذ المحشوة في طبق ثم تدخل للفرن المسخن على درجة الحرارة 170 درجة لمدة تتراوح بين 35 و40 دقيقة.
- تخرج الأفخاذ المحشوة من الفرن عندما تنضج ويصبح لونها ذهبيا ويزال منها الخيط. وتقدم الأفخاذ المحشوة ساخنة وتسقى بصلصة الخيار المخلل.

موضة

أزياء تقليدية تونسية بين الأصالة والمعاصرة

❏ احتضن المسرح البلدي بالعاصمة تونس مؤخرا حفلا خاصا بإحياء الموروث الثقافي للباس التقليدي التونسي ضمن فعاليات مهرجان المدينة.

وتخلل الحفل عرض أزياء للباس التقليدي لمصممات تونسيات برزن في عالم الجمال والموضة، من بينهن المصممة ألفة مهاود التي قدمت باقة من الأزياء النسائية التقليدية المستحدثة، مثل "السفساري"و"القفطان" و"الفوطة والبلوزة" و"الجبة".

وأكدت المصممة مهاود على هامش الحفل أنها "تعمل منذ سنوات على اللباس التقليدي، من خلال جعله يتصالح مع روح العصر والموضة باستنباط ابتكارات تجمع بين الأصالة والمعاصرة".

وأضافت أن "الهدف من هذا الحفل هو التأكيد على خصوصية اللباس التونسي التقليدي الذي يرمز إلى الهوية التونسية الأصيلة".

من جهة أخرى قالت رشيدة جبنون رئيسة المجلس الدولي للنساء صاحبات المشاريع للأناضول "تم تنظيم هذا الحفل من أجل إحياء الموروث الثقافي للزي التقليدي التونسي تحت شعار نحبك يا تونس".

وأضافت جبنون على هامش الحفل أن "هذا العرض يهدف إلى التعريف باللباس التونسي الأصيل ومدّ جذوره إلى الأجيال القادمة وإحياء العلاقة الحميمة بين المواطن والحرفة أو الصنعة التقليدية من خلال التشجيع على الابتكار لضمان ديمومته".

الحب عاطفة تلاشت.. وأضحى الزواج اجتماعيا

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ كان يعاب على الزواج التقليدي أن الأزواج لا يجدون مساحات كافية ليتعرّفوا على بعضهم البعض، وليتدارسوا طبائعهم وميولاتهم وأحلامهم. إلا أن هذه الزيجات تنمو فيها مع الوقت عاطفة الحب، وتقودها نحو شاطئ الأمان الأسري. تغيرت الأحوال وانتشرت وسائل التواصل الحديثة مجسدة في منصات التواصل الاجتماعي، ما سهل عملية التواصل بين الجنسين.

ولعبت هذه الوسائل، مع عوامل أخرى أهمها خروج المرأة للدراسة والعمل والمشاركة في الحياة العامة، دورا هاما في التفاعل الإيجابي والمثمر بين الجنسين، في اتجاهات عدّة كالصداقة والزمالة والزواج.

سهولة التواصل وسرعته كان من المفروض أن تكونا مساهمتين في التقارب بين الجنسين حتى تحصل الألفة والودّ وهما بدايات العشق. ولكن الذي حصل أن العلاقات الإنسانية التي تقود إلى الزواج وتكوين أسرة، ورغم سهولة التواصل وإمكانية التوافق العاطفي، أصبحت تخضع لمقتضيات خارجة عن نطاق العاطفة، كالظروف الاجتماعية والوضع الاقتصادي، أي القدرة المادية على تأسيس أسرة.

قد يكفي مجرد الإعجاب لتنتهي العلاقة بزواج سريع، تدرس فيه كل الجوانب المتعلقة بـ"الشركة الاجتماعية" التي ستتأسس على شراكة مادية فعلية. لهذا التوجه ما يبرره اجتماعيا واقتصاديا. تطورت الحياة الاجتماعية للبشر وكثرت متطلباتها المادية.

ما كان ثانويا من الكماليات أصبح ضرورة الضرورات، كالتلفاز والهاتف والإنترنت والكمبيوتر والثلاجة وآلة التسخين والفرن وحتى السيارة أضحت ضرورة عائلية وخاصة في المدن الكبيرة.

والقائمة تطول في هذا الباب حتى أنه لا يمكننا حصرها أمام التطور الهائل الذي تشهده الساحة العالمية الاستهلاكية. فكل يوم يطالعنا الجديد المتجدد من مختلف المواد الاستهلاكية ذات الاستعمال الفردي أو العائلي.

العناية بالأطفال تستمر منذ الحمل وحتى ما بعد الدراسة. ولا ينقطع هذا الاهتمام إلا بالحصول على شغل. فالمرأة الحامل لا بد من متابعتها دوريا من طرف طبيب مختص، وفي كل مرة تتجدد التحاليل المخبرية والأدوية وطرق العلاج. يظن الزوجان أن الكابوس –المادي طبعا– أوشك على نهايته ولكن الأمر يزداد تعقيدا مع الولادة وما بعد الإنجاب بالنسبة إلى الأم والمولود معا. وتتواصل الرحلة مع الدراسة بمراحلها الثلاث؛ الإعدادي والثانوي والعالي.

إذن هي معركة يومية يخوضها الزوجان، اللذان كانا قد حسما اختيارات زواجهما على هذا الأساس مسبقا، دون انقطاع. وتذوي شيئا فشيئا عاطفة الحب التي تجمعهما والتي بدأت إعجابا ثم تطوّرت ولكن وفق حسابات العقل والحاجة.

إذا كانت عاطفة الحب بين الزوجين تشكو من هشاشة أصلا، فلا يمكنها أن تصمد أمام الضغوط اليومية الرهيبة التي تفرضها متطلبات الحياة العصرية. يتبخّر الحب وتعوضه "العشرة" وينسى الزوجان كل ما يربطهما من أحاسيس وعواطف، في خضم بحثهما الدؤوب عن استمرار الحياة.

الزواج بهذه الصيغة فقد المقوّمات النّفسية للعلاقات الإنسانية وأصبح مجرد "شراكة اجتماعية". نتج عن فقدان العاطفة أو على الأقل اضمحلالها عدة مظاهر تشهدها الأسر الحديثة. فإذا حققت العائلات أهدافها المادية بعسر وتمتعت بملذات الحياة الاستهلاكية على اختلافها، فإنها فقدت مقومات التماسك الأسري من ودّ ومحبة وعشق متجدد. وهذا ما دفعها إلى التفكك. وأصبح الأطفال ضحية هذا اللهاث على المادة، فيربيهم الشارع بسلبياته.

عاطفة الوالدين إذا كانت صادقة ومتينة فإنها ستكون المرشد الأول للأطفال في حياتهم. فالأسر تنسخ عن بعضها البعض العادات والسلوكيات والعواطف الصادقة، كما ترث اللامبالاة والاستهتار والتحدي السلبي وسوء التصرف وعدم القدرة على بناء علاقات اجتماعية مثمرة.

التفكك الأسري وضياع العواطف في خضمّ البحث عن متطلبات العصر المادية كلها من التداعيات السلبية للعولمة والتطوّر التقني والعلمي. ولكن ما الذي يجب فعله للاندماج الفاعل في الحياة العصرية بمتطلباتها مع المحافظة على علاقات الحب بين الأزواج؟

يبدأ الإصلاح بمحاولة الموازنة بين الخصائص النفسية–العاطفية وبين "الشروط" المادية لتشييد أسرة متماسكة نفسيا، عند اللقاءات الأولى التي تسبق الزواج. ثم إيلاء العواطف درجة عالية من الاهتمام، ومحاولة تجديدها باستمرار باستغلال كماليات العصر ذاتها.

بهذا لن يضطر الزوجان إلى البحث عن حنان مفقود في أحضان أخرى غريبة عنهما. ولن يضطر الأطفال إلى التطبع بطباع الشارع السيئة. ويسود الوئام ويتعمق التلاقي والتفاهم. وتنقلب المفارقة بين الحب والمادة إلى معادلة طرفاها التوازن، فلا إفراط ولا تفريط. فقدنا في مرجعيتنا الحضارية حبنا العذري وبساطة عيشنا ورقة عواطفنا، لنحافظ على وجداننا حيا حتى ولو كان معلبا شأنه شأن البضائع التي نستهلكها يوميا. عواطفنا جزء مهم من إنسانيتنا ودونها لن نصنع جيلا بشريا بل سنصنع جيلا آليا باردا لا عواطف تغمره.

الملكي على أعتاب تدشين حقبة جديدة على عرش أوروبا

ريال مدريد يحقق إنجازا تاريخيا ويفكر في كيفية الحفاظ على اللقب

انتهى الموسم الأوروبي بسيطرة ريال مدريد الإسباني على لقب دوري الأبطال وفوزه بالكأس ذات الأذنين للمرة الثانية على التوالي، ولأول مرة في التاريخ الحديث للبطولة. وعلى المستوى المحلي شهدت خريطة الدوريات تغييرًا في أصحاب التتويج إلا أن هناك ملكين لم يهتز عرشهما هذا الموسم.

❑ **مدريد – إثر انتهاء المباراة النهائية لبطولة دوري أبطال أوروبا وفوز ريال مدريد الإسباني باللقب ورفع اللاعبين لكأس البطولة في كارديف، بدأ فلورنتينو بيريز رئيس النادي الملكي في الخطوة التالية وهي كيفية الدفاع عن اللقب والفوز به للمرة الثالثة على التوالي. وتغلّب الريال على يوفنتوس الإيطالي 4-1 في المباراة النهائية للبطولة ليصبح أول فريق يتوّج باللقب لموسمين متتاليين منذ أن نجح ميلان الإيطالي في هذا عامي 1989 و1990 وذلك قبل بداية إقامة البطولة بشكلها الحالي في موسم 1992-1993. كما رفع الريال رصيده في صدارة قائمة السجل الذهبي للفرق الفائزة باللقب إلى 12 لقبا. وقال بيريز إنها نقطة البداية للفوز باللقب في الموسم المقبل ومواصلة تحطيم الأرقام القياسية وصناعة التاريخ".**

ولدى سؤاله عن تجديد عقد الفرنسي زين الدين زيدان المدير الفني للفريق، أكد بيريز "سنتحدث إليه. إنه الشخص الذي يقود هذه الأوركسترا. عندما يعمل شيء بكفاءة ، يجب ألا تقترب منه". ومع حجم الإنجاز الذي حققه الريال، لم تجد صحيفة "موندو ديبورتيفو" التي تصدر في برشلونة سوى أن تذكر في عنوان صفحتها الأولى "زيدان التاريخي". كما ذكرت صحيفة "ماركا" الإسبانية الرياضية في عنوان صفحتها الأولى "أساتذة العالم" أما صحيفة "آس التي تصدر في العاصمة مدريد فد وصفت زيدان بـ"النهم" في إشارة إلى أن الريال لا يتوقف عن حصد الألقاب حيث فاز بلقب البطولة للمرة الثانية عشرة (رقم قياسي).

> ريال مدريد أصبح على أعتاب تدشين حقبة جديدة تدين لسيطرته بعد أن فاز بثلاثة ألقاب لدوري أبطال أوروبا في أخر أربع نسخ للبطولة، مما يعكس هيمنته على كرة القدم في القارة الأوروبية

وبالنسبة إلى رونالدو، كان الفوز انتصارا خاصا للغاية حيث أصبح أول لاعب يهز الشباك في ثلاث مباريات نهائية لدوري الأبطال بالنظام الحالي للبطولة وثاني لاعب يحقق هذا في تاريخ البطولة بنظاميها القديم والحديث حيث سبقه إلى هذا الأسطورة الراحل ألفريدو دي ستيفانو. وقدم رونالدو في أفضل أداء له على الإطلاق في المباريات النهائية لدوري الأبطال. وكان رونالدو هز شباك تشيلسي الإنكليزي في نهائي 2008 ليقود فريقه السابق مانشستر يونايتد الإنكليزي إلى الفوز باللقب. كما هز شباك أتلتيكو مدريد الإسباني في نهائي 2014 ليقود الريال إلى الفوز 4-1 بعد التمديد لوقت إضافي.

وكان رونالدو قاد الريال للفوز باللقب الأوروبي في الموسم الماضي أيضا لكن دون أن يسجّل أيّ هدف فيما شهدت مباراة الأمس

أفراح الميرينغي لا تنتهي

أفضل أداء له كما أحرز هدفين واستحق جائزة "رجل المباراة". وقال رونالدو "قدمت نهاية رائعة لهذا الموسم" في إشارة لاستفادته من الراحة التي حصل عليها في بعض المباريات بوسط الموسم والتي ساعدته على تقديم أعلى مستوياته في نهاية الموسم.

وأضاف "أعددت نفسي لهذا. تفوز بالأشياء الكبيرة في نهاية الموسم. كان أمرا ذكيا للغاية من المدرّب وممّن يعملون بالفريق". وجاء هدفا رونالدو في مباراة الأمس ليرفعا رصيده إلى 12 هدفا في المسابقة الأوروبية هذا الموسم. وانفرد رونالدو بصدارة قائمة هدافي دوري الأبطال في الموسم الحالي بفارق هدف واحد أمام منافسه التقليدي العنيد ليونيل ميسي مهاجم برشلونة الإسباني. وتوّج رونالدو هدافا لدوري الأبطال للموسم الخامس على التوالي علما بأن أهدافه المسجلة تضمنت خمسة أهداف في شباك بايرن ميونخ الألماني بدور الثمانية وذلك في مباراتي الذهاب والإياب كما سجل ثلاثة أهداف في مرمى أتلتيكو مدريد في المربع الذهبي وهدفين في مرمى يوفنتوس بالنهائي.

ورغم حالة النشوة والسعادة التي سيطرت على الفريق بمجرّد سماع صفارة النهاية في المباراة، ما زالت الشكوك تحيط بمصير بعض لاعبي الريال في الموسم المقبل. ولدى سؤاله عن إمكانية استمراره مع الفريق، قال المهاجم ألفارو موراتا الذي شارك لفترة قصيرة في نهاية المباراة "لا أعلم. هذا لا يعتمد كثيرا عليّ. أشعر بالسعادة هنا في الفريق. والآن، أود الاستمتاع فقط بالاحتفالات". ولم يكن الكولومبي خيمس رودريغيز ضمن قائمة الفريق في المباراة حيث ينتظر أن يرحل اللاعب عن النادي الملكي هذا الصيف. ورغم الإشادة التي نالها من قبل فلورنتينو بيريز رئيس النادي عقب اللقاء، ينتظر ألا يكون الكوستاريكي كيلور نافاس حارسا أساسيا لمرمى الريال في الموسم المقبل. ولدى سؤاله عن الإسباني الدولي ديفيد دي خيا حارس مرمى مانشستر يونايتد الإنكليزي، قال بيريز "إنه حارس رائع يلعب لمانشستر يونايتد. في العام المقبل ، لا أعلم أين سيكون".

سلسلة التحديات

بعيدا عن التحديات المختلفة التي نجح في تخطّيها منذ توليه المسؤولية الفنية لريال مدريد، يظهر تحدّ كبير في الأفق للمدرب الفرنسي زين الدين زيدان، ويتمثل في الحفاظ على نهم الحصول على الألقاب للفريق الأكثر نجاحا وإثارة للإعجاب في الوقت الراهن. لم يفلت من براثن ريال مدريد في هذا الموسم سوى لقب بطولة كأس إسبانيا، الذي توج به غريمه التاريخي برشلونة.

وبذلك يكون ريال مدريد قد أنهى موسما حالما تحت قيادة مديره الفني الفرنسي زين الدين زيدان الذي بإمكانه أن يفخر بهذا الإنجاز الفريد الذي لم يحققه أيّ مدرب آخر بعد 18 شهرا فقط من توليه مسؤولية أحد الفرق. وأصبح زيدان أول مدرب يفوز ببطولة دوري أبطال أوروبا في موسمين متتاليين. ومن كان يستطيع أن يقول في يناير 2016 عندما تلقى زيدان اتصالا من فلورنتينو بيريز رئيس ريال مدريد، يطالبه فيه أو بالأحرى يترجّاه لكي يقبل هذه المسؤولية العصيبة خلفا لرافاييل بينيتيز، بأن كل هذا الإنجاز سيتحقق على هذا النحو. وكانت جماهير ملعب سانتياغو بيرنابيو، معقل ريال مدريد، في ذلك الوقت تهتف باستمرار ضد رئيس النادي وتطالبه بالرحيل.

وتولّى زيدان هذه المهمة رغم خبرته القليلة في عالم التدريب، ولكن بفضل الاحترام الذي يتمتّع به كأحد أساطير الكرة في ريال مدريد، تمكّن اللاعب الفرنسي السابق من تهدئة الأجواء في المدرّجات وداخل غرفة خلع الملابس، كما أعاد الفريق مرة أخرى للمنافسة وأنهى ذلك الموسم بطريقة غير متوقعة، حيث توّج بلقب دوري الأبطال بعد التغلب على أتلتيكو مدريد بركلات الترجيح في المباراة النهائية. ويرى الكثيرون أن زيدان هو مدير جيد للاعبين أكثر منه مديرا فنيا، فمنتقدوه يتحدثون دائما عن "حسن طالعه" ويصفونه بـ"المدرب المحظوظ".

وبعد نجاحه في تخطي عقبة الموسم الأول بنجاح، واجه زيدان بشجاعة تحدّيا جديدا هذا الموسم، وتمكّن من قيادة ريال مدريد للفوز بأول لقب له في الدوري الإسباني منذ 2012 وأنهى الموسم بقوة كبيرة بفضل سياسة التناوب الواسعة التي يتبنّاها والتي شارك فيها جميع اللاعبين بالفريق.

وقال زيدان بعد الفوز الكبير الذي حقّقه ريال مدريد على يوفنتوس في نهائي دوري أبطال أوروبا "لا أعرف ما الذي حققته تحديدا داخل غرفة خلع الملابس، أنا أشكّل جزءا من هذا الفريق الذي يكمن مفتاح نجاحه في أن يشعر الجميع بأنهم ذوو أهمية، ولكن السرّ يكمن في أن جميع اللاعبين يؤدون بشكل جيد للغاية، بعد ذلك، عندما تفوز يصبح كل شيء أكثر سهولة، هذه حقيقة ومع هذا الفريق الأمور تصبح سهلة أكثر وأكثر".

والآن، يواجه زيدان تحديه الثالث، وعلى الأرجح سيكون الأكثر صعوبة، وهو يتمثل في الحفاظ على النهم وإقناع اللاعبين بالاستمرار في الفوز في إطار روح التضامن والأجواء الطيبة داخل الفريق، بالإضافة إلى إيمان الجميع بفكرة واحدة، ألا وهي تحقيق الألقاب. ولن يكون هذا بالأمر السّهل على زيدان، فهناك لاعبون يطالبون باللعب بشكل أكبر، هذا إلى جانب إنعاش الجانب الذهني الذي يتعرّض للإنهاك دائما تحت تأثير لمعان الكؤوس ونشوة الفوز بالألقاب.

ووجد زيدان على الفور، بعد مباراة السبت الماضي، مساندا له في تحدّيه الجديد، حيث قال اللاعب البرتغالي كريستيانو رونالدو "الهدف هو الفوز ببطولة دوري الأبطال القادمة".

وأصبح ريال مدريد على أعتاب تدشين حقبة جديدة تدين لسيطرته بعد أن فاز بثلاثة ألقاب لدوري أبطال أوروبا في أخر أربع نسخ للبطولة، مما يعكس هيمنته على كرة القدم في القارة الأوروبية.

ولكن هذه الحقبة ستستمد رونقها في الأساس من الانتصارات وهذا سيعتمد بشكل كبير على عقلية اللاعبين وعلى رغبتهم القويّة في تحقيق إنجازات جديدة. ويمتلك زيدان أسلحة متعددة تمكّنه من النجاح في عبور التحدي الجديد، فهو يحظى بفريق قوي يعج باللاعبين المخضرمين أمثال سيرجيو راموس وكريستيانو رونالدو ولوكا مودريتش ومارسيلو وكريم بنزيمه، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من اللاعبين الشباب الواعدين، مثل ماركو أسينسيو ورافائيل فاران وكارلوس كاسميرو وهذا كله سيسمح له بتكوين أحد أقوى الفرق في العالم بل وربما الأفضل. وتكمن مواطن

> زيدان يواجه الآن تحديه الثالث، وعلى الأرجح سيكون الأكثر صعوبة، وهو يتمثل في الحفاظ على النهم وإقناع اللاعبين بالاستمرار في الفوز في إطار روح التضامن والأجواء الطيبة داخل الفريق

القوة الأخرى في عقل زيدان وفي قدرته على إقناع اللاعبين بطريقة إدارته للأمور وخاصة سياسة التناوب.

تاريخ دوري الأبطال

دوّن زين الدين زيدان اسمه كلاعب مع ريال مدريد في تاريخ دوري أبطال أوروبا لكرة القدم، بهدف من الأجمل في نهائي 2002. ودوّن الفرنسي اسمه كمدرب مع النادي الملكي، بعدما أصبح أول مدرب منذ 27 عاما يحتفظ بلقب المسابقة القارية الأبرز. ولم يحقق أي مدرب هذا الإنجاز منذ أريغو ساكي مع ميلان الإيطالي عامي 1989 و1990. وإضافة إلى تحقيق هذا الانجاز بعد كل هذا الوقت، بات زيدان أول مدرب يحققه في الصيغة الحديثة للمسابقة التي دخلت حيز التطبيق عام 1993.

وحقق ساكي إنجازه وهو في الرابعة والأربعين من العمر، وها هو زيدان يكرر التجربة في السن نفسها. الفارق أن ساكي كان غير معروف على مستوى واسع كلاعب، بينما دوّن زيدان اسمه في سجل عظماء اللعبة.

صعود زيدان الصاروخي كمدرّب هو مسار لافت في حدّ ذاته إذ تولى مسؤولية الجهاز الفني للريال في يناير 2016، في أول تجربة له مع فريق أول، بعدما "تتلمذ" على يد المدرب السابق للريال الإيطالي كارلو أنشيلوتي، وخاض تجربة مع الفريق الرديف. بعد أقل من خمسة أشهر، بات أول فرنسي يحرز لقب دوري الأبطال كلاعب ومن ثم كمدرب. أكمل موسمه الأول بالكأس السوبر الأوروبية، وفي نهاية العام 2016 مع كأس العالم للأندية.

بعد عام، أضاف زيدان إلى رصيده لقب الدوري الإسباني (الأول للريال منذ 2012) والاحتفاظ بلقب دوري الأبطال، محققا للنادي الملكي ثنائية أحرزها للمرة الأخيرة عام 1958. فهل كان أحد يتوقع هذه المسيرة للفرنسي المتحدر من أصول جزائرية، والذي كان أقاربه ينادونه باسم "يزيد" في طفولته؟ الأرجح كلا، فالطفل الذي نشأ في منطقة كاستلان بمدينة مرسيليا الفرنسية التي أقام فيها أهله بعد هجرتهم من الجزائر عام 1960، خالف كل التوقعات وحرق المراحل في مسيرته الكروية، سواء كان على المستطيل الأخضر أم عند خط التماس وفي مقاعد الجهاز الفني.

زين الدين زيدان المدرب يدخل تاريخ دوري أبطال أوروبا

أوستبنكو تفجر مفاجأة وتفوز بلقب رولان غاروس على حساب هاليب

رافايل نادال يسعى إلى لقبه العاشر أمام ستانيسلاس فافرينكا نجم النهائيات

فجرت لاعبة التنس اللاتفية يلينا أوستبنكو مفاجأة من العيار الثقيل وتوجت بلقب بطولة فرنسا المفتوحة (رولان غاروس)، بعدما تغلبت علىٰ النجمة الرومانية سيمونا هاليب 4/ 6 و6/ 4 و3/6 السبت في المباراة النهائية.

فاجأت الجميع

❑ **باريس** – حرمت لاعبة التنس اللاتفية يلينا أوستبنكو (20 عاما)، المصنفة 47 علىٰ العالم وغير المصنفة ببطولة فرنسا المفتوحة، النجمة الرومانية سيمونا هاليب من التتويج بأول لقب لها في بطولات "غراند سلام"، كما أضاعت عليها فرصة انتزاع صدارة التصنيف العالمي للاعبات التنس المحترفات في نسخته التي تصدر الاثنين، وذلك بعد أن حرمتها من لقب رولان غاروس، بعدما تغلبت عليها 4/ 6 و6/ 4 و6/3 السبت في المباراة النهائية.

وتظل بذلك النجمة الألمانية أنجليك كيربر التي ودعت البطولة من دورها الأول في صدارة التصنيف العالمي.

وحسمت أوستبنكو المباراة النهائية خلال ساعة واحدة و59 دقيقة، لتعتلي منصة التتويج بأول لقب في مسيرتها الاحترافية.

وخسرت أوستبنكو المجموعة الأولىٰ ثم تأخرت صفر/3 في المجموعة الثانية، لكنها استعادت توازنها وقلبت الموازين لصالحها بإحراز المجموعة الثانية، ثم حسم المباراة واللقب بالفوز في المجموعة الثالثة.

وكانت هاليب، المصنفة الثالثة للبطولة، قد وصلت إلىٰ الدور النهائي لرولان غاروس أيضا في عام 2014، لكنها خسرت حينذاك أمام النجمة الروسية ماريا شارابوفا.

وفي المقابل تشهد ملاعب رولان غاروس الترابية الأحد نهائيا مرتقبا لبطولة فرنسا المفتوحة في كرة المضرب، بين الإسباني رافايل نادال الباحث عن لقبه العاشر فيها، والسويسري ستانيسلاس فافرينكا الذي لم يسبق له خسارة نهائي بطولة كبرى.

وأمضىٰ فافرينكا 15 ساعة و20 دقيقة في الملعب لبلوغ النهائي، مقابل 10 ساعات ودقيقة لنادال، وتعمق الفارق في نصف النهائي حيث تخطىٰ نادال الموهبة النمساوية الصاعدة دومينيك تييم (ساعتان و7 دقائق)، بينما أمضىٰ فافرينكا 4 ساعات و34 دقيقة لإقصاء المصنف أول عالميا البريطاني أندي موراي، خلافا لنادال، الذي لم يخسر سوى 29 شوطا في 6 مباريات، فقد عانىٰ فافرينكا للتقدم في البطولة، خصوصا أمام الفرنسي غايل مونفيس في ثمن النهائي.

ووصل نادال إلىٰ باريس مدججا بـ36 فوزا في 42 مباراة، ثلاثة ألقاب في مونتي كارلو وبرشلونة ومدريد وثلاث مباريات نهائية في أستراليا وأكابولكو وميامي. أما فافرينكا، فقد خاض 28 مباراة فقط (20 فوزا) وتوج في جنيف.

ويحتل الإسباني المركز الرابع عالميا وراء فافرينكا بمركز واحد، ويخوض السويسري أسبوعه الثالث علىٰ التوالي بعد تتويجه في "بطولته" في جنيف، بينما خلد نادال إلىٰ الراحة أكثر من أسبوع بعد خروجه من ربع نهائي روما في 19 مايو الماضي.

ويعتمد فافرينكا علىٰ المخاطرة في ضرب الكرات القوية من الجهتين الأمامية والخلفية، وحقق أمام موراي في نصف النهائي 87 كرة ناجحة، لكنه ارتكب 77 خطأ مباشرا، ولن يكون متأكدا من أن معدلا مماثلا قد يوفر له الفوز ضد نادال.

ويعد نادال من أفضل اللاعبين سيطرة علىٰ الخط الخلفي مع اقتناص الكرات القوية في الوقت المناسب، ويتمتع اللاعب الأعسر بضربة أمامية لولبية يصعب علىٰ خصومه صدها، ضربة خانته في 2015 قبل أن تعيده إلىٰ قمة اللعبة، وهو الذي لا يعاني من ثغرات في طريقة لعبه راهنا، وحتىٰ إرسالاته تحسنت أخيرا.

ويخوض نادال المباراة تحت الضغط، آملا بعمر الحادية والثلاثين إحراز لقبه الخامس عشر في البطولات الكبرى. وبلغ نادال النهائي العاشر في رولان غاروس والثاني والعشرين في بطولات الغراند سلام الكبرى (خسر 3 مرات في ملبورن ومثلها في ويمبلدون ومرة في فلاشينغ ميدوز).

وربما لم يكن فافرينكا يتوقع خوض النهائي قبل سنوات، فعلىٰ رغم كونه غير مرشح في نهائي أستراليا 2014، رولان غاروس 2015 وفلاشينغ ميدوز 2016 إلا أنه أحرز اللقب في كل مرة.

ويتوقع مراقبون رغم الخبرة الهائلة لنادال مع ألقابه التسعة في باريس (بين 2005–2008 و2010–2014)، إلا أنها لن تكون مؤثرة ربما بالنسبة لفافرينكا (32 عاما) أكبر لاعب يبلغ النهائي في رولان غاروس منذ اليوغوسلافي نيكي بيليتش منذ 1973.

كروس وماتيوس وبيكنباور وذات الأذنين

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ استوقفني تصريح طريف ومستفز أدلىٰ به مؤخرا المدرب الألماني يوب هاينكس المدير الفني السابق لبايرن ميونيخ وريال مدريد، فهذا المدرب توجه بالخطاب إلىٰ لاعب ريال مدريد توني كروس مطالبا إياه بالاعتزال والتوقف نهائيا عن ممارسة الكرة، رغم أن النجم الألماني لم يتجاوز بعد سن السابعة والعشرين ربيعا.

هذا التصريح بطبيعة الحال لا يحمل رسائل سلبية أو نقدا لأداء اللاعب، بل العكس صحيح، وكل ما أراد أن يؤكده المدرب هاينكس من خلال هذه الكلمات هو أن كروس تسلق سلم المجد وبلغ عنان السماء بعد أن فاز بكل الألقاب الكبرى، رغم أنه لم يقترب بعد من سن التقاعد الكروي.

أي نعم.. فكروس النجم المتألق ورمانة ميزان ريال مدريد والمنتخب الألماني حقق ما لم يقدر علىٰ تحقيقه نجوم وعباقرة وأساطير كرة ممن سبقوه أو عاصروه، ورصيد هذا الفتىٰ الأشقر الهادئ الرصين من الألقاب يغنيه مشقة البحث عن ألقاب جديدة بما أنه توج بكل شيء ممكن.

في رصيد كروس لقب كأس العالم الذي توج به في دورة 2014 بالبرازيل، والأكثر من ذلك أن هذا اللاعب ترك توقيعه في تلك البطولة بعد أن قدم مستوى لافتا ورائعا للغاية وسجل في مرمىٰ البرازيل في مباراة نصف نهائية خالدة وتاريخية انتهت بفوز "الماكينات" الألمانية بسباعية.

كروس حقق بخلاف التتويج بلقب كأس العالم ما لم يقدر علىٰ تحقيقه عدد كبير للغاية من اللاعبين الرائعين الذين تركوا بصمتهم في تاريخ الكرة العالمية، فنجم وسط ريال مدريد أحرز لقب دوري الأبطال الأوروبي ليس في مناسبة واحدة، بل في ثلاث مناسبات مع فريقين مختلفين. فقبل قدومه إلىٰ القلعة البيضاء صائفة 2014 كان ينشط مع بايرن ميونيخ ووفق في حصد لقب أمجد الكؤوس عندما تغلب البايرن في النهائي علىٰ مواطنه بوروسيا دورتموند، ثم بعد الرحيل إلىٰ إسبانيا نجح اللاعب السابق لبايرن ليفركوزن في التتويج مع الريال بهذه البطولة الرائعة لسنتين متتاليتين، فاز بكأس السوبر الأوروبي في مناسبة أولىٰ مع البايرن ثم في مناسبتين مع الريال، كما توج بكأس العالم للأندية ثلاث مرات الأولىٰ سنة 2013 مع الفريق الألماني، والثانية عام 2014 ثم الثالثة سنة 2016 مع الفريق الإسباني.

ماذا أكثر من هكذا ألقاب يا كروس؟ هل تريد الألقاب المحلية؟ طبعا لا، فتوني كروس الذي ولد في الجزء الشرقي من ألمانيا الحديثة الموحدة سنة 1990، أي عشية سقوط جدار برلين، وحّد كل الألقاب الألمانية المحلية وطوعها وفاز بها مع البارين علىٰ امتداد السنوات التي لعب خلالها مع الفريق البافاري، حيث أحرز لقب الدوري في ثلاث مناسبات والكأس الألمانية ثلاث مرات والكأس الممتازة في مناسبتين، أما مع الريال فقد توج لتوه بلقب الدوري المحلي الذي استعصىٰ علىٰ الريال طيلة السنوات الأربع الماضية.

كل هذه الأرقام والتتويجات قد تجعل من تصريح هاينكس مضحكا وطريفا، لكنه يحمل الكثير من الدلالات والمعاني، إذ أن الكرة أنصفت وانتصرت بشكل لا يصدق مع كروس، لتمنحه رغم صغر سنه كل الألقاب الممكنة، والطريف هنا أن كروس تفوق علىٰ نجوم الصف الأول حاليا من حيث الإنجازات، فميسي ورونالدو لديهما كل الأرقام القياسية الشخصية ولديهما أيضا كل الألقاب الممكنة مع الأندية، لكن مع المنتخبات فإن لكروس أسبقية الحصول علىٰ النجمة المونديالية.

ما حصل مع توني كروس ذكرني ولو بطريقة عكسية بمواطنه لوثار ماتيوس النجم السابق لمنتخب "المانشافت"، فالنجم العالمي السابق حصل علىٰ كل الألقاب والتتويجات الممكنة، حيث فاز بكأس العالم سنة 1990 ونال جائزة أفضل لاعب في العالم في العام الموالي، يملك أيضا الرقم القياسي في عدد المشاركات في نهائيات كأس العالم برصيد 25 مباراة في خمسة مونديالات متتالية، والأكثر من ذلك أنه واصل اللعب إلىٰ سن متقدمة للغاية، حيث اعتزل اللعب وهو علىٰ مشارف سن الأربعين. ومع ذلك، وبالرغم من كل هذه السنوات الطويلة من اللعب مع فرق قوية للغاية أبرزها بايرن ميونيخ، ورغم كل التتويجات المحلية والدولية، إلا أن ماتيوس لم يتمكن ولو في مناسبة واحدة من التتويج بكأس "ذات الأذنين"، أي كأس دوري أبطال أوروبا.. ماتيوس جاهد طويلا وصبر كثيرا، بل وخاض دورين نهائيين سنتي 1987 ثم 1999، إلا أنه لم يقدر علىٰ تحقيق ذلك الإنجاز.

لقد أراد ماتيوس أن يسير علىٰ خطىٰ سلفه الألماني بيكنباور الذي كان قائدا عظيما لمنتخب بلاده ولنادي بايرن ميونيخ، فحقق مثله كأس العالم وحصد عدة ألقاب محلية، لكنه لم يقدر علىٰ السير مثله في الدرب الأوروبي، لأن بيكنباور توج بلقب كأس أوروبا للأندية البطلة في ثلاث مناسبات، أما ماتيوس فلم يقدر ولو لمرة واحدة.

في المقابل نجح كروس وكان قادرا علىٰ رفع لقب رابطة الأبطال ثلاث مرات، ليؤكد وهو في سن السابعة والعشرين أنه سليل أساطير الكرة الألمانية بامتياز بعد أن فاز تقريبا بكل الألقاب الممكنة.

عودة إلىٰ تصريح هاينكس حول الاعتزال، فيجب أن نعلم أن كروس هو من أقل اللاعبين في الريال تعرضا للإصابة، هو أكثر اللاعبين في العالم بأسره انضباطا خارج الملعب، وهو أكثرهم حرصا علىٰ صحته وسلامته، لذلك لن نتخيل أن ساعة الاعتزال ستكون قريبة، وربما ننتظر إلىٰ ما بعد الأربعين حتىٰ يقرر كروس الرحيل.

«الفيفا» تستجيب لطلب الإمارات وتستبعد صافرة قطر عن مباراة تايلاند

❑ **أبوظبي** – أعلن الاتحاد الإماراتي لكرة القدم السبت أن الاتحاد الدولي للعبة (فيفا) وافق علىٰ طلبه استبدال طاقم الحكام القطري، والذي كان من المقرر أن يتولىٰ إدارة مباراته أمام تايلاند ضمن التصفيات الآسيوية المؤهلة إلىٰ مونديال 2018 في روسيا.

وكان الاتحاد الإماراتي تقدّم بطلب إلىٰ نظيره الدولي لتغيير طاقم الحكام، في ظل الأزمة الدبلوماسية الحادة التي تشهدها منطقة الخليج، والتي شملت قطع الإمارات والسعودية، إضافة إلىٰ مصر ودول أخرى، علاقاتها الدبلوماسية مع قطر.

وقال الاتحاد الإماراتي عبر "تويتر" السبت "الاتحاد الدولي "فيفا" يوافق علىٰ تغيير الطاقم القطري ويعيّن طاقم سنغافوري وماليزي لمباراة الإمارات أمام تايلاند".

وكان الاتحاد الدولي عين طاقم التحكيم القطري المؤلف من الحكم الرئيسي فهد جابر المري والمساعدين يوسف الشمري وجمعة البوراشد، مع سعود العذبة حكما رابعا، لإدارة اللقاء المقرر الثلاثاء في العاصمة بانكوك، ضمن منافسات المجموعة الثانية بالجولة الثامنة من التصفيات الآسيوية المؤهلة إلىٰ كأس العالم لكرة القدم في روسيا السنة المقبلة.

وشمل قطع العلاقات مع قطر، وقف الرحلات الجوية المتبادلة وإغلاق المجال الجوي أمام الطيران القطري، والطلب من المقيمين القطريين مغادرة البلاد التي يقيمون فيها.

يذكر أنه بعد مباراة المنتخبين السعودي والأسترالي التي انتهت بفوز الأخير بثلاثة أهداف لهدفين، لم يتغير ترتيب منتخبات المجموعة الثانية، حيث لا يزال منتخب اليابان متصدرا للمجموعة بفارق الأهداف، ولديه مباراة أقل، يليه المنتخب السعودي، ثم أستراليا ثالثا، برصيد 16 نقطة لكل منتخب.

بينما يأتي منتخب الإمارات في المركز الرابع برصيد 9 نقاط، ثم المنتخب العراقي برصيد أربع نقاط، وأخيرا تايلاند بنقطة.

وتتنافس المنتخبات في المجموعتين الآسيويتين الأولىٰ والثانية علىٰ 4 بطاقات ونصف حسب نظام "الفيفا"، حيث يتأهل أول منتخبين من كل مجموعة مباشرة إلىٰ نهائيات روسيا 2018، في حين يتنافس الحاصلين علىٰ المركز الثالث ضمن الملحق الآسيوي لتحديد المنتخب المتأهل إلىٰ الملحق العالمي لمواجهة ممثل الكونكاكاف.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

ليالي القاهرة الرمضانية.. صلاة وسمر وسحور

تعد القاهرة على امتداد ليالي شهر رمضان قبلة المصريين من كل المحافظات، حيث تحتضن المصلين والراغبين في السمر والباعة وتجمعهم آخر الليل على مائدة سحور واحدة طعامها الأساسي طبق فول.

حياة ليلية صاخبة

❏ **القاهرة** – يحرص أحمد سلامة الشاب المصري الثلاثيني كدأبه كل عام، ما أن يُرفع آذان العشاء في شهر رمضان المبارك بالجامع الأزهر وسط القاهرة، على الذهاب لأداء صلاة التراويح (القيام)، في رحلة تحمله من شرقي القاهرة لوسطها التاريخي.

وقال سلامة إن "المساجد التي تؤدّى فيها صلاة التراويح كثيرة بجوار مسكني بمنطقة عين شمس، إلا أني أفضل الحضور للأزهر الشريف".

وأضاف أنه يحرص على الحضور لما في الجامع الأزهر من مميزات دينية وعلمية، حيث يؤم المصلين عدد من علماء الأزهر يتبادلون الأدوار فيما بينهم.

ولا يقتصر الجانب الديني على روّاد الجامع الأزهر فقط، ففي الجهة المقابلة له يقع مسجد الإمام الحسين، والذي يقصده بشكل لافت متصوّفون يمارسون شعائر الصلاة بالمسجد، الذي يحمل موقعا خاصا في نفوسهم.

وقال محمد رمضان أحد أتباع الطريقة العزمية (طريقة صوفية مصرية) إنه يأتي للحسين لصلاة التراويح كل ليالي رمضان، ليتمتع بالروحانيات الموجودة بالمسجد.

وقررت مجموعة من الشباب المصري على مدخل شارع المعز لدين الله الفاطمي، أشهر شوارع القاهرة التاريخية، الاحتفال على طريقتهم الخاصة، وعلى ضربات الدفّ الذي أحضروه معهم، شرعوا في ترديد أغان خاصة بهم، في حلقات دائرية تزيّنها حركات الأرجل التي تتناغم مع الدف، لتخرج مشهدا كرنفاليا راقصا.

في المقابل، كانت الأجواء أمام سبيل مؤسس الدولة المصرية الحديثة محمد علي باشا، أكثر هدوءا، تناسبا مع الأضواء الخافتة التي زينت المكان ليلا، فروّاده يبدأون ليلتهم عادة بالتقاط الصور والسمر غير الصاخب.

ولا تتوقف الاحتفالات في قاهرة المعز عند المداحين أو حلقات الغناء، فعلى هامش أحد الممرات يقف مجدي رشوان 35 عاما (بائع متجول) يستأجر منه المارة "الطربوش (قبعة حمراء تاريخية بالبلاد) والملس (زي نسائي قديم سابل) "ليلتقطوا صورا بهما". وقال رشوان إنه يبدأ عمله هنا في المكان كل ليلة منذ عام تقريبا، إلا أن نسبة الزبائن الذين يتعامل معهم في رمضان أكثر بكثير من غيره من الشهور.

تحتفظ المنطقة بطابعها كقبلة للسمّار إلى جانب المصلين، يفد إليها المصريون من أنحاء العاصمة، فهدى مصطفى (25 عاما) تحضر للصلاة، ثم تتجول هي وصديقاتها بالمكان قبل أن تعود لمحل سكنها بمنطقة حلوان جنوب القاهرة. وأفادت أنها أول مرة تقوم فيها بارتداء زيّ "الملس"، مؤكدة أن ذلك ليس رغبة في عودة الزمن القديم ولكن لتجربة أزياء المرأة المصرية قديما.

وقال رشوان إن الفتيات هن أكثر حضورا لطلب "الملس" من راغبي الطربوش من الرجال.

أما محمود سليمان (21 عاما)، وهو طالب بأحد الجامعات المصرية الخاصة، فإنه يحرص هو وأصدقاؤه على الحضور لمنطقة الحسين في الليالي الأولى من شهر رمضان، ضمن طقس سنوي اعتادوا عليه منذ سنوات، ينتهي بالسحور على إحدى عربات الفول المجاورة لمسجد الحسين، للاستمتاع بمظاهر رمضان بشارع المعز.

ومع اقتراب ساعات الفجر، تبدأ المجموعات الوافدة على الحيّ في التجمّع حول عربات الفول المنتشرة في محيط المسجد وتقدم وجبات مصرية تقليدية.

أياد بلجيكية تحفظ منسوجات أشهر متاحف العالم

❏ **بروكسل** – تخضع منسوجات قديمة من جميع العالم في محترف دي فيت الملكي في ميخيلين شمالي بلجيكا، لعناية كبيرة إذ تعمد حرفيات متخصصات إلى تنظيفها وترميمها وتعزيزها بآلاف الغرز لتمكينها من مواجهة الزمن.

وتعمل في صومعة حجرية لدير قديم، نحو خمس عشرة امرأة لفترات تتعدى السنة في أحيان كثيرة على منسوجة واحدة يستخدمن خلالها خيطا وإبرة لتدعيم النسيج سنتيمترا بسنتيمتر، وبعدها يعمدن إلى إصلاح النقوش التي ترك عليها الزمن أضرارا كبيرة.

وأوضحت رئيسة المحترف فيرلي دي فاختر أن "الشخص العصبي وسريع الانفعال لا يمكنه النجاح البتة في هذه المهمة"، إذ أن المزايا الأساسية للنسوة المتخصصات في النسج والحياكة تتمثل في "التركيز" و"حس النسج" و"الدقة".

ومن اللوفر إلى متروبوليتان ميوزيوم في نيويورك مرورا بأرميتاج في سان بطرسبورغ، أوكلت أشهر متاحف العالم مهمة ترميم أجمل منسوجاتها المصنوعة من خيطان القطن والصوف مضافة إلى أفخمها خيوط من الذهب والفضة لهذه الأيادي الماهرة..

ويحتل محترف دي فيت صدارة مواقع ترميم المنسوجات القديمة في العالم نظرا إلى حجم الموقع وغنى المجموعات التي اعتنى بها حرفيّوه. وهو يعمل حاليا ومنذ اثنتي عشرة سنة على أكبر مجموعة منسوجات محفوظة على الإطلاق حتى يومنا هذا والتي تضم 29 منسوجة من كاتدرائية القديس يوحنا المالطي.

ويتم نقل هذه المنسوجات الفلمنكية العائدة إلى القرن السابع عشر بحسب أعمال للرسام بيتر بول روبنز، اثنين اثنين من بلجيكا. وبعد وصولها إلى ميخيلين يزال الغبار عنها وتنظف بواسطة مرذاذ ضخم ثم تجفف وتُدعّم وترمّم.

وتشتهر العاملات في محترف دي فيت أيضا بحسّ عال بالألوان إذ أن الموقع يصبغ خيوط الصوف والقطن التي يستخدمها عبر اللجوء إلى مئات الملونات الاصطناعية لاحترام اللون الأصلي للمنسوجات وضمان جودتها.

فك شفرات أزمة بنطلون وائل كفوري

❏ **بيروت** – أثار بنطلون الفنان اللبناني وائل الكفوري حالة من الجدل بعد عرض حلقته في برنامج "رامز تحت الأرض"، إثر ظهوره ببنطال أسود اللون في نهاية الحلقة، على الرغم من ارتدائه لبنطال أزرق اللون في بدايتها.

وكان رواد مواقع التواصل الاجتماعي شككوا، بمصداقية البرنامج، واعتبروا أن المقلب مفبرك، إذ أنّ لون بنطلون وائل تغيّر بين مشهد وآخر.

وبعد انتشار الأقاويل حول فبركة مقلب الفنان اللبناني وائل كفوري في "رامز تحت الأرض"، نشر حساب "إم بي سي مصر" على تويتر، فيديو يُظهر وائل وهو ينزل في الرمال المتحرّكة، ولحظة خروجه منها، من دون أي مونتاج، ليتحوّل بنطلونه الجينز من اللون الأزرق إلى الأسود، بسبب الطين.

وعلّقت الشركة على الفيديو، وكتبت "بالفيديو رد قاطع على أزمة بنطلون وائل كفوري في "رامز تحت الأرض".

وتعرض كفوري لانتقادات عنيفة بعد تداول الصور ببنطاليه، حيث اتهمه البعض بأنه كان على علم بالمقلب وخدع جمهوره، بينما أكد آخرون أن الرمال المتحركة وراء تغيير لون بنطاله، حيث طالبه عدد من محبيه بتوضيح هذا اللغط المثار حول الحلقة.

يذكر أن برنامج "رامز تحت الأرض" يقدمه الفنان المصري رامز جلال، ويستضيف فيه عددا من النجوم، وتم تصويره في أبو ظبي بالتعاون مع الإعلامي اللبناني نيشان.

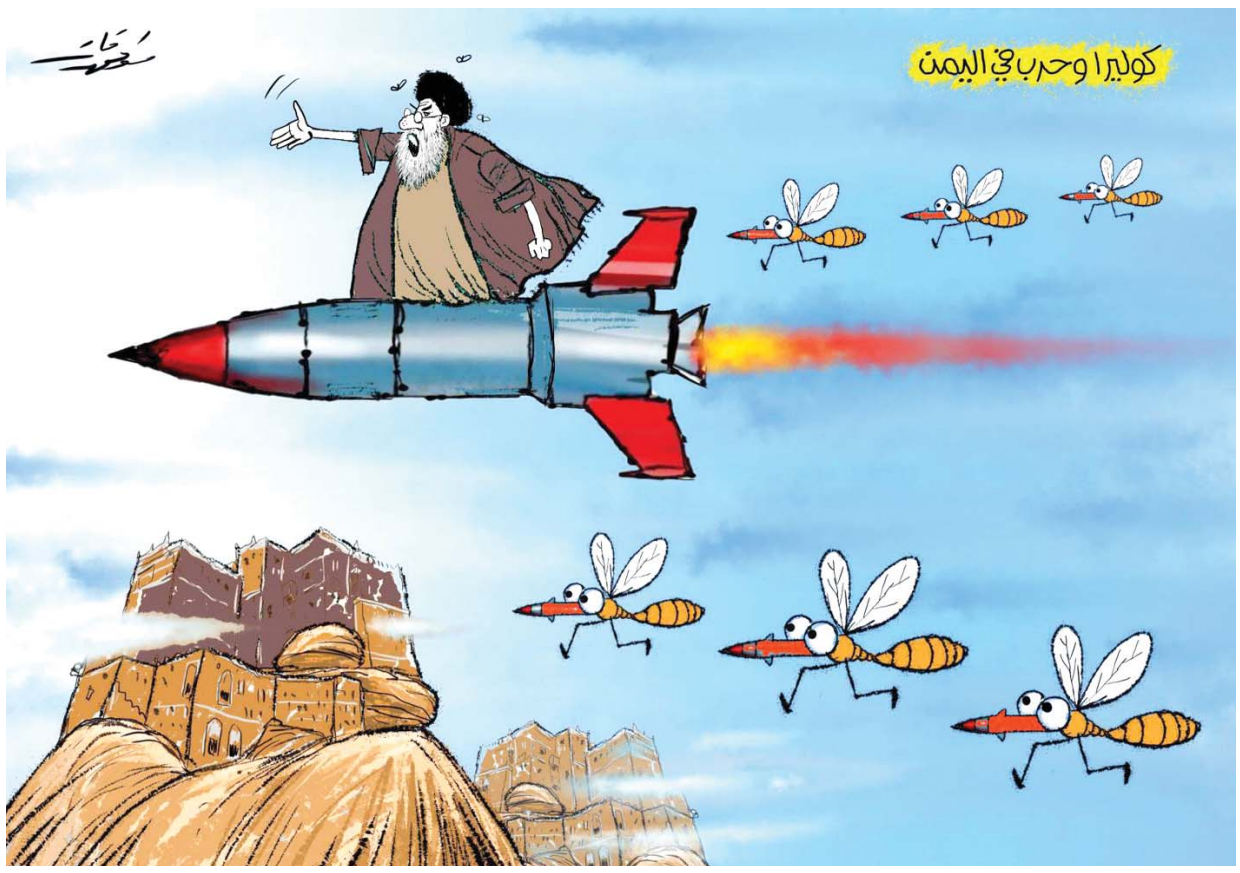

طفلة تغير جلدها بشكل يومي

❏ **واشنطن** – تعاني طفلة أميركية لم تتجاوز من العمر 6 سنوات من مرض وراثي نادر، يجعلها تبدل جلدها بشكل يومي وذلك لأن الجلد ينمو بشكل أسرع بكثير من المعتاد.

وشخّص الأطباء إصابة هانا باروت بداء "السمك الرقائقي"، وهو اضطراب جيني، يجعل خلايا الجلد تنمو بسرعة كبيرة. وبحسب صحيفة ميرور البريطانية، فإن تشخيص الحالة التي يعاني منها أكثر من 600 ألف شخص بجميع أنحاء العالم، جاء بعد أن وُلدت الطفلة مع طبقة سميكة من الجلد تسمّى غشاء الكولوديون.

وتحتاج هانا إلى جلستين يوميا من ترطيب الجلد، لمنعه من الجفاف والتشقق والنزيف، بالإضافة إلى احتمال الإصابة بالعدوى القاتلة، ويقوم والدا الطفلة ميغان (26 عاما) وتايسون (30 عاما) بمراقبتها على مدار الساعة، وذلك خوفا من ارتفاع حرارتها لأن ذلك قد يؤدي إلى وفاتها.

وتضطر هانا ووالداها لشرح حالتها للآخرين وذلك نتيجة النظرات والتعليقات السلبية التي تتعرض لها بشكل دائم بسبب شكلها.

وقالت والدتها "حالة هانا تعني أن جلدها ينمو بشكل أسرع من باقي الأطفال، وهي تعاني عندما تكون الحرارة عالية، لأنها غير قادرة على التعرّق".

صباح العرب

محمد هجرس

ساعة تروح.. وساعة تيجي..!

❏ أين تهرب هذا المساء؟

ربما يكون هذا توصيفاً لحالة "الهري" الإعلامي التي نعيشها عربياً، فتحاصرنا بين صحف لا ضابطَ لها وبين فضائيات تحوَّلت لـ"حفلة ردح" مجنونة.. وبينهما مواطنٌ غلبان "يشدّ شَعْرَه" بعد أن وجد نفسه لابس "جلابية بيضا في سراية صفرا!".

الإعلام الذي اعتبر قبل سنوات، ما "هَرَش" به مسؤول كبير في مؤتمر صحافي على الهواء، من أبجديات الحراك السياسي المطلوب تشجيعه وترسيخه، هو نفسه الإعلام الذي حوَّلنا إلى "مجاذيب" نقلّد صبي الحانوتي الراحل "غزال" عندما تراقصَ في أحد أفلام إسماعيل يس "أنا عندي شعرة.. ساعة تروح وساعة تيجي".. فيُؤرَّخ من يومها كيفية استيعاب ظروف المرحلة. المشكلة، أن غالبيتنا -بعد "وكسة" يناير- شاركوا في تغذية هذا الأوكازيون المتشنج، بمناسبة "المتنيِّل على عينه" الربيع العربي، سواء بإشعال نار الفوضى أو الشماتة، وفي الحالين فإن الفضيحة تكمن في سلوك عام أصبح نموذجاً مخجلا.

في إحدى زياراتي لمصر، استوقفني موظف الجمارك وسألني هامسا وهو يتفحص حقائبي: ما معاكش حاجة للمسائل؟ ولأني فهمت أن "المسائل" تعني مقويات جنسية، فقد هرشت في عرق الخيابة، وتذكرت 10 أنابيب مرهم مخدّر موضعي لعلاج البواسير، طلبهم قريب من "بلاد برّه"، لأكتشف أنه صناعة مصرية، ناولته إحداها فودّعني دون تفتيش: "ح ادعيلك يا باشا!".

مثل حكايات "ألف نيلة ونيلة" هذه، كثير، الخلل أمامنا، ولا نريد أن نعترف به، وربما كنا نحتاج لفتوى أطلقها ذات يوم، أحد المعمّمين، معتبرا "الرشوة" إكرامية جائزة شرعا، فتفضحنا وسائل إعلام غربية تلقي اللوم عليها، مع أن سلوكياتنا وحدها هي التي يمكن أن تصلح حال بلد أعترف أن أكبر مؤامرة عليه، هي من بعض من يقولون إنهم أبناؤه! وأولهم ما تصدره لنا شهرزاد المصرية، "اللي ناكشة شعرها" كل يوم، في الصحف والفضائيّات، وفي برامج "التوك توك".

مع ذلك فأنا "متفائش" جدا.. والسبب عم "دُقدُق" الذي يلمّع الأحذية على ناصية شارعنا، قال لي: احنا محسودين يا بيه.. والنبي لو شوفت رئيس الوزرا.. قول له "يبخر" البلد 7 مرات، ويعمل 7 حلقات زار في 7 ميادين بس ما يكونش منهم ميدان التحرير، وقبل أن أستفسر منه لماذا صرخ وهو يرمي لي حذائي: "شوف التلفزيون يا بيه.. وحصوة في عين اللي ما يصلي ع النبي!".